

# الإمام الشافعى

## والدراسات الإسلامية

تأليف

أبو عبد الله العابد

رئيس قسم الدراسات القرآنية والحديثية  
جامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا

دار الفرقان

للنشر والتوزيع

١٤٠٧٩  
٢٠٠٣

الجامعة الإسلامية  
الشرق

والدراسات الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة للنشر  
الطبعة الأولى

١٤٢١ - ٢٠٠١ م

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية  
( ٢٠٠٠ / ٧ / ٢١٦٤ )

٢٨٢,٤

عبد الواحد، عبد القهار  
الاستشراق والدراسات الإسلامية / عبد القهار عبد  
الواحد.. عمان : دار الفرقان ، ٢٠٠٠  
(٢١٤) ص  
ر.أ (٢٠٠٠/٧/٢١٦٤)  
١- الاستشراق - ٢- الدراسات الإسلامية

\* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية



دار الفرقان للنشر والتوزيع

الإدارة والمكتبة :

العبدلي - عمارة جوهرة القدس  
٤٦٢٨٣٦٢ - ٤٦٤٠٩٣٧ - فاكس  
ص.ب ٩٢١٥٢٦ - عمان - الأردن  
إربد - مقابل جامعة اليرموك - تلفاكس ٧٢٧٦٥٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن للدراسات الاستشرافية مناهج ارتضتها أهلها وكانت لهم بحوث مستفيضة ومختصرة عن القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة والدراسات الأخرى المتعلقة بهما، ولما كانت هذه المناهج مختلفة من حيث الهدف والقدرة العلمية والتحقيق العلمي والبحث عن المعرفة بحثاً مجرداً أو مشوياً بالأهواء أردت في هذه الدراسات أن أبينَ ما ذكرته سابقاً بطريقة علمية ناقلة بعيدة عن العواطف والأهواء ولكنها نابعة من العقيدة الإسلامية التي آمنت بها وأخلصت لها وأدافعت عنها لأنها حق، والحق مطلب كل مؤمن وعاقل. وأن تكون هذه الدراسة سبباً في حماية الأمة في عقيدتها وفكرها وسلوكها.

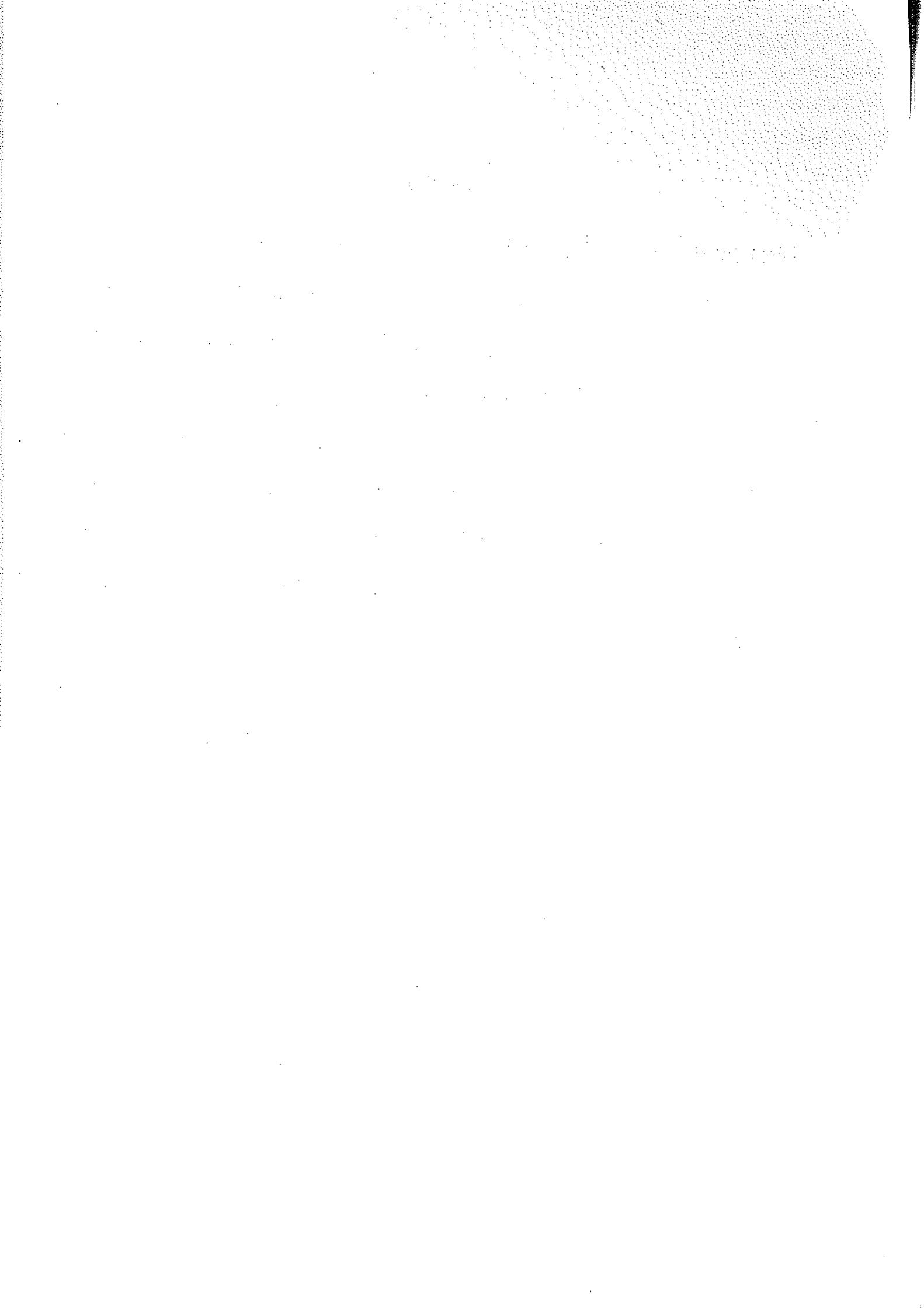
وأسأل الله تعالى أن يجعل هذه الدراسة خالصة لوجهه تعالى وأن تكون لنا نافعة وشافعة يوم يقوم الأشهاد.

﴿رَبَّنَا إِمَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَأَتَبَعْنَا الرَّسُولَ فَأَكَيْتُنَا مَعَ الشَّهِيدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

الدكتور عبد القهار داود عبد الله العاني

أستاذ الشريعة بكلية الشريعة - جامعة بغداد سابقاً

والأستاذ في قسم الدراسات القرآنية والحديثة في الجامعة الإسلامية العالمية - ماليزيا



# الفصل الأول

## العلاقة بين الإسلام وأعدائه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المبحث الأول

#### تمهيد في الاستشراق ومفاهيمه

يظهر لنا من الدراسات التاريخية المتعددة أن اهتمام العالم المسلمين عامة وبالعرب خاصة يعود إلى ظهور الإسلام وانتشاره على يد النبي ﷺ ثم على يدي الصحابة رضوان الله عليهم بصورة جعلت أهل العلم بالتاريخ يعدونه المعجزة الكبرى، وحيث أن الاهتمام بالعرب عند المؤرخين القدماء قد ظهر في كتب هيرودوتس مؤرخ القرن الخامس قبل الميلاد وينوفراست تلميذ أرسطو الذي تحدث حديثاً شيئاً عن طيوب بلاد العرب الشهيرة في كتابه «تاريخ النبات» والجغرافي اليوناني سترابون في مستهل القرن الأول للميلاد والمؤرخ الروماني جليني في القرن الثاني للميلاد الذي وضع لوائح بأسماء القبائل والمدن والقرى الموجودة في وسط شبه جزيرة العرب.

لقد كانت الشبهات والأوهام والخرافات هي كل ما يعرفه الأوروبيون عن العرب وجزيرتهم وديانتهم فقد (كان كل ما يعرفه الأوروبيون عن جزيرة العرب أن الرسول الكريم ولد فيها وفيها المديستان المقدستان عند المسلمين مكة والمدينة وكان يسود بينهم اعتقاد خاطئ بأن جثمان النبي الكريم معلق في الهواء).

وقد أتجه الأوروبيون بسبب الرغبة في اكتشاف العالم من أجل التجارة والنفوذ ولم ينسوا ما يكون من نزعتهم الدينية وتعلقهم بكتيسة القيامة والعودة إليها ومحاولة ذلك بشتى الطرق «وإذا البرتغاليون قد استطاعوا أن يسيطروا على شواطئ شبه جزيرة العرب

الجنوبية فإنهم قد فشلوا في التفوذ إلى السواحل وارتدى سفنهم مدحورة من أمام عدن وجدة، وكانت غايتها في السيطرة على السواحل أن يؤمنوا الطريق البري إلى الهند أيضاً كما أنهم يحلمون بالاستيلاء على جثمان النبي ﷺ في المدينة ليطلبوا عندها تسليمهم كنيسة القيامة فدية له».

ولقد ظل الأوروبيون يتبعون العرب وأحوالهم حتى إننا نجد بعض الذين شروا عن العرب كتاباً من نسج الخيال لا من واقع الحقيقة وحيث إن الحقائق لم يثبتها الغربيون ولم يكتبوا فيها فقد راحت «قصة الرحلات الشهيرة التي قام بها السيد ليلان؟ في الثانية عشرة حتى الستين من عمره إلى أقطار العالم الأربع» وقد ظهر من هذه الرحلة ثلاث طبعات في باريس ما بين ستي (١٦٤٨، ١٦٥٨) وترجمت إلى الإنجليزية سنة (١٦٦٠) وإن ما جاء في هذه الرحلات عن بلاد العرب كثير منه من نسج الخيال ويعيد عن الواقع والدراسة المتأنية تظهر لنا أن فنسان ليلان ليس سوى بطل قصص خيالية وهو ليس بحاراً وإنما رائد من رواد المكتبات تمكّن من جمع المعلومات من الكتب المختلفة غتها وسمينها.

ويبدو أن الرغبة في معرفة العلوم التي ازدهرت عند المسلمين دفعت الأوروبيين لأن ينهلوها ويستفيدوا من حقائقها وتجاربها ولهذا نجد أن (جربر) سنة (٩٩٩م) قد (قصد الأندلس أيام ازدهار حضارتها وتلقى العلوم والمعارف في مدارسها وأن طلاباً من الرهبان وغيرهم قصدوا قرطبة وأخذوا المعرفة من علمائها وتعلموا من مدارسها واقتبسوا من علومها، وساعد فرديريك الثاني وألفونس ملك قشتالة على نشر علوم العرب وشجع الترجمة فترجموا الكتب الفلسفية والطبية والفلك والسياسة).

ولما وصلت معالم الدين آفاق المشرق والمغرب على يد الرعيل الأول من الصحب الكرام وعلى يد من واطأهم من صالح التابعين وصادق المؤمنين وذلك عن طريق الفتوحات الإسلامية، تلك الفتوحات التي أعطت للأمم الأخرى نماذج من القادة

المسلمين الذين اتسموا بالعدل والإنصاف وحسن الخلق والورع والزهد ما أثر في الأمم الأخرى فدخلوا في دين الله رغبة من غير إكراه تفيض أعينهم مما عرفوا من الحق وما كان أمر الفتوح إلا للتبرير بدين الله وحماية حرية العقيدة وإظهارها لهم على طبيعتها من غير تشويه أو تحريف أو مغالاة، وقد ساعد على سرعة إيمانهم أنهم كانوا على علم بالإنجيل والتوراة ففيها ذكر الله والأنبياء وبشارة بظهور النبي بعد المسيح عليه السلام.

ومن هنا تدرك سر الاستجابة السريعة للإيمان من أهل الكتاب أكثر من الأمم التي كانت تدين بالوثنية التي لم يكن لها علم بالكتب السماوية وما تضمنته من الإيمان بالله واليوم الآخر والرسل فما إن ظهرت راية الإسلام وثبتت حضارته في الأندلس وغيرها حتى خاف الغرب على أهله من أن يروا هذا النور على صفائه وربانيته فيكون لهم شرف الإسلام فعمد على عزل أهله عنه فاتخذوا أولاً طريق الكتابة عن الإسلام في بحوث كلها افتراء على الإسلام وعلى نبينا محمد ﷺ مما لا يصدقه عاقل ولا يرضاه أريب.

يقول برناردشو: (لقد طبع رجال الكنيسة في القرون الوسطى دين الإسلام بطبع أسود حalk إما جهلاً وإما تعصباً، إنهم كانوا في الحقيقة مسوقين بعامل بعض محمد ودينه فعندهم أن محمداً كان عدواً للمسيح، ولقد درست سيرة محمد الرجل العجيب وفي رأيي أنه بعيد جداً من أن يكون عدواً للمسيح إنما ينبغي أن يدعى «منقذ البشرية»).

ويكفي هذا النص من رجل قد عرف بثاقب الفكر وسعة الاطلاع للدلالة على ما قلناه.

ولما وجدوا أن هذه الطريقة قد تنكشف ويظهر زيفها حين يطلع الناس على القرآن نفسه وعلى سيرة الرسول ﷺ عمدوا إلى طريقة أخرى يأتون فيها إلى أصله لعلهم يصلون إلى هدفهم عن طريق ترجمة القرآن مع مقدمات للترجمة لغرض نقد القرآن الكريم لكن عاقبة أمرهم أصبحت ضياعاً وخسراً.

فلم تكن الدراسات القرآنية إذاً وقفاً على المسلمين بل تعدت إلى غيرهم، وقد ظهرت العناية بهذه الدراسة من قبل الغرب والشرق على حد سواء وإن كانت دراسة المستشرقين الغربيين أسبق وأوسع وتتميز هذه الدراسات بأنها تمثل ثلاثة اتجاهات:

١- اتجاه غالب وهو محاولة إيجاد ثغرة من الثغرات التي يمكن لهم الطعن في الإسلام عن طريقها وهذا يدل عليه ما كتبه المستشرقون من أمثال مرجليوث وغيره من المستشرقين الإنجليز أو ما كتبه كولدسيهير الألماني في كتابه (العقيدة والشريعة) و(مذاهب التفسير الإسلامي) وهو يهودي معروف.

هذه الدراسات حاولت في بحثها تقصي الآراء الشاذة والأدلة الواهية واتخاذها سندًا في دراستها بعيدًا عن المنهج العلمي والأمانة العلمية، يضاف إلى ذلك الجهل باللغة العربية وتأثيرها والشريعة الإسلامية ومقاصدها فنصبوا من أنفسهم فقهاء ومفسرين ولغوين ومبرعين مع أنهم لو اطلعوا على شروط المفسر أو غيره لكان ذلك رادعًا لهم من أن يخوضوا في مسائل توقف بعض العلماء عنها، فكانت هذه الدراسات المرجع الفكري في العالمين الغربي والشرقي لفهم الإسلام.

ومن هنا كان التصور الإسلامي عند غير المسلمين يتسم بالنقض والخلط والافتراء وهذا يتحمل بعضه المسلمون وخاصة من تخصص في الدراسات الشرقية وأتقن لغة أجنبية إذ يشغل كثير منهم في ترديد أقوال المستشرقين والرد عليها أحياناً وكان الواجب يقضي عليهم بأن يردوا على هذه الافتراط باللغة الأجنبية ذاتها وهي خدمة جليلة للإسلام وللإنسانية أيضاً إذ بذلك يقف العالم على فكر إسلامي صحيح يستطيع الفرد منهم أن يفهمه وأن يحدد موقفه منه وأن يؤمن بما يرى من أصلحة الفكر وإنسانيته وضرورته للبشرية خاصة وهي تعاني الصراع النفسي والمادية الماحقة والهبوط الذاتي والضياع الإنساني.

٢- وفئة أخرى أرادت أن تكتب عن القرآن بحوثاً للماجستير والدكتواره فتناولت القرآن من وجهات مختلفة فتتجزء عن ذلك أن بعضهم أدرك جيداً الذروة التي وصل إليها القرآن في بلاغته وإعجازه وأنه فوق طاقة البشر فآمن بعد تقصيه ودراسته فكانت مصدر إيمانه ونجاحاته وهي دراسة أقل من الأولى وتختلف عنها أحياناً في الهدف.

٣- وثمة جماعة أرادت الكتابة عن الإسلام رغبة في البحث وهي فئة قليلة خللت في كثير من الأحيان بسبب انعدام الاختصاص والجهل وقلة المصادر الأصيلة الصحيحة التي اعتمدواها.

ونتج أيضاً عن هذه الدراسات الاستشرافية أن طلبة المسلمين الذين وردوا جامعات الغرب والشرق لم يكن لأكثرهم من الفكر الإسلامي الصحيح والتصور الصادق له ما يُمكّنهم من أن يبنوا دراستهم على أساس سليمة صحيحة فكان التصور الغربي للإسلام هو القاعدة التي بني عليها هؤلاء الدارسون أبحاثهم وكتاباتهم وحتى الذين كانت لهم بعض الدراسة عن الإسلام فإنهم لم يدركوا بعد أبعاد الخطة الاستشرافية وطرقها في إثبات مفاهيم معينة قد يظن في كثير من الأحيان أنها تعود إلى أصالة المنهج وعلميته وكانت نظرتهم إلى هؤلاء المستشرقين أحياناً من خلال جزئيات معينة أوردوها في محاضراتهم أو أثبتوها في كتبهم لأن يكون قد مدح الإسلام في نظره الإنسانية أو أثني على الرسول محمد ﷺ في ورعيه وزهده فقد تكون هذه الجزئيات سبباً في إيهامهم إيهاماً يصل إلى التمجيد بهذا المستشرق أو ذاك، كانت النظرة العلمية تقضي بأن تحكم على مفكر معين من خلال القواعد العامة التي يبني عليها أبحاثه والمصادر التي يستقي منها معلوماته والطريقة التي يعالج بها شبكات معينة قد افترىت على الإسلام وليس لها كل الدارسين في البلاد الغربية أو الشرقية من سمعت عنهم أو قرأت لهم أنه لم يدخل أحد منهم من التأثير إما بالمنهج الاستشرافي كله وهم الذين تبناوا منهاجاً علمانياً واضحاً فنسبوا للإسلام ما لم يكن فيه أصلاً، وإما أن يكون هذا التأثير ببعض هذا المنهج فنرى بعضهم قد تأثر بقضايا إسلامية معينة تاريخية أو فقهية وبذلك استطاع المنهج الاستشرافي أن يجد طريقه إلى العقول المفكرة من أساتذة الجامعات، وبهذا ندرك لماذا يحرص اليهود في السيطرة على معظم أقسام الدراسات الشرقية في الجامعات الأجنبية في حقول الشريعة واللغة والتاريخ وغيرها من الدراسات الشرقية، وليس من السهل على كل باحث

أن يحكم على فكر معين أو كتاب معين حكماً يضمن فيه السلامة في الرأي والصدق في الحكم إلا إذا أتي العلم الدقيق والفكر الثاقب وال بصيرة النافذة في دراسته دراسة تامة في منهجه وجزئياته فقد تكون الغاية من هذا الكتاب بضعة أسطر في منتصفه أو آخره مع ما كتبه بما يظهر عليه الثناء الصريح للإسلام.

والعجب أننا لا نزال نجهل أو نتجاهل آثار هذا الفكر الاستشرافي على الإسلام وأهله وأن المخطط الموجه للإسلام القصد منه إضعاف أهليته في الشرق للسيطرة الاقتصادية والسياسية والفكرية التي تمكنا منها في فترات تاريخية متعددة لأن الأمة التي تمتلك فكراً ذاتياً وحضارة أصلية لا يمكن أن تسمح لنفسها يوماً ما أن تكون تبعاً لغيرها في الفكر أو العقيدة إذا كنا نعلم أن الإسلام قد منح لأمته أصالة ذاتية لا تعتمد على غيرها في الفكر والحضارة بل إن أمماً كثيرة قد أخذت من الإسلام منهجهما العلمي والحضاري تدرك جيداً القاعدة الصلبة قيادة وتشريع إنما يمتلكها الإسلام وحده في صفاته الفكري ووحدته وطبيعته وبنشريعه الفريد القرآن الكريم هو المصدر الأول والينبوع العظيم للفكر والقانون.

د. عبد القهار دواد العاني

## المبحث الثاني

### الصراع بين الإسلام وأعدائه

لقد كان الصراع بين الإسلام وأعدائه في الغرب منذ أن كتب الله النصر لل المسلمين على الروم في بلاد الشام والمغرب العربي ووصل الفتح إلى فرنسا وحدود الصين، وقد استفاد أهل البلاد المفتوحة من المسلمين في العدل بين الناس والمساواة بينهم وإغناطهم في الحقوق العلمية والاجتماعية، وقد حدثت في فترات معينة هجمات عديدة كان أشدّها وأطولها الحروب الصليبية، وكان أقساها وأبشعها وأخزّها ما فعله الروم بال المسلمين في الأندلس وقشتالة بصورة خاصة، مما جعل تاريخهم أسود صفحة في تاريخ الشعوب قديماً وحديثاً، ولسنا نريد أن نسرد كل فضائحهم ولكن نذكر قضية واحدة فقط تتعلق بمنطقة قشتالة وليون التي أصرّ الصليبيون أن لا يُبقوا فيها مسلماً واحداً.

«وفي عام ١٥٥١ صدرت إرادة تقضى على من في قشتالة وليون من المسلمين إما بالرجوع عن دينهم أو الجلاء عن البلاد، ثم أمرَ المسلمين بالتخلي عن اللغة والعبادة، وفي عهد فيليب الثالث ١٦٠٩ أمرَ المسلمين بالجلاء.. فهاجر منهم فريق وامتنعت طائفة بجبل البشرات ذات المعاقل الثلجية ثم انفجرت الثورة واستمرت مشتعلة سنوات، وبدأت موجة التعذيب والقتل والخيانة ودافع المسلمين عن أنفسهم دفاعاً مجيناً وانتقموا من خصومهم انتقاماً بالغاً ومضى (الدون جون) ١٥٧٠ هـ ٩٧٨ م بحرق القرى بمن فيها، ويقود النار على المختبئين بالكهوف والأغوار وفي سنة ١٤١٩ هـ، ١٦١٠ م كان قد بلغ مَنْ قُتلَ من المسلمين وحُرقَ وُنِقِي ثلاثة ملايين»<sup>(١)</sup>.

(١) الإسلام: أنور الجندي: ص ١٩، وانظر حاضر العالم الإسلامي، تبور استوارد، ترجمة عجاج نويهض، تقديم وتعليق الأمير شبيب أرسلان، المجلد الثاني، دار الفكر، بيروت، التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي، أرسلان ص ٢٠٨-٣٤٢.

وقتل الراهب «مييلدا» ١٦١٠ في حركة إجلاء المسلمين عن إسبانيا مائة ألف مهاجر في قافلة واحدة مكونه من ١٤٠ ألف مهاجر وبنى الفرنجة الكنيسة الجامعه في قلب مسجد قرطبة ووضعوا في المحراب صورة القديس فردیناند - في وسط دائرة من الذهب - وهو على ظهر فرسه وأمامه ملك العرب يقدم مفاتيح المدينة، وهكذا خلت الأندلس من البيزنطيه إلى صخرة طارق ومن المحيط إلى شواطئ برشلونة... .

فـ «كولي» مثلاً يصف الإسلام بأنه أسس على التعصب والقوة وأنه يسمح لأتباعه بالسلب والتجور، وأنه وعد الذين يموتون في القتال بملذات الجنة.

ويتحدث «كولي» عن الحروب الصليبية فيقول: «... وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب وانتصر الإنجيل على القرآن وعلى ما تضمنه من قوانين الأخلاق الساذجة»<sup>(١)</sup>.

ولهذا (كان أمثال هؤلاء هم الذين أساءوا إلى أنفسهم وإلى المسلمين وإلى المستشرقين التزهاء حتى صار كل ما يكتبه مستشرق عن الإسلام ينظر إليه بعين الحذر والاحتراز ويبحث عما فيه من دس أو ثلب)<sup>(٢)</sup>.

يقول «درمنجهايم E. Dermangham»: حين اشتعلت الحرب بين الإسلام والمسيحية ودامـت عـدة قـرون، اشـتد النـفور بـين الفـريـقـين وأـسـاء كـل مـنـهـما إـلـى الآخـر، وـلـكـن يـجـب الـاعـتـرـاف بـأن إـسـاءـةـ الفـهـمـ كـانـتـ مـنـ جـانـبـ الغـرـبـينـ أـكـثـرـ، فـعـلـى أـثـرـ المـعـارـكـ الـفـكـرـيـةـ الـعـنـيفـةـ الـتـيـ رـمـواـ فـيـهاـ إـلـاسـلـامـ بـالـمـساـوـيـهـ مـنـ خـلـالـ جـدـلـهـمـ الـبـيـزـنـطـيـ وـدـونـ أـنـ يـتـبـعـواـ أـنـفـسـهـمـ فـيـ درـاسـاتـهـمـ هـبـ الـكـتـابـ وـالـشـعـرـاءـ الـمـرـتـزـقـةـ مـنـ الـغـرـبـينـ وـأـخـذـواـ يـهـاجـمـونـ الـعـربـ فـلـمـ تـكـنـ مـهـاجـمـتـهـمـ إـلـاـ ثـمـاـ بـاطـلـةـ بـلـ وـمـتـنـاقـضـةـ»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر كتابه «البحث عن الدين الحق» طبع سنة ١٩٢٨، وناشر رضا البابا ليون الثالث عشر سنة ١٨٨٧، وعاش في المدارس المسيحية بالشرق والغرب إلى اليوم، منهاج المستشرقين، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٥-١٩٨٥.

(٢) د. التهامي نقرة، منهاج المستشرقين، مكتب التربية العربية الأول، و. ط. مكتب الرياض ص ٢٣.

(٣) حياة محمد ٢١٥ (ط- باريس ١٩٢٩).

## اتهام الإسلام وحضارته بالتبعية للحضارات الأخرى:

فمن الذين اندفعوا في مهاجمة الإسلام وحضارته «رينان» الفرنسي في محاضرة له في باريس (٢٩ مارس ١٨٨٣) حمل فيها حملة شعواء على المدنية الإسلامية فرعم أنها ليست في الواقع إلا المدنية اليونانية أخرجت من الظلم لا على يد العربي وإنما على يد السوريين والكلدانيين والفرس والإسبانيين بعد أن أصبحوا مسلمين بالغزو واللغة<sup>(١)</sup>.

(١) الإسلام، أنور الجندي ص ١١٣.

### المبحث الثالث

#### (الغرب والشرق الإسلامي)

#### العصر الذهبي في الإسلام والعصور المظلمة في أوروبا

في الوقت الذي يعيش المسلمين في بغداد وقرطبة وغيرها من عواصم الحاضرة الإسلامية في حياة من العلم وازدهاره والأمن واستتاباه كان الغرب يعيش حياة من التخلف العلمي والظلام والفوضى والجهل، ولهذا نجد الكثير يريد أن يصف تلك العصور بالظلمة دون أن يميز بين حالتين متناقضتين في الغرب والشرق الإسلامي مما جعل بعض المستشرقين يريدون أن ينسوا أو يتناسو كل مقومات الحياة في تلك العصور، بل يريدون أن يدرسوه دراسة مقارنة «تعتبر العصور الوسطى عادة أنها عصور مظلمة وفي هذا الاعتبار تجاهل للنشاط الثقافي الجاري حينذاك في الشرق الأدنى وتأثيره على أوروبا وهو يعطي صورة مغلوطة مشوهة عن تطور الحضارة العربية. والحقيقة هي أننا لو درسنا الثقافة العربية الإسلامية في العصور الوسطى وجدنا أن تلك العصور تضاهي في إشراقها أي عصر آخر من عصور الإبداع والإنتاج في التاريخ»<sup>(١)</sup>.

وقد ألقى «جورج سارتون» نوراً ساطعاً نفاذأً على هذه الحقبة من التطور البشري في كتابه العظيم «مقدمة للتاريخ العلم» تتبع لمعرفة قلّ نظيرها وإدراك نادر المثال لننمو الأفكار وتفتح لأذهان البشر من الصين عبر آسيا وأوروبا إلى إيرلندا خلال ألفي سنة من التاريخ

(١) العالم العربي، للمؤلفة الأمريكية الجنسية العربية الأصل الدكتورة نجلاء عز الدين، ترجمة محمد عوض إبراهيم، محمد دويك، محمد يوسف نجم، برهان الدين الدجاني، تقديم وليم آرنست هوكنج، تصدر حسن جلال بوطرسي، عيسى الباجي الحلبي وشركاه، القاهرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، وسنترمز له (العالم العربي) ص ٦٢.

من هوميروس حتى آخر القرن الثالث عشر للميلاد، وفي هذا البحث الشامل نجد التاج العقلي للحضارة العربية الإسلامية في الطليعة الأولى. وهذا البحث مقسم إلى أنصاف قرون كل منها يحمل اسم المفكر الذي نبغ فيه في سياق تقدم الفكر. وتحمل هذه الحقبات أسماء الكثيرين من علماء العرب وفلاسفة الإسلام.

ولم تكُن تمضي مائة سنة على خروج العرب من صحرائهم، أي في القرن الثامن للميلاد حتى أصبح العراق مركزاً لأعظم نشاط فكري في ذلك العصر، إذ أنه بالنظر إلى ما اتصف به المجتمع العربي الجديد من قوة فتية وعزم متوفّد تقاطر أهل العلم والمعرفة من مختلف البلدان وأقصاها إلى مدن العراق المنشأة حديثاً: البصرة والكوفة وبغداد، والنصف الثاني من هذا القرن هو عصر جابر بن حيان المعروف عند الأوروبيين في العصور الوسطى وهو أعظم رجال العلم في تلك العصور، ومن خلال إدخال الأساطير والخرافات التي نشأت حول شخصه وأعماله نستطيع أن نتبين عقلاً علمياً رأى أهمية التجارب العلمية بصورة أوضح مما رأها أي من قدماء الكيميائيين ودون آراء جد صائبة في أساليب البحث الكيميائي، وتأثير جابر واضح في جميع سياق تاريخ الكيمياء في أوروبا<sup>(١)</sup>.

وقد أكد فضل المسلمين من العلماء على الغرب في نهضته الحديثة المعروفة «سارتن» وكان القرن التاسع في رأي سارتن قرناً إسلامياً بسبب التفوق العارم لمؤلفات العلماء والباحثين المسلمين على ما تنتجه الأقطار الأخرى واستمر هذا التفوق طوال القرن العاشر ولم تكن الكتب المكتوبة باللغات الأخرى، اللاتينية واليونانية والعبرية تشمل من الجديد سوى النذر اليسير، فجميع الاكتشافات الجديدة والأراء الحديثة نشرت بالعربية التي كانت (الوسيلة الدولية للتقدم العلمي)<sup>(٢)</sup>.

---

sarton, Introduction to the history of science 1. (1)  
Sartan O.p. Cit, P.p 543. (2)

وهكذا صار العلم عند المسلمين مناراً يهتدى به في ظلمات القرون الوسطى التي تعيشها أوروبا، وكان علم المسلمين بالنسبة للعلم الذي سبقه كنسبة النور الساطع إلى الظلام الدامس، وهكذا استمر نشاط القرن العاشر واشتد في القرن الحادى عشر الذى بلغت فيه الحركة الفكرية ذروتها في القرون الوسطى، وكان الإسلام في طليعة الجنس البشري. إن الانتقال من الحضارات الأخرى إلى المدينة العربية الإسلامية (يكاد يشبه الانتقال من الظل إلى الشمس المشرقة ومن عالم ناعس إلى آخر متفجر بالنشاط) <sup>(١)</sup>.

ويبدو أن هناك طرقاً كثيرة لنقل العلم من العالم الإسلامي إلى الغرب ومنها طريق الأندلس البلد الذي كان محل إشعاع ومدنية وتشريع للغرب مما لم يعهدوه من قبل (فمن الأندلس العربية انتشرت الثقافة الإسلامية في سائر أجزاء شبه الجزيرة الإيبيرية في أوروبا. وهاجر المتسلعون شمالاً إلى الممالك الإسبانية المسيحية حيث ضمنت لهم ثقافتهم الراقية وظائف عالية في البلاط وفي الإدارة المدنية والكنيسة <sup>(٢)</sup> لقد كان للروح العلمية والبحث العلمي المتواصل والجهد المستمر في الحقول المعرفية أثر كبير في تحريك العقلية العالمية عامة والغربيّة خاصة مما جعل ثمارهم العلمية ما يشهده العصر الحديث في حقل المعرفة والمخترعات الجديدة والتطور التقني في العالم (عندما جاءت النهضة وامتلأت روح الإنسان ثانية بالحماسة للمعرفة واندفعت بشعلة العبرية واستطاعت أن تجد وتسرع في العمل وفي الإنتاج والاختراع كان ذلك بفضل العرب الذين حفظوا وأكمروا مختلف فروع المعرفة وأذكوا روح البحث العلمي وجعلوا تلك الروح توّاقة طبيعة ومستعدة لاكتشاف أبعد مدى) <sup>(٣)</sup>.

(١) Sartan 1.p 695.

(٢) Miguelasini, Islam the Divine comedy 1926 p. 243 N.1

(٣) Carra de Voux: the Legacy of Islam p.379.

وقد أسلَّمَ كثيرٌ من الباحثين المستشرقين في بيانِ فضلِ الحضارة الإسلامية على الغرب والعالم فإنه بعد القرن الحادى عشر بدأ يشارك في شرفِ الرُّعامة العقلية، الفكر الذي أخذ بالتفتح في أوروبا غير أن قادة الفكر في القرن الثاني عشر كانوا في غالبيتهم مسلمين.

أما اعتماد أوروبا على الحضارة الإسلامية فخير دليل عليه رجل يمثل أوروبا في ذلك العصر هو «جيرار الكريموني» المترجم (الذي يذكرنا بأن روح التقدم كانت تتطوّر بمقدار كبير على الحكمة في جمع ثمار الحضارة الإسلامية)<sup>(١)</sup>.

وقد حثَّ كثيرٌ من علماء أوروبا طلابهم للتوجه إلى مدارس العرب للاستفادة من علومهم، كما نهلوا من علوم العرب كثيراً.

(فلقد كان «أديلارد أوف بان» من أقدم المתרגمين وأعظمهم ويحتمل أن يكون تعلم العربية خلال زيارته لصقلية وسوريا وكان شديد الإعجاب بالعلوم العربية فاكتسب منها اتجاهًا عقلياً)<sup>(٢)</sup>.

وتعلم «مايكيل سكوت» في إسبانيا ثم دخل في خدمة فردرريك الثاني ملك صقلية وترجم العلوم والفلسفة من العربية وكان أحد مؤسسي فلسفة ابن رشد اللاتينية<sup>(٣)</sup>.

وكان «روجو باكون» كسلفه «أديلارد أوف بان» كثير الإعجاب بالعلوم العربية وأشار على طبته بهجر مدارس أوروبا والالتحاق بمدارس العرب<sup>(٤)</sup>.

(١) العالم العربي - د. نجلاء عز الدين ص ٦٣

(٢) المصدر السابق ص ٦٤.

(٣) المصدر السابق ص ٦٥.

(٤) المصدر السابق ص ٦٥.



## الفصل الثاني

### القرآن الكريم طبعاته وترجماته

#### المبحث الأول (القرآن الكريم طبعاته وترجماته)

أ- طبعاته في أوروبا:

١- أول طبعة للقرآن في نصه العربي هي تلك التي تمت في البندقية في وقت غير محدد بالدقة، ولكن المرجح هو أن تاريخها سنة ١٥٣٠ م تقريرياً لكن جميع النسخ التي طبعت أحرقت<sup>(١)</sup> وكانت طبعة كاملة لكل القرآن ولم يعثر لها على أثر حتى الآن وأقدم من ذكرها هو أربينوس في كتابه مبادئ اللغة.

٢- ثم طبع توما أربينوس (سورة يوسف) بنصها العربي مع ثلاثة ترجمات لاتينية وشرحه. ليدن مطبعة أربينوس سنة ١٦٤٧.

٣- وطبع يوهان زيشندروف في رسالتين بدون تاريخ طبعتا في (ليدن) السورتين ١٠١ و ١٠٣ أي الأولى، وال سورتين ٧٨ و ٦١ في الثانية بحروف عربية منحوته في الخشب<sup>(٢)</sup>.

٤- وطبع في أمستردام ١٦٤٦ كريستيانوس رافيوس، برلين، السور الثلاث عشرة الأولى من القرآن بحروف لاتينية وفي مقابلها ترجمة لاتينية واستعمل رافيوس طريقة خاصة في رسم الحروف العربية بالحروف اللاتينية<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع أشنور تحت رقم ٣٦٧، موسوعة المستشرقين، د. بدوي ٣٠٢.

(٢) ٦١ و ٧٨ سورتا (الصف، النبا) ١٠١ و ١٠٣ (القارعة، العصر).

(٣) السور (١٣-١) من سورة الفاتحة إلى سورة الرعد.

٥- وقام يوهانس جورج نسليوس بطبع السورة الرابعة عشرة والخامسة عشرة بالنص العربي والحراف العربية مع ثلاث ترجمات لاتينية وذلك في ليدن سنة ١٦٥٥ في مطبعة يوانزفير وهي التي اشتراطت مطبعة أريينوس بحرافتها العربية<sup>(١)</sup>.

٦- وطبع ماتياس فردريك بكوس السورتين ٣٠ و ٨٨ اعتماداً على أربعة مخطوطات عربية مع ترجمة لاتينية وتعليقات وذلك في سنة ١٦٨٨ ، والنص العربي بحرافتها العربية<sup>(٢)</sup>.

٧- أما أول طبعة للنص الكامل للقرآن وبحراف عربية وانتشرت ولا تزال توجد منها نسخ في بعض مكتبات أوروبا فهي تلك التي قام بها أبراهام هنكلمان (١٦٩٥-١٦٥٢) في مدينة هامبورج بألمانيا في مطبعة (سكلولتزويو) وفي سنة ١٦٩٤ وتقع في ٥٦٠ صفحة.

٨- وأجود منها هي التي حظيت بالشهرة والذيع طبعة كاملة للقرآن قام بها لودو فوكو مرتشي ، الراهب المتسب إلى جمعية (رهبان أم الله) [«تعالى الله عما يقول» المؤلف] وكان معروفاً للبابا أنوست العادي عشر وتم الطبع في مدينة بتافيا سنة ١٦٩٨ في مطبعة السيمنازيين .

و قبل ذلك كان قد نشر في سنة ١٦٩١ (في مطبعة هيئة نشر الدعوة) التابعة للبابا في روما ، كتاب بعنوان «الرائد إلى الرد على القرآن» في أربعة أقسام ومن قطع الثمن . وبعد ذلك أعيد طبع هذا الرائد في مطبعة بتافيا مع نص القرآن في كتاب واحد فأصبح الكتاب من قسمين : القسم الأول يشمل النص العربي للقرآن مع ترجمة لاتينية وحواشی جزئية يرد بها على مواضع من القرآن ، والقسم الثاني هو «الرائد إلى الرد على القرآن» .

(١) سورة (١٥ و ١٤) إبراهيم والحجرات .

(٢) ٣٠ سورة الروم و ٨٨ سورة الغاشية .

٩ - وفي برلين سنة ١٧٠١ نشرت مختارات من القرآن بالعربية والفارسية والتركية واللاتينية قام بنشرها أندريا أكولوتوس اللاهوتي وأستاذ اللغات الشرقية في برatislava وتقع في ٥٧ صفحة ويورد في العنوان أن النص العربي حقق على ثلاثين مخطوطاً ولنقتصر على ذكر الطبعات الكاملة للنص العربي للقرآن مكتفين بالإحالة فيما يتعلق بالمختارات من القرآن إلى كتاب شنور ١٨١١.

١٠ - طبعة كاملة للقرآن في نصه العربي تمت في بطرسبرج سنة ١٧٨٧ في ٤٧٧ صفحة برعاية امبراطورة روسيا «كترينا» ليستفيد منها رعاياها المسلمين، وقد أشرف علىطبع ملا عثمان إسماعيل. وفي نهاية الطبعة فهارس لأجزاء القرآن الثلاثين.

١١ - وطبع النص العربي للقرآن مرتين في قازان سنة ١٨٠٣ وقد أشرف على هذه الطبعة (أحقر عباد الله ٠٠٠ عبد العزيز توقطمش بن علي).

١٢ - ويفوق تلك الطبعات جميعها كما ستصبح عمدة الطبعات الأوروبية والمراجع للباحثين جميعاً في أوروبا، الطبعة التي قام بها جوستاف فلوجل في سنة ١٨٣٤ في ليتسيلك عند الناشر كارل تاوختس الشهير، وأعيد طبعها ست طبعات.

## المبحث الثاني

### (ترجمات القرآن الأولى إلى اللغات الأوروبية)

أ- الترجمة اللاتينية الأولى: أول وأقدم ترجمة كاملة تلك التي دعا إليها ورعاها رئيس دير كلوني وتولاهما بطرس الطليطي وهو من الدماشي وروبرت كينت، بمساعدة عربي مسلم يدعى «محمد» (ولا يعرف له لقب ولا كنية ولا اسم آخر) وراجع الترجمة اللاتينية بيير دي بواتيه وتمت هذه الترجمة في سنة ١١٤٣ وطبعت في بازل (سويسرا) سنة ١٥٤٣ وطبعت طبعة ثانية في بازل أيضاً في سنة ١٥٥٠ والذي قام بنشر هذه الترجمة اللاتينية هو تيودور بيلينادر، وكان لا هو تيودور زيوتر (سويسرا).

ب- الترجمة الإيطالية الأولى: ففي هذه الترجمة، لا عن الأصل العربي للقرآن كما زعم المترجم كذباً، قام أريينا بيني في سنة ١٥٤٧ بترجمة القرآن إلى الإيطالية وتقع هذه الترجمة الإيطالية في (١٥٠) ورقة من قطع الربع.

ج- الترجمة الألمانية الأولى: وعن هذه الترجمة الإيطالية تمت الترجمة الألمانية التي قام بها ألومنون اشفسجر، في سنة ١٦١٦ وطبعه ثانية في نورنبرغ سنة ١٦٢٣.

د- الترجمة الهولندية: وعن هذه الترجمة الألمانية تمت ترجمة القرآن إلى اللغة الهولندية سنة ١٦٤١.

هـ- الترجمة الفرنسية: أول ترجمة للقرآن إلى الفرنسية هي التي قام بها دي ريبير عام ١٦٤٧ وقد ترجمت هذه إلى لغات أخرى: ١- الإنجليزية ٢- الهولندية ٣- ومن الهولندية ترجمت إلى الألمانية، أما ثاني ترجمة فرنسية فتلت بعد ١٣٦ سنة إذ ظهرت في باريس سنة ١٧٨٣ وقام بها سافاري.

و- الترجمة الإنجليزية: وأقدم ترجمة للإنجليزية من العربية مباشرة هي تلك التي قام بها جورج سيل وظهرت في لندن سنة ١٧٣٤ وحظيت بانتشار واسع منذ ظهورها حتى اليوم وأعيد طبعها باستمرار وطبعت طبعة ثانية في لندن سنة ١٧٦٤ في مجلدين، وعن هذه الترجمة الإنجليزية تمت الترجمة إلى الألمانية وقام بذلك، تيودور أرنولد.

ز- الترجمة الألمانية: وأقدم ترجمةألمانية عن النص العربي مباشرة هي ترجمة دافيد فريدرش ميجرلين الأستاذ في جامعة فرانكفورت، وظهرت سنة ١٧٧٢ وترجمة العنوان: الكتاب المقدس التركي (الإسلامي) أو القرآن الترجمة الألمانية الأولى عن الأصل العربي نفسه مع بيان ضرورته وفائدة عمل دافيد فريدرش ميجرلين الأستاذ بفرانكفورت في ألمانيا سنة ١٧٧٢ ويقع في ٨٧٦ صفحة في قطع الشمن وهذه الترجمة هي التي قرأها «جوته» ومنها بدأ إعجابه واهتمامه بالإسلام وفي السنة التالية أي: سنة ١٧٧٣ ظهرت ترجمة ألمانية أخرى عن الأصل العربي مباشرة كما يرد في العنوان وقد قام بها فريدرش أبرهود يويزن وترجمة العنوان «القرآن أو التشريع عند المسلمين لمحمد بن عبد الله مع بعض الدعوات والصلوات القرآنية الاحتفالية» ترجمة عن العربية مباشرة وبناء على رغبة فريدرش أبرهود يويزن / هلّه سنة ١٧٧٣ ويقع في ٦٨٠ صفحة من قطع الشمن وطبع طبعة ثانية مصححة في هلّه سنة ١٧٧٥<sup>(١)</sup>.

(١) بدوي ص ٣٠٥

## المبحث الثالث

### فهارس القرآن

أقدم فهرس مطبوع للقرآن هو «نجوم الفرقان» تصنيف مصطفى بن محمد، طبع في كلكتا سنة ١٨١١ في حجم الربع في ٣١٣ صفحة، وله مقدمة بالفارسية وقد أعيد طبعه في مدراس (الهند) في سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥ م) في حجم الثمن في ٢٦٤ صفحة طبع حجر، مع ترجمة عربية للمقدمة الفارسية ومعجم معان عربي - هندوستاني وأعيد طبعه بعد ذلك عدة مرات، أما أول فهرس عمل في أوروبا فهو الذي عمله جوستاف فلوجل بعنوان عربي «نجوم الفرقان» وأعيد طبعه في لبتسك سنة ١٨٩٨ عند الناشر، وقام ميرزا محمد كاظم بك بعمل فهرس شامل للقرآن تحت عنوان عربي «مفتاح كنوز القرآن» وكما ورد تحت العنوان فإنه «فهرس كامل للقرآن، يحتوي على كل الألفاظ وعبارات النصوص التي ترشد المستشرقين في أبحاثهم عن الدين والتشريع والتاريخ والأدب الموجود بهذا الكتاب «القرآن» مرتبة بحسب ترتيب حروف الهجاء العربية ويحتوي على المفاتيح أو الكلمات المراده في القرآن مع الاستشهاد بكل المواضع التي استعملت فيها والضرورية في الأبحاث العلمية». وطبع فهرس في سان بطرسبرج في مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية للعلوم في سنة ١٨٥٩ ويقع في ٣٤٣ ورقة وميرزا كاظم بك<sup>(١)</sup> كان أستاذًا في جامعة في سان بطرسبرج. وهو مطبوع طبع حجر وله مقدمة بالفارسية في ١٠ صفحات. ولنذكر أيضًا أنه قد طبع في استانبول سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧، ١٨٦٨ م) فهرس آخر للقرآن بعنوان «ترتيب زبيها» وفي آخر رسالة تبين السور المكية والسور المدنية وعدد الآيات والكلمات والحروف في القرآن.

(١) بدوى ص ٣٠٥.

## بـ طبع القرآن الكريم في البلاد الإسلامية<sup>(١)</sup>:

لقد أردت أن أتحدث عن طبع القرآن الكريم في البلاد الإسلامية قبل أن نعرف طبعه في البلاد الأوروبية والأجنبية ولكن البلاد الأجنبية سبقت البلاد الإسلامية مما جعل الأمر على ما أثبتناه.

- ١ - كلكتا سنة ١٨٣١ م (١٢٤٧ هـ) في ٧٢٤ صفحة في قطع الشمن.
- ٢ - بومباي سنة ١٨٥٣ م (١٢٦٩ هـ) في ٢٤٦ صفحة من قطع الربع طبع حجر.
- ٣ - بومباي سنة ١٨٦٥ م في ٢٢٢ ورقة طبع حجر.
- ٤ - باريلي سنة ١٨٦٦ م (١٢٨٣ هـ).
- ٥ - بومباي سنة ١٨٦٧ م (١٢٨٣ هـ) وفي ١٩٠ صفحة من قطع الربع، طبع حجر.
- ٦ - القاهرة سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ - ١٨٧٠ م) في قطع الشمن.
- ٧ - بومباي سنة ١٨٦٩ م (١٢٨٦ هـ) في ٣٥٥ صفحة من القطع.
- ٨ - استانبول سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧٢) طبعة بالزنكغراف مصورة عن نسخة مكتوبة في سنة ١٠٩٤ هـ بخط الخطاط الشهير حافظ عثمان عن نسخة نور الدين علي القاري، وهذه الطبعة عليها شهادة سبعة من القراء الشاهدين على صحة النسخة وعلى الخلافات الموجودة بين الكوفيين والبصريين فيما يتعلق بعدد الآيات وقد أعيد طبعها برعاية عثمان بك الأمين الثاني للسلطان العثماني وذلك في ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠) في استانبول.  
ومن خلال المقارنة تبين أن الأوروبيين طبعوا القرآن الكريم قبل المسلمين بثلاثة قرون على ما أوردته صاحب الموسوعة، ولعلي أجد ما يدل على خلاف ذلك.

(١) بدوي ص ٣٠٥



## الفصل الثالث

### تاريخ الاستشراق وأثاره وأهدافه وعلاقته بالتبشير والاستعمار

#### المبحث الأول أهداف التبشير

من العسير حقاً على باحث أن يفصل العمل الاستشرافي عن الهدف الديني التنصيري في جملة دراسة المستشرقين عن الإسلام، وإذا كان بعضهم يجهز بهذا الهدف بشكل واضح في كل مناسبة تقتضي ذلك فإن فئة أخرى منهم تجذجح إلى أسلوب الدسّ الخفيّ وإخفاء الحقائق وإبراز الشبهات وبيتر النصوص وإثارة الشكوك في كل ما يتعلق بالدراسات عن الإسلام (عقيدته وأحكامه وتاريخه ورجاله).

وإن دراسة المستشرقين للإسلام قامت من أول الأمر بوجي من الكنيسة الكاثوليكية خاصة للانتقاد من تعاليم الإسلام وإهداه قيم تعاليمه حرصاً على مذهب الكثلكة من جانب وتعويضاً عن الهزائم الصليبية في تحرير بيت المقدس من جانب آخر. ولقد كان التبشير والاستشراق الطلائع الاستعمارية لغزو المسلمين والسيطرة على بلادهم . . .

**أهداف التبشير والاستشراق:** إن نتيجة إرساليات التبشير وجهود الاستشراق في البلاد الإسلامية مزيتين :

أ- مزية تشيد.

ب- مزية هدم (أو مزيتني التحليل والتركيب).

لقد عمل التبشير على محاربة الإسلام ودعوهه والقضاء على الحركات الإسلامية باعتباره (أي التبشير) أداة من أدوات الاستعمار، فهو يعمل على إظهار الغرب المسيحي بمظهر المحبة والسلام والعلم والنور واتهام الإسلام وتاريخه بأنه العدواة والظلم والجهل، وهذا هو ما هدف إليه الاستشراق في شتى مراحله.

عمل التبشير والاستشراق بكل جد في القضاء على وحدة المسلمين ولهذا نجدهما يشيدان بإسهامات ويشيدان النظريات العنصرية والطائفية في الشرق الإسلامي ويحييان اللغات الميتة للأقوام البائدة، لتنشأ في العالم الإسلامي طوائف متاخمة متخصصة ليصفو له الجو ويهيمن على العالم الإسلامي هيمنة لا يستطيع أي بلد إسلامي أن يدفع عن نفسه غائلة الاستعمار وقيوده إلا بعد جهاد طويل . وإن أكبر دليل على ما ذكر أن الدول الأجنبية الاستعمارية كانت وما تزال ترتبط بها مراكز التبشير وتأتمر بأمرها وتنسق بين الدوائر الدبلوماسية الغربية وبين المنظمات والمؤسسات التبشيرية في تلك البلدان ، لقد عُرِفَ المستشركون والمبشرون بالعملة للاستعمار وهم الذين يعملون جنباً إلى جنب في تحقيق أهداف الاستعمار من التشكيك بالإسلام وفكه وغرس الفكر الغربي في النفوس .

**السياسة التوجيهية العامة للتبشير والاستشراق:** إن مجال نشاط المبشرين والمستشرقين يبلغ المدى البعيد بين صفوف رجال التوجيه في بلدان الشرق، ولهم في ذلك وسائلهم الخاصة في تفريق شمل المسلمين وإضعاف شوكتهم والعمل على الغض من اللغة العربية وأهم وسائلهم تم بصورتين :

أ- استخدام تلامذ المستشرقين والمبشرين (عملاء الاستعمار) من الوطنيين الذين درسوا بجامعاتهم وترَبُّوا بمبادئهم وهؤلاء - وقد أصبحوا قادة الفكر والسياسة في الشرق - إنما ينفذون سياسة المستعمِر بقصد أو بغير قصد منهم وبإيحاء من توجيهات المستشرقين والمبشرين .

ب- كتابة بعض الغربيين مؤلفات عن الثقافة الإسلامية، وعمل موازنات بينها وبين الثقافة الغربية (النصرانية)، ثم العمل على تشويه الحقائق، وذلك بإبراز الخلافات المذهبية وتأكيد الفجوات والثغرات بين الطوائف والشعوب الإسلامية من الجهة الشعوبية، أو الجغرافية، أو نظام الحكم .

شكا المبشرون في عدد من المؤتمرات التبشيرية من إخفاقهم في تحويل المسلمين إلى النصرانية وقالوا: إنه لا يستجيب أحد من المسلمين للتبشير إلا أحد اثنين: طفل مخطوف من أهله وهو صغير فَيُرَبَّى على النصرانية وهو جاهل بأصل عقيدته، أو رجل معدم لا يجد سبيلاً للعيش إلا الدخول في النصرانية ليحصل على لقمة الخبز ويظل من المشكوك فيه أنه غَيْر عقيدته حقيقة.

فلما بدا واضحاً أن الغربيين الحاقدين - من مبشرين ومستشرقين وغيرهم، أدركوا إخفاقهم في تحويل المسلمين إلى نصارى - لجؤوا إلى خطتهم الرامية إلى تشويه المفاهيم الإسلامية بكل وسيلة وركزوا اهتمامهم على تلوين المسلمين بالنصرانية والمفاهيم الغربية والمادية تلويناً يبعدهم عن عقيدتهم الإسلامية، ثم يذريهم - فِكْرَا ونُخْلُقاً وولاًءً وشعوراً من الغربة<sup>(١)</sup>.

---

(١) التبشير: أحمد خليل، مصر، وانظر التبشير والاستعمار في البلاد العربية، عمر فروخ والخالدي.

## المبحث الثاني

### بعض ما قالوه عن الإسلام<sup>(١)</sup>

«إن الإسلام هو الذي وضعه محمد - تأثر فيه بال تعاليم الدينية السابقة عليه كتعاليم اليهودية وال المسيحية ، وهو حين اقتبس من تعاليم هاتين الديانتين حرف ما اقتبسه نتيجة لتأثيره بعوامل شخصية وبشرية ، ولذا نجده مثلاً ينكر الوهية المسيحية ، والإسلام بعد ذلك دينٌ فرديٌ شخصيٌ لا يصح أن يتدخل في حياة الأفراد وعلاقاتهم - ولذا يجب فصله عن المجتمع والدولة ، والإسلام نفسه يخضع لعوامل الزمن والتطور الاجتماعي فلا بد من تطويره تبعاً للتطورها - فهو موقوتٌ (بمبادئه وأحكامه) بهذا التطور»<sup>(٢)</sup>.

فهذا (كولد تسير) يقول: «إن الإسلام يكره التجديد ، وكل بدعة في نظر الجماعة الإسلامية هي موضع للشك أو الشبهة وظهورها مَدْعَاهُ للأسى إذ أنها تهدى وحدة الجماعة وتؤدي إلى انهيار الشريعة».

ويقول أيضاً: « وما من أحد كان يرغب في إسراع الخطى خشية أن يُتَّهم بالزيف والمرور».

«الإسلام مزيج مشوه مُستقى من أصول المسيحية واليهودية تلقاها الرسول من أساتذته أحبار اليهود ورهبان النصارى وقسّهم ».

وصَوَرَ الإسلام أيضاً في صورة زندقة - بل ومنبع الزندقات - والإسلام على رأي بعضهم - فرقـة منشقة عن الكنيسة»<sup>(٣)</sup>.

(١) عبد الجليل شلبي: الحضارة الإسلامية ص ٤٨ ، وانظر مناهج المستشرقين ، ج ٢ ، د. مصطفى الشكعة ٣٠٩ - ٣٧٧.

(٢) عبد الجليل شلبي: الحضارة الإسلامية ص ٤٨ ، وانظر مناهج المستشرقين ، ج ٢ د. المصطفى الشكعة ٣٠٩-٣٧٧.

(٣) المستشرقون والإسلام ، د. عرفان ص ١٠-٩ .

«إن الإسلام لم يتشر إلا بحد السيف».

يقول تايلور «الإسلام يهودية مذهبة» وقال جيوم: «إن محمداً كان تلميذاً مبتدئاً في دراسة التلمود ولم يستطع فهمه جيداً» وقيل: «ليس في الإسلام ما يسمى بالتصوف».

يقول كولد تسيهير في معرض آخر: «كان العرب في هذا العهد من تاريخهم لا يبالون بنشر الإسلام بين رعاياهم بل كانوا يقاومون حركة هذا التحول إلى الدين الجديد، ومع ذلك فإنهم تحت تأثير الثقافة الإسلامية بدأت أفكارهم تتجه نحو الفتح الرومي - وأخذ الإسلام يتشر بخطوات حثيثة إلى الحد الذي أثار قلق الخلفاء فعملوا على تبطيء هذا التحول إلى الإسلام خشية أن يؤدي ذلك إلى إغراق العربي المخلص في هذا الخضم من الشعوب الأعجمية. ليس في الإسلام نظم وقوانين منظمة وجيدة ولذلك فإن المسلمين انتحرلوا من البلاد التي فتحوها نظماً قضائية وإدارية، وإن هذه النظم مستمد من نظم شتى هي القانون الروماني والفارسي والتلمود وقانون (الكنائس الشرقية)».

إن الإسلام لا يساير التقدم العلمي والتكنولوجي ويعيد عن التطور والتجديد فهو رجعي، وهذا أحد أركان النهضة الأوروبية يقول عن الإسلام: (إن الإسلام مزيج مشوه مستقى من مصادر مسيحية... وإن الإسلام انتشر بحد السيف وشيوعية المرأة) وإن الإسلام يشجع الخرافيات والسحر وما تأريخه وعقائده إلا مواد أسطورية مصطنعة. هذا غيض من فيض مما قيل عن الإسلام.

## السيف والإسلام

لم يجد المستشرقون ما يقولونه حول المعجزة الربانية في انتشار الإسلام في فترة وجيزة لم يشهدها ولن يشهدها تاريخ البشرية إلا أن يقولوا (إن الإسلام انتشر بالسيف) ويكتفي تكذيب هؤلاء - تعريف الإسلام - نفسه شرعاً؛ إذ أنه (الانقياد والخضوع لأوامر الله واجتناب نواحيه عن رضى و اختيار) فشرط الإسلام الذي لا يصح إلا به (الرضى) فكيف يجتمع «إكراه» مع «الرضى» ومع هذا فإننا نورد إضافة إلى ما قدمناه ما يفتقد مزاعمهم بأدلة من القرآن والسنة والتاريخ:

من القرآن نختار الآيات التالية:

﴿أَفَأَنْتَ تُكَرِّهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ بَيَّنَ الرَّشِيدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرُ بِالظَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ أَسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا أُنْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعُ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقوله تعالى راداً على مذهب أهل الكفر في إكراه الناس على كفرهم وصلفهم على لسان نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿أَوْلَوْ كُنَّا كَرِهِينَ قَدْ أَفْرَغْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عَدْنَا فِي مِلَكَكُمْ بَعْدَ إِذْ بَحَثْنَا اللَّهَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْقِيَمَاتِ الْمُحَسَّنَاتِ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَارِيرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِّنَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظِهِ﴾ [الأنعام: ١٠٤].

وقوله تعالى: ﴿لَئَنَّهُمْ يُمْسِطُونِ﴾ [الغاشية: ٢٢].

و﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادِي﴾ [الرعد: ٧].

و﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

و﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا﴾ [النساء: ٨٠].

و﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ أَسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كُلُّمَ اللَّهُ ثُمَّ أَتَيْلَهُ مَا مَأْتَهُ﴾ [التوبه: ٦].

وقوله تعالى مبيناً همة الرسول ﷺ في تبليغ دعوة الله تعالى وعدم إكراه الناس عليها:

﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الأنياء: ٦٧].

و﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام: ٦٦].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا بِلِلَّهِ مَشْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَنْفَكُرُوا مَا يَصْلَحُكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُلْ حَسِيبٌ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبه: ١٢٩-١٢٨].

ومن السنة النبوية نختار ما يلي: «إنما أنا رحمة مهدأة» والرحمة والهداية ليس من لوزامهما - الإكراه والعناد وإنما الرضى والخير والبركة.

وقوله ﷺ «مَنْ آذى ذمِيًّا فَإِنَّا خَصَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وجادل رسول الله ﷺ أهل الكتاب وباهلهم بعد الحجة - فقال تعالى حاكياً حال رسول الله ﷺ حين باهل أهل الكتاب من اليهود: ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَقَنْتَ اللَّهُ عَلَى الْكَذَّابِ﴾ [آل عمران: ٦١]، وقال تعالى حاكياً حاله وهو يجادل أهل الكتاب في عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ إَدَمَ خَلَقَهُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩].

ومن كتب التاريخ نأخذ هذه المقتطفات - فقد أوردت كتب الاحتساب أحكاماً تخصهم وإن النص التالي يردد على من أدعى انتشار الإسلام بالسيف والإكراه:

قال صاحب كتاب «معالم القرية في أحكام الحسبة» في معرض كتابته عن الحسبة على أهل الذمة: «وإن أسلم منهم صبي مميز أتى بالشهادتين لم يصح إسلامه للخبر المشهور لأنَّه غير مكلف فلا يصح إسلامه كالمحنون، فعلى هذا يُحال بينه وبينهم فإنَّه بلغ ووصف الكفر هُدُّد وضرب فإنَّ أصرَّ على الكفر رُدَّ إلى أهله». وقيل: يصح إسلامه في الظاهر دون الباطن، فعلى هذا لو بلغ ووصف الإسلام حُكْمَ بإسلامه من حين أتى بالشهادتين وإن وصف الكفر ولم يصف الإسلام لم يحكم بإسلامه لأنَّه لا يوثق منه بما كان منه في الصغر إلا بما ينضاف إليه البلوغ. فالتأمل لهذا النص على الرأيين يدرك كذب دعواهم بإكراه الناس على الإسلام فإنَّ كان إسلامُ صبي من اليهود والنصارى وهو مُمِيَّز لا يُقبل إلا بعد تمحيق رضاه بعد تَعَقُّلِه وفَهْمِه للإسلام وإلا رد إلى أهل دينه.

إذاً من خلال تتبعنا لدراسات المستشرقين ومؤتمراتهم حول الإسلام نجد أنهم ينشئون فكراً معقداً مضطرباً متناقضاً عن الإسلام . . .

وهكذا نجد هؤلاء المستشرقين ووقف مخطط استعماري وغزو فكري يتسابق وبصورة عشوائية لإعطاء صورة مشوهة عن الإسلام - مخافة أن يطلع العالم الغربي والشرقي على مفترياتهم، وساعد على ذلك الخمول الفكري والانعزال الجامد عند المسلمين في بيان الإسلام على حقيقته سواء في عالم الغرب أو الشرق أو في عالم المسلمين مما سببته في فصل خاص إن شاء الله .

وبهذه الطريقة المحايدة المشوهة يمكن أن يجندوا الغرب كلَّه مفكريهم وعامتهم لاستعمار البلاد الإسلامية واللعب بمقدراتها وممتلكاتها . . .

ترك بحوثهم عن الإسلام لتتكلم ولو باختصار عن افتراءاتهم وأكاذيبهم عن الرسول الكريم محمد ﷺ .

بعض ما قالوه عن الرسول الكريم محمد ﷺ<sup>(١)</sup>:

(محمد مصلح ديني وضع نظاماً جديداً دينياً أسماه (الإسلام) وأولى بهذا النظام أن يسمى بالمذهب المحمدي، ومحمد في الوقت نفسه إنسان عادي.

أما دانتي (الشاعر الإيطالي المشهور) فقد صور الرسول ﷺ وقد ألقى في الدرك الثامن والعشرين من جهنم وقد شطر إلى نصفين من رأسه إلى متصرفه وصوره وهو يتنه في جسمه عقاباً له على ما اقترف من فضائح وأثام، وسبباً من شفاق، ولأنه في رأيه تجسيد كامل للروح الشريرة).

ويصف أحد نماذج حركة التنوير رسولنا الكريم بما يلي: (إن محمداً رمز الفتن، وهو دجال -ويدعى كذباً المناجاة مع روح القدس..

وهذا (ديدرو) الذي وهو أيضاً من رجال التنوير الفرنسي يصف الرسول -بأنه قاتلُ رجال وخاطف نساء وأكبر عدو للعقل الحر).

ومن أركان النهضة الأوروبية يقول أحد أعضائهم عن الرسول ﷺ: (إن محمداً كان مصاباً بالصرع) وقيل: (إن محمداً يدعى النبوة وهو ليس بنبي؛ بل إن معلوماته استقاها من مصادر معروفة منها أصحابه صهيب الرومي وسلمان الفارسي وزوجه مارية القبطية...) (إن محمداً كان يقرأ ويكتب، أي إنه لم يكن أمياً بدليل أنه كان تاجراً ثم: (إنه محمداً كان شديد الإخلاص لدعورته وشديد الثقة في نفسه فكان إذا حدثت حادثة في حياته أو اعتقاد أن شيئاً ما صالح انفعلت نفسه بما حدث أو اعتقاده صاغه في كلام قرآني، ثم يعتقد هو نفسه أن هذا كلام الله أُوحى إليه فيقدمه للناس على أنه كلام الله) ثم قيل: (إن معارضة العرب لمحمد ﷺ وتكذيبه دليل على بطلان دعوته).

(١) المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد ص٦، وات W. Montagemey

وانظر منهج مونتغمري واط في دراسة نبوة محمد ﷺ.

يقول ثورانداريه: (لا يعرف بالضبط متى ولد محمد وأكثر ما جاءنا عن حياته الأولى معلومات أسطورية).

ويقول برنارد لويس: (لا يُعرف إلا القليل عن نسب محمد وأوائل حياته؛ بل إن هذا القليل قد أخذ يتناقض شيئاً فشيئاً كلما تقدم البحث الأوروبي... وأثار شبهة أخرى حول ما تحويه الأخبار الإسلامية - وتاريخه).

ويقول نيكلسون: (إن الحقيقة المجردة هي أن محمداً قبل نبوته كان فريشاً مغموراً، وكل ما روي عن حياته التي سبقت نبوته لا يمكن اعتباره حادث تأريخية واقعة سوى زواجه من خديجة).

ويقول بروكلمان: (لست نعلم علم اليقين السنة التي ولد فيها النبي والمشهور أن ولادته كانت سنة ٥٧٠ م، ولكن الذي لا شك فيه أنها متأخرة عن ذلك بعض الشيء...).

فهذه أمثلة مما لا حصر فيه من المغالطة والكذب والافتراء على أعظم إنسان عرفه البشرية، وكيف لا وهو الذي رعاه الله وأوكل تربيته وحفظه إلى ملائكته المقربين حتى وصل من الخلق الرفيع إلى أن يقال فيه «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ حُلُقٍ عَظِيمٍ» [القلم: ٤]. فهو الكامل خلقاً وخليقاً، ولضيق المجال نأخذ بعض الفقرات للمناقشة لأن كذب البعض الآخر أظهر وأوضح من نور الشمس عند من كان عنده قليل من المعرفة ومسكة من العقل... .

ونأخذ على سبيل المثال - اتهامهم للرسول ﷺ بأنه أخذ دينه عن صهيب الرومي وسلمان الفارسي ومارية القبطية، فمن جهلهم لمسائل التاريخ أنهم لم يعلموا أن صهيباً رضي الله عنه عربي الأصل، فهو من بني النمر بن تولب سبتة الروم طفلاً وباعته ونشأ بمكة ويقال إنه عتيق عبد الله بن جدعان فماذا عسى أن تكون ثقافة طفل أو صبي حتى يستفيد منه محمد وهو لم يذهب إلى بلاد الروم ولم تكن الدولة البيزنطية دولة توفر العلم حتى يفيض على الصبيان، ويقال: إن صهيباً هذا نشا في العراق.

ثم لماذا أن كل ما جاء في كتبهم الدينية التي يعود تاريخها إلى ما قبل الإسلام صحيحة بعيدة عن الخطأ إلا أن حياة النبي محمد ﷺ مجهولة ومبهمة لهم، علمًاً أن الله عز وجل الذي نزل القرآن وتعهد بحفظه هو الذي روى حياة حبيبه وربه.

أنكر بعض المستشرقين أمية الرسول ﷺ<sup>(1)</sup> وأرادوا أن يثبتوا أنه كان يقرأ ويكتب بدليل كونه تاجراً، فمن مستلزمات التجارة القراءة والكتابة لتسجيل الحسابات، ونحن نرد عليهم ردًاً واقعياً يخزيهم.

إننا الآن في القرن العشرين نعرف تجاراً كباراً في السوق لا يعرفون الكتابة والقراءة ولهم من المحاسبين والإداريين من يُصرف لهم شؤون تجارتهم، والحقيقة أن الأدلة النقلية من القرآن والسنة والتاريخ الصحيح تدل على أمية الرسول ﷺ.

فمن القرآن: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ الَّتِي أَنْهَا الَّذِي يَحِدُّونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ» [الأعراف: ١٥٧]، وقوله «وَمَا كُنْتَ لَتَلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُلُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَزْرَأَكَ الْمُبْطَلُونَ» [العنكبوت: ٤٨].

ومن السنة: نحن أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب . . .

ومن كتب التاريخ المعتمدة: (وَحِينَ تَجَمَّعَتْ قَرِيشٌ لِغَزْوَةِ أُحُدٍ أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدَ الْمُطَّلَّبَ كَتَابًا سَرِيرًا يَخْبِرُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ بِهَذَا التَّجَمُّعِ، فَدَفَعَ النَّبِيُّ الْخَطَابَ إِلَى أُبَيِّ، فَلَمَّا قَرَأَهُ وَعْلَمَ النَّبِيُّ بِهَذَا الْخَطَرِ الَّذِي سَيَوَاجِهُ الْمُسْلِمِينَ اسْتَكْتَمَ أَيْمَانًا مَا قَرَأَ، وَلَوْ كَانَ هُوَ يَحْسَنُ الْقِرَاءَةَ لَأَبْقَى هَذَا السَّرِّ وَمَا احْتَاجَ إِنْ يَسْتَكْتَمَ مَنْ قَرَأَ (لأنَّ هَذَا سَرِّ عَسْكَرِيٍّ خَطَرٌ كَمَا نَسَمِيهُ فِي اصطلاحِنَا الْمُعاصرِ).

(1) لقد ردَّ هذا القولُ أستاذُ التاريخِ في جامعةِ بغدادِ في الستينيات لأنَّه يؤمِّنُ بالفِسْلَفَةِ المادِيَّةِ.

وَحِينَ كَتَبَ ثَقِيفَ شُرُوطَ إِسْلَامِهَا لِلنَّبِيِّ أَجَازَتْ فِيهَا الرِّبَا وَالزِّنَا فَلِمَا قُرِئَ الْخُطَابُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْقَارِئِ وَهُوَ يَقْرَأُ كَلْمَةَ الرِّبَا، لِتَضُعَ يَدِي عَلَيْهَا فَوْضَعَ يَدَهُ فِيمَا حَاجَاهَا وَقَالَ: ﴿يَكَانُوا أَذَلِّ مِمَّا يَرَوْا مَا يَقْرَأُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨] وَلِمَا بَلَغَ كَلْمَةَ الزِّنَا قَالَ: ضَعَ يَدِي عَلَيْهَا فِيمَا حَاجَاهَا أَيْضًا وَقَرَأَ: ﴿وَلَا نَقْرَأُ الزِّنَةَ﴾ [الإسراء: ٣٢].

إذ إن معارضة العرب للرسول تعتبر دليلاً عليهم لا لهم، فتكذيب المشركين للرسول عند المستشرقين يعني بطلان رسالة النبي ﷺ ولكن تكذيب مشركي اليهود للنبي موسى ماذا يعني؟ وتکذیب مشرکی المیسیحیة للمیسیح ماذا يعني؟ بل إن اليهود أنفسهم ذاق منهم موسى عليه الصلاة والسلام الأمرين فعبدوا العجل، وأرادوا رؤية الله عز وجل وغير ذلك - ووقف اليهود بل كهنتهم في كتابهم «الموقف العدائی من عیسیٰ عليه الصلاة والسلام» وأرادوا قتلـه بل نفذـوا القتل حيث جعل الله رجلاً شبيهاً به ومع هذا فهم قد أصروا على قتله، فهل كان أولـئـك الأـنـيـاء كلـهـم لا كـرـامـة لـهـم؟ ذلك ما تـُظـهـرـهـ أـلـسـتـهـمـ وما تـُخـفـي صـدـورـهـمـ أـكـبـرـ، وهـلـ يـتوـقـعـ منـ العـربـ المـشـرـكـينـ الـذـيـنـ سـفـهـتـ أـحـلـامـهـمـ وـكـشـفـتـ قـلـةـ عـقـولـهـمـ فـيـ عـبـادـةـ الـأـصـنـامـ وـالـدـعـاءـ لـهـاـ وـتـصـورـ النـفـعـ وـالـضـرـرـ مـنـهـاـ، فـمـنـ الـبـدـيـهـيـ أنـ يـلـقـىـ كـلـ دـاعـيـةـ إـلـىـ دـيـنـ جـدـيدـ أوـ مـذـهـبـ جـدـيدـ فـيـ قـوـمـ لـمـ يـعـرـفـواـ ذـلـكـ مـنـ قـبـلـ الصـدـأـ وـالـأـذـىـ - إـلـاـ أـنـ هـؤـلـاءـ فـيـ ضـلـالـاتـهـمـ إـنـماـ يـصـوـرـونـ حـقـدـهـمـ وـحـسـدـهـمـ وـجـهـلـهـمـ فـيـ هـذـاـ الـوـاقـعـ الـمـتـدـنـيـ مـنـ الـافـرـاءـ وـالـأـكـاذـبـ اـتـبـاعـاـ لـلـهـوـيـ وـإـظـفـاءـ لـلـحـقـدـ وـلـكـنـ مـثـلـهـمـ كـمـاـ يـقـولـ الشـاعـرـ:

اصبر على مضض الحسود فإن صبرك قاتله  
النار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله  
وفي الخاتمة لمناقشة افتراءاتهم وأخطائهم بصدق الرسول ﷺ.

نأتي إلى مناقشة رأي المستشرق الإنجليزي W.Montagemry<sup>(١)</sup> وحسب الأسلوب التالي:

الإخلاص للدعوة والثقة بالنفس. هاتان خصلتان تدلان على الصدق ثبتتان أن ما قاله الرسول ﷺ حق وصدق إذ إن الإنسان إما أن يكون ربانياً في دعوته يتغى بها وجه الله تعالى أو أن يكون ذا طمع دنيوي في منصب أو جاه أو مال أو غيرها من متع الدنيا التي وصفها الله في قوله: «رِبَّنَا لِتَائِسْ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَطِيرِ الْمُقْنَطَرَةِ مِنَ الدَّهَرِ وَالْفَضْكَةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرَثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» [آل عمران: ١٤] فإن كان ربانياً أخلص لدعوته ووثق بنفسه، وإن كان من أهل الدنيا ومعانيمها استخدمها من أجل غياته وأهدافه الدنيوية وانكشف أمره - لا بد في فترة من فترات حياته - فإخلاص رسول الله ﷺ لدعوته دليل على أنه رسول ونبي مرسل من عند الله تعالى، وأن القرآن كتاب موحى منه تعالى - وأما الثقة بالنفس فهي صفة ملزمة لأهل الحق دائماً - فإنما الضعيف هو صاحب النفس الذي يدعو إلى الباطل وتداهن نفسه الأعداء في عقيدتها وفكرها... وأكبر دليل على هذا ما يفعله أهل الباطل من أصحاب الفكر الصليبي أو الفكر الإلحادي المادي حين يُخْفِون موقفهم من الإسلام ويداهنون فيه بغية إرضاء الشعوب الإسلامية للسيطرة عليها ونهب خيراتها والقضاء على إيمانها وعقيدتها تدريجياً وتنفيذياً لوصية كبار المفكرين منهم من أمثال كلاستون الذي وقف في مجلس العموم البريطاني رافعاً المصحف بحقد وحمق قائلًا: «ما دام هذا المصحف فيهم فلا قرار لنا عندهم، فلا بد من القضاء عليه أو قطع صلتهم به». ولما كان الأمر الأول مستحيلاً شرعاً وعلقاً، فإن الأمر الثاني هو الذي خططوا له ونجحوا فيه نجاحاً عظيماً، إذ نرى في زماننا هذا ملايين من المسلمين ومن يدين بالفكر الإلحادي والعلماني ويحارب الإسلام وأهله ويدين لأهل الكفر من حيث يعلم أنه قد ارتد بذلك عن دينه أو لا يدرى،

(١) انظر مناهج المستشرقين، ج ١، د. محمد بن عبود.

و تلك هي المصيبة العظمى حيث يتصور الجمع بين الأمرين من غير أن يكون ذلك سبباً في نقص دينه أو ضياعه... إن الاستعمار أدرك بأن سيرة سيدنا محمد ﷺ هي مدرسة حريثة بأن تدرس، وهي كفيلة بتربية أجيال مؤمنة صادقة صالحة - لذلك يحاولون عبثاً إسدال الستار على حياته وأخلاقه الكريمة - لأنها نور يضيء ظلام شرهم وانحرافهم

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفَئُونَ نُورَ اللَّهِ يَأْفَوْهُمْ وَاللَّهُ مِنْ ثُورِهِ وَلَوْكَرَهُ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

(إن قرآن محمد صنعة بشرية يكثر فيها التناقض وعدم الانسجام) و(القرآن مخلوق) يقول أحد رواد حركة التنوير: (إن محمداً يزعم أنه صاحب رسالة- إن كل سطر في رسالته ينم عن السخف الذي يناقض مبادئ العقل الأولى...) ويقول كولدتسيهر في معرض كلامه عن الوحي: (إن الأمراض التي تصيب الرجال الذين فوق البشر دون سواهم والتي يستقون منها حياة جديدة كانت قبل ذلك مجهولة كما يجدون فيها قوة تهدم جميع العقبات ومن ذلك حمية النبي أو الحواري...).<sup>(١)</sup>

ويقول بروكلمان: (أعلن - أي الرسول ﷺ ما أصابه أنه قد سمعه كوحى من الله...) ونعود إلى ما ذكرناه قبل قليل من قوله W.Montagemory الآتي (... فكان إذا حدثت حادثة في حياته أو اعتقاد أن شيئاً ما صالح انفعلت نفسه: أحدث أو اعتقاد فيصوغه في كلام قرآنی ثم يعتقد هو نفسه أن هذا كلام الله أوحى إليه فيقدمه للناس على أنه كلام الله).

اهتم كثير من أعداء الإسلام بإثارة الشكوك حول الوحي مقتفين أثر جهلاء قريش وسفهاء المشركين في ادعاءاتهم الملفقة الكاذبة حول الرسول الأعظم ﷺ حين قالوا عنه إنه ساحر أو مجنون أو شاعر.

(١) المستشرقون والإسلام، د. عرفان عبد الحميد ٢٠-١٦.

أما سبب هذا الاهتمام الكبير فيعود إلى الأسباب التالية:

- ١- لما يتمتع به القرآن من مركز ديني وثقافي في الإسلام، فهو ويعدّ الأساس الأول الذي تقوم عليه العقيدة والثقافة الإسلامية كما أنه المصدر الأول للنظام والشريعة الإسلامية.
- ٢- النظرة التقديسية التي ينظر بها الفرد المسلم إليه. ثم إن القرآن وظاهرة الوحي من أظهر وأقوى الأدلة على صدق محمد ﷺ على أساس ما فيها من أفكار وتشريعات وأخبار لا يمكن أن تكون وليدة عصر البعثة ولا من خلق شخص محمد - الأمر الذي أدركه المستشركون بشكل واضح ودعاهم إلى مهاجمة القرآن وظاهرة الوحي... ثم للرد على شبهاهم الواهية نذكر الآية الكريمة المبينة لأنواع الوحي: ﴿ وَمَا كَانَ لِشَرِّيْرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَأَيِّ حَجَابٍ أَوْ بِرِسْلَ رَسُولًا فَيُوحَىٰ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّمَا عَلَىٰ حَكْمِيْمُ ﴾ [الشورى: ٥١] ثم إن الوحي ليس من قبيل الحدّس أو الشعور الباطني ودلّالات النفس والفراسة السريعة التي غالباً ما تتأثر بالرياضيات الروحية والتفكير المستديم الطويل - بل إنه أمرٌ طارئ زائد على الطيّاع البشرية خارجي عن النفس والباطن لا يخضع لأي تأثير يطأ عليهم يتلقاه النبي ﷺ من الذات الإلهية بواسطة الملك الموكّل بذلك.

لضيق المجال نأخذ فقرتين من المذكورات سابقاً للمناقشة.

**خلق القرآن:** إن هذا الرأي هو رأي المعتزلة، وقول جمهور المسلمين أن القرآن كلام الله تعالى، والكلام صفة المتكلّم فهو قديم قدم الباري عز وجل، ولقد دفع المستشرقيون جهلاً بهم بهذا الموضوع إلى أن يتصوروا أن المقصود برأي المعتزلة (إن القرآن ليس من الله تعالى، بل هو من عند رسول الله ﷺ)، ومن علمه الذاتي وسماعه، وتعلمته من الغير، وليس وحياً من الله تعالى متولاً على رسول الله ﷺ، مع أن المقصود بأنه مخلوق أي خلقه الله تعالى كما خلق الكون كله وكل المسلمين ومنهم المعتزلة يقررون بأن القرآن كتاب تَنَزَّلَ وَحْيَا من عند الله تعالى على النبي ﷺ وأنه المعجز وأنه المنقول بالتواتر **المُتَعَبَّدُ** بتلاوته، وأنه القرآن الذي بين أيدينا لم يزد فيه ولم ينقص منه والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْكِتَابَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

والعالم الحافظ الأمين المُبَشِّر هو من يتصدى للحقيقة الكبرى ويطلبها ويتبئن معالمها بكل أمانة وصدق. الحقيقة - أن القرآن من الله تعالى وأن الله يتحدى به البشر جميعاً عربهم - وهم أهل اللغة - وأعاجمهم، لأن يأتوا بسورة من مثله، وقد عجز العرب وعجز غيرهم من باب أولى، ومع هذا فلا يزال هذا النور يهتدي به أهل العقل والفكر واليقين والصدق عن رضا واقتناع وفداء في سبيل هذا الدين الذين آمنوا به...).

(فيصوغه في كلام قرآني) هذا قولٌ يدل على عدم المعرفة بالوحى القرآني إذ إن كلام رسول الله ﷺ غير كلام الله تعالى يُميِّزه مَنْ له أدنى معرفة بالقرآن ولغة العربية ليس هذا فحسب؛ بل إن كلام رسول الله رغم أنه وحي من الله تعالى بأسلوبه ﷺ من غير إعجاز فإن أقوال الرسول ﷺ نوعان:

- حديث قدسي وأحاديث غير قدسية، فالحديث القدسي هو وحي من الله تعالى - من كلامه من غير إعجاز وهذا ما يميزه عن القرآن حيث إن القرآن كلام الله المعجز المتبعد بتلاوته المنقول بالتواتر المكتوب في المصاحف، وهكذا تختلط أهل الاستشراف في مسائل كثيرة عن جهل أو تجاهل، من ذلك عدم معرفتهم للناسخ والمنسوخ والتعارض والترجيح.

### تصورهم لل المسلمين<sup>(۱)</sup>

يستفسر أحد المستشرقين عما إذا كان الإله الذي يعبده المسلمون هو إله اليهود والنصارى - أم لا؟ يصرح الدكتور لسيوس - بأن إله الجميع واحد إلا أن القسيس زويمر خالفه في هذا الرأي وقال: (مهما يكونوا موحدين فإن تعريفهم لإلههم يختلف عن تعريف المسيحيين لأن إله المسلمين ليس له قداسة ومحبة...).

إن المسلم في نظر الدراسات الاستشرافية هو: وحش - ابن شيطان - أهل لواط، مشرك، يعبد الأصنام، ولهم مجمع من الأصنام الذي يضم الإله جوبيتر،

(۱) المستشرقون والاسلام، د. عرفان عبد الحميد ص ۱۰-۱۲

آبولو، ايانا، أفلاطون، والمسيح الدجال... ) وقيل: (إن العربي المسلم) هو راكب الجمل إرهابي معقوف الأنف - شهوانى شره وإن الثروة التي عندهم لا يستحقونها وإن هذه إهانة للحضارة الحقيقية.

هذا مجمل رأيهم في الأمة الإسلامية وال المسلمين ونسوا أو تناسوا بأن أمة الإسلام هي تلك الأمة التي قال الله في حقها: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠] و﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكُنَّ الْمُتَفَقِّيْنَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المافقون: ٨] والتاريخ شاهد على أن المسلمين كانوا دوماً رمز الرحمة والسلام والأخوة والتقدم والعز والأمان.

## نماذج من خطة الاستشراق والتبشير في إثارة الفتنة بين الأديان والفرق

حين انسحب إبراهيم باشا سنة ١٨٤٠ من بلاد الشام وانتشر القلق والفوبي والاضطراب فيها وانقسم الناس على أنفسهم واغتنم الموفدون الأجانب - لا سيما رجالات البعثات التبشيرية - ضعفَ نفوذ الدولة العثمانية في البلاد حينئذ أخذوا يشعلون نار الفتنة، وما مرّ عام واحد وحلت سنة ١٨٤١ حتى وقعت اضطرابات خطيرة في جبل لبنان بين النصارى والدروز استفحلا شرها حتى اضطررت الدولة العثمانية بتأثير ضغط الدول الأجنبية أن تضع للبنان نظاماً جديداً فقسمته إلى قسمين: يسود النصارى في قسم مدة ويسود الدروز في القسم الآخر، ويعين حاكم للقسمين، وأرادت بذلك أن تتفادى الاحتكاك بين الطائفتين غير أن هذا النظام لم ينجح لأنه لم يكن طبيعياً [الفتنة بين الموارنة والدروز].

إنَّ الفتنة باب من أبواب التدخل الأجنبي الاستعماري وقد تدخلت كل من إنجلترا وفرنسا في هذا الخلاف وكانتا تشعلان نار الفتنة كلما حاول القائمون على الأمر إخمادها، وأخذ الإنجليز والفرنسيون يتخدون هذا الاحتكاك بين الطوائف ذريعة للتدخل في شؤون لبنان وانحاز الفرنسيون إلى جانب الموارنة وانحاز الإنجليز إلى جانب الدروز مما أدى إلى تجديد اضطرابات سنة ١٨٤٥ م بشكل فظيع شمل الاعتداء فيه الأديرة والكنائس واستعمل فيه السلب والنهب والقتل مما اضطر الحكومة العثمانية إلى إرسال ناظر خارجيتها إلى لبنان ليتلافى الأمر بما لديه من الصلاحية المطلقة ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً ناجحاً وإن كان قد أخمد الحالة نوعاً ما، إلا أن المبشرين ازدادت تدخلاتهم وما أن جاءت سنة ١٨٥٧ حتى بدأت فكرة الثورة والاصطدامات المسلحة في طائفه الموارنة فقد قام رجال الدين الموارنة بتحريض الفلاحين على الإقطاعيين وهاجموهم في

لبنان الشمالي هجوماً عنيفاً واشتعلت نار الثورة ثم امتدت إلى الجنوب فشار الفلاحون النصارى على الإقطاعيين الدروز وأخذت كل من إنجلترا وفرنسا تؤيد جماعتها، فالإنجليز يؤيدون الدروز والفرنسيون يؤيدون النصارى، وبذلك توسيع الفتنة توسيعاً عاماً حتى شملت جميع لبنان وأخذ الدروز يقتلون جميع النصارى لا فرق بين رجال الدين وغيرهم حتى قتل وشردآلاف من النصارى من جراء القسوة التي كانت تنطبع بها الأضطرابات إلى سائر بلاد الشام.

### الفتنة بين المسلمين والنصارى:

لقد عمد الاستعمار ومن ورائه المستشرقون والمبشرون إلى إشعال الفتنة بين المسلمين والنصارى وبين المسلمين والهندوس، ويهدف من هذا إلى إيجاد جو من البغض والشحنة وتأصيل العدواة بين أبناء البلد الواحد بغية إبعادهم عن معرفة الإسلام والتحقق من أهداف القرآن الإنسانية ونوره ورحمته للعالمين، ولهذا فالإسلام يحرض على إيجاد جو هادئ حر من أجل إقناع الناس لأن الرضى شرط من شروط الإسلام لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيْرِ فَمَن يَكْفُرُ بِالظَّلَّامِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ أَسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا أَنْفِصَامَ لَهُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقد نهج الاستعمار هذا المنهج وهو نفس منهج الجاهلية الذي اختطه المشركون فقال تعالى حاكياً حالهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا سَمَعُوا لِهَذَا الْقُرْءَانَ وَالْفَوْأِرِ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] وقد نفذ مثل هذا في بلدان كثيرة ففي الهند أثاروا ولا يزالون يثيرون الفتنة وايقاع القتل والخصومات بين المسلمين والهندوس، كما أنهم كانوا وراء موجة من البغض والمقاتلة بين المسلمين والنصارى في الشام في شهر تموز سنة ١٨٦٠م إلى أن يهاجم المسلمون حي النصارى ويقوموا بمذبحة كبيرة وقد صاحب تلك المذبحة شيء من التعذيب والتدمير والاضطراب حتى اضطررت إلى وقف الفتنة بالقوة وبالرغم من أن الأضطرابات خمدت وكادت تنتهي لو لا أن يداً أجنبية أرادت استمرار الفتنة لأنها من أسباب بقائهم وسيطرتهم على البلاد.

ويكشف (حقيقة الإسلام) رجل عُينَ قنصلاً لبلاده في تقرير رسمي طبع ونشر عام ١٨٧١ م هو السير ريتشارد وود الذي عمل في دمشق والجزائر يقول في تقريره<sup>(١)</sup>: (إن من أوهام الناس أن الإسلام يمنع مساواة أهل الذمة بال المسلمين فيما لهم وما عليهم وبينهم عن الأخذ بأسباب التقدم والحضارة لأنه لا يحذر انتشار المعارف والتحلي بالعلوم وهذه الأوهام باطلة) ثم يقول: (وأكثُر بواعث سوء الفهم هو انتشار الظن في أوروبا بأن الإسلام دين القوة والسيف وهذا الظن مخالف للواقع).

والذي يبحث بحثاً دقيقاً عن أسباب الفتنة التي سفكت فيها الدماء في الشرق يعلم أن الباعث الوحيد على حدوثها هو أصبع السياسة الأجنبية التي تتهدّز الفرصة لإيقاد نار الفتنة بين ذوي الأحقاد. ومن هذا القبيل واقعة الدروز وواقعة الصقالبة والبلغاريين فقد تبيّن أن الاعتداء يبتدئ من جانب النصارى (وكان ريتشارد قنصلاً في دمشق في فتنة ١٨٦٧).

وزاعت وكالة تاس السوفياتية في بيروت مقالاً نشرته جريدة (برايفدا) في موسكو لمراسلها في بكين عاصمة الصين جاء فيه: (لقد أدخل الاستعماريون الأميركيون إلى الصين مبشرين من مختلف المذاهب استخدموهم منذ أمد بعيد في أعمال الجاسوسية)<sup>(٢)</sup>.

### إثارة الطائفية:

قال المطران مبارك اللبناني سنة ١٩٤٨ في باريس: (إن لبنان بلد كاثوليكي ويحاول المسلمون أن يستعبدوه كما يحاولون استعباد جميع المواطنين الذين يسكنون معهم في بلد واحد كاليهود في فلسطين - ويجب أن يكون لليهود وطن قومي كي يتمكنوا من العيش الهاديء وإن أية ولاية غير إسلامية لا تستطيع أن تعيش بحرية وتمارس معتقداتها الدينية تحت سيطرة إسلامية بحثة)<sup>(٣)</sup>.

(١) ترجمة السيد محب الدين الخطيب وطبعه المطبعة السلفية (القاهرة) ١٩٦٠.

(٢) النشرة الصادرة في الثالث عشر من حزيران من عام ١٩٥١ في العدد ١١٣.

(٣) مجلة بيروت المساء في ٢١ حزيران عام ١٩٤٨ ص ٥ نقل عن مجلة Paris الباريسية.

ويرى زويمر حينما علم أن نفراً من النصارى يدعون إلى مصادقة المسلمين في الصين (إن هذه الصدقة تختلف في نفس النصارى جيناً عن التبشير).

وفي عام ١٨٨٧ م أنشأ الفرنسيون جمعية للمستشرقين أطلقوا عليها بأخرى في عام ١٩٢٠ وأتبعوا ذلك بإصدار (المجلة الآسيوية).

تألفت في لندن في عام ١٨٢٣ م جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية وقبل الملك أن يكون ولئه أمرها وأصدرت هذه الجمعية (مجلة الجمعية الآسيوية الملكية).

وأنشأ الأميركيون في عام ١٨٤٢ م جمعية باسم (الجمعية الشرقية الأمريكية) وأصدروا بهذا الاسم مجلة تعنى بالدراسات الاستشرافية.

وأخطر المجالات التي يصدرها المستشرقون الأميركيون في الوقت الحاضر هي مجلة (العالم الإسلامي The Muslim World) وهي مجلة أنشأها (ضمونيل زويمر) في سنة ١٩١١.

而对于法国的学者们来说，他们则在《世界穆斯林》(Le Monde Musulman)这本杂志上发表文章，该杂志是《世界穆斯林》的姐妹刊物，由同样的人创办于1911年。

والأسلوب الأخير: إنشاء (الموسوعة الإسلامية) وقد أصدروها بعدة لغات وبدأوا بإصدار طبعة جديدة منها. وقد بدأ بترجمة الطبعة الأولى إلى اللغة العربية - وصدر منها حتى الآن (١٣) مجلداً.

ومن هذه الموسوعة التي حشد لها كبار المستشرقين وأشدتهم عداء للإسلام قد دُسَّ السم في الدسم ومُلئت بالأباطيل عن الإسلام وما يتعلّق به، ومن المؤسف أنها مرجع الكثير من المثقفين عندنا بحيث يعتبرونها حجة<sup>(١)</sup>.

(١) ص ٢٠٦، ٢٠٩، لمحات من الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب.

وكانت بعض الصحف الغربية أدوات رئيسية في هذه المعركة وفي مقدمتها (جريدة التايمز) التي يمكن للقراء بالاطلاع عليها العلم بأنها أشد الصحف عداوة للإسلام وتأجيجاً لضراوة الحملة عليه.

من وسائل الاستشراق عقد المؤتمرات من أمثال مؤتمر لكنهו سنة ١٩١١. عقد مبشرو البلاد الإسلامية من البروتستانت مؤتمرهم الثاني العام في مدينة لكنهو الهند يوم ٢١ يناير سنة ١٩١١، أي بعد خمس سنوات من مؤتمر القاهرة؛ ومعلوم أن المبشرين كانوا قد تفاوضوا في مؤتمر أدنبرج عن مقاومة الإسلام ودرسوا وسائل مناضلته من كل الأوجه. ولما عقدوا مؤتمر لكنهو ارتحوا إلى ما رأوا من نجاحهم واشتركوا مع رئيسهم القسيس زويمر في معرفة موقف الإسلام وقوته وأسبابها، وأظهروا استعداداً لتطبيق أعمالهم على الحالة الحاضرة.

والظاهر من مطبوعات البروتستانت ومنتشراتهم أنهم يتذرعون بالمؤدة في بذل المجهود لمعرفة موقفهم وميدان عملهم ودرس عامتها وهم لا يفوتون شيئاً من هذا القبيل ومنشأ هذا التضامن في جماعة المبشرين البروتستانت هي المواهب العملية التي امتاز بها الأنكلوسكسيوني والمزايا النظامية التي اختص بها германي. ثم قالت هذه المجلة: طلبنا من القسيس زويمر أن يوافينا بملخص أعمال المؤتمر منذ انعقاده فأجابنا إلى طلبنا وأرسل لنا مجموعة تضمنت أبحاث المبشرين في ذلك المؤتمر.

## الاستشراق واستغلال الشعوب والمؤسسات العلمية

قال شكيب أرسلان: ثم اطلعت في هذا الكتاب<sup>(١)</sup> نفسه عن فصل آخر لمبشر يقال له المسيو فور يتكلم عن البعثة الإنجيلية في بلاد الغابون أو الكونغو الفرنسي يقول فيه: إن هذه البلاد بعد أن ضمت إليها مستعمرة الكامرون الألمانية صارت بقدر فرنسا أربعاء أو خمس مرات وأن سكانها أقوام مختلفة من سود إفريقيا منهم مسلمون وأكثرهم فنيشيون؛ ومن جملة ما ورد في هذا الفصل قوله:

إن الأوروبيين قد جنوا على السلالة السوداء جنایات كثيرة لا مندوحة لهم من التكفير عنها، فإذا كانت أمم لمبونغوي والغالوة والنکومي وغيرها قد انفرض أكثرها فما ذاك إلا لكون النخاسين البيض كانوا يصطادون أبناء هذه الأقوام ويستعبدونهم وبيعونهم، ولكون أكثر أرباح التجار البيض هي من تجارة السلاح والبارود والمكسرات.

وبالآخر فلننقل الحقيقة وهي أن الزنا مع ما يجره من الأمراض التي كانت تفني هؤلاء الزوج إنما فشا فيهم بواسطة الأوروبيين. ولكم من جرم حَرَّةُ الأوروبيون بين هؤلاء السود المؤسأء. ومما لا نقدر أن نكابر فيه هو أن الاستعمار العصري إن هو إلا استغلال المستعمرات وأهلها بأيّ وجه كان.

وقال المبشر «المسيو الليغر» في معرض حديثه عن (الكامرون):

أما موضوع الإسلام فهو من الطول بحيث لا أقدر أن أفتحه، فقد سبق لنا أن بينما كيف أن (نجويا) سلطان اليمون ولّى وجهه شطر الإسلام ولكن إسلامه كان ممزوجاً بعقائد وثنية أخرى وأخرى مسيحية وقد صنف كتاباً يعلن فيه مذهبة وسماه «طريق الحياة» وفي الحقيقة أنه (فيتشي) يعني أنه وثني - لم يسلم إلا ليكون القائد المطلق لشعبه ولو لم

(١) «عصر في إفريقيا والأوقيانوس» لجمعية التبشير الإنجيلية الباريسية مطبوع في السنة ١٩٢٣.

تكن البعثة الإنجيلية قد دخلت في البلاد لربما كان الإسلام قد عَمَّها، وقد خالطت بنفسها أمة (البله) الذين في بامون فوجدهم مسلمين غير متغصبين وهم على جانب من الوداعة، فظهر لي أنه يمكننا زرع الإنجيل بين هذه الأمم التي تغلغل فيها الإسلام، وأن نوقف تقدمه بل نهاجمه رأساً في أماكنه فيلزم أن نعيد إلى الكنائس الأهلية الصبغة التبشيرية ونجعلها دائماً تحت سيطرة رسالات رعاية ولا نفك عن الدعوة ونذكر كنائس سواحل الكاميرون بأن الإسلام الذي أخْنَى على جميع كنائس شمال إفريقيا عليه أن يخْنَى عليها هي إن لم تتدارك هذا الخطر عاجلاً<sup>(١)</sup>.

**المؤسسات التعليمية والمهنية:** وقد اتخذت المدارس والجامعات وسيلة من وسائل تثبيت أركان الاستعمار في البلاد الإسلامية ولم يكن ذلك يتَّخذ طرِيقاً سرياً بل بعضهم يعلن ما يخفى في نفسه دون خجل أو احترام لأهل البلد الذي ينعم بخيراته (يقول المستر بنروز رئيس الجامعة الأمريكية بين سنة ١٩٤٨ - ١٩٥٤) يقول: (إن المبشرين يمكن أن يكونوا قد خابوا في هدفهم المباشر وهو تنصير المسلمين جماعات جماعات إلا أنهم قد أحدثوا بينهم آثار نهضة...) ثم يتَّبع قوله فيقول: (ولقد برهن التعليم على أنه أثمن الوسائل التي استطاع المبشرون أن يلْجُؤوا إليها في سعيهم لتنصير سوريا ولبنان).

ويبدو أن معنى قوله: (قد أحدثوا بينهم آثار نهضة) المقصود به العمل على سلخ المسلمين عن دينهم؛ وهذا فيما يبدو لي هو هدف المبشرين الذي أثبتته زويمر في مؤتمر المبشرين حين قال: (ليس هدفاً أن نشرف المسلمين بال المسيحية وإنما هدفنا أن ننشئ جيلاً لا يؤمن بالله) وستتحدث في مجال آخر عن التعاون بين التبشير والحركات الإلحادية في بذر الأفكار الكافرة الملحدة وتشكيل المسلمين بربهم وبدينهم.

إن جميع الأعمال التي تقوم بها المؤسسات الموفدة إلى بلاد المسلمين يجب أن تستغل كل أعمالها لخدمة التبشير وتشييد دعائم الاستعمار.

(١) حاضر العالم الإسلامي ج ٢ ص ١٨ التبشير.

ولقد استخدم المبشرون جميع الطرق في سبيل التبشير واستغلوا جميع المناسبات؛ فصناعة التطبيب والتعليم والوعظ ونقل الكتب من لغة إلى لغة كلها يجب أن توجه توجيههاً يفيد التبشير.

وقد استخدمت مهنة الطب كوسيلة من وسائل التبشير والاستعمار؛ ولقد ضاعت الأهداف الإنسانية في مهنة الطب وصرح هؤلاء المبشرون بغايتهم من الأعمال الطبية وغيرها فيقول الطبيب هارنسون في كتابه: «التطبيب في بلاد العرب»:

«إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة عمان بأسرها. لقد وُجِدْنَا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى»<sup>(١)</sup>.

وقالت ايرا هاريسي تنصّح الطبيب الذاهب بمهمة تبشيرية: «يجب أن تنتهز الفرص لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرر لهم الاهتمام بالإنجيل. إياك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات فإنه أثمن تلك الفرص على الإطلاق ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك: إن واجبك التطبيب فقط لا التبشير».

ومما نجده من الكتب المسمومة التي تُدرَس في بلادنا ومنها الطعن الفاحش وسوء الخلق وانعدام المروءة والحدق الكبير على الإسلام وأهله وهذا كتاب يُدرَسُ مثلاً في الصف الرابع من المدرسة البطريركية في بيروت ويدرس بلا ريب في مدارس أخرى كثيرة في لبنان وفي غير لبنان (وهو مطبوع في لبنان) والاسم الكامل لهذا الكتاب هو هذا تاريخ محاضرات ج إيزاك. حررها أ. البا للشرق الأدنى، لطلبة الصف الخامس (العصور الوسطى) طبعته مطابع الآداب الفرنسية في بيروت جاء في هذا الكتاب: ص ٣١.

وأتفق محمد أثناء رحلاته أن يعرف شيئاً قليلاً من عقائد اليهود والنصارى، ولما أشرف على الأربعين أخذت تراءى له من رؤيا أقنعته بأن الله اختاره رسولاً.

ص ٣٢ : والقرآن مجموعة ملاحظات كان تلاميذه يدونونها بينما كان هو يتكلم ، وقد أمر محمد أتباعه أن يحملوا العالم كله على الإسلام بالسيف إذا اقتضت الضرورة .

ص ٣٦ : وبينما كان محمد يعظ كان المؤمنون به يدونون كلماته على عجل .

ص ١٢٦ : دخلت فلسطين في سلطان الكفرة منذ القرن السابع للميلاد .

وأما كتاب تاريخ فرنسا تأليف هـ. غيومان وفـ. لوستير (الصفوف الشهادة الابتدائية) هذا الكتاب يدرس في مدرسة القديس يوسف للبنات في بيروت ، وفي مدارس هذه الإرسالية في غير بيروت بلا ريب وقد جاء فيه مما نحن بصدده ص ٨٠-٨١ : إن محمداً مؤسس دين المسلمين قد أمر أتباعه أن يُخْضِعُوا العَالَمَ وأن يبدلوا جميع الأديان بدینه هو . ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين وبين النصارى : إن هؤلاء العرب قد فرضوا دینهم بالقوة وقالوا للناس : «أَسْلَمُوا أَوْ تَمُوتُوا» بينما أتباع المسيح رَسَّخُوا النقوس بيرهم وإحسانهم . ماذا كان حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا؟ إذاً لكننا نحن اليوم مسلمين كالجزائريين والمراكشيين .

### **النتائج السلبية للدراسات الاستشرافية:**

١- يقول أحد الباحثين عن نتائج الاستشراف ما يلي : ( . . . ) . ومهما كانت درجة احتفاظ الاستشراف بالغموض الذي أحاط به ك مجرد ميدان من ميادين الدراسة فلم يكن ممكناً إلا أن يكون الاستشراف متورطاً في كل التطورات التاريخية التي حدثت في العالم الثالث ، فالاستشراف هو الذي بسط لهم أسباب السيطرة ونظم المعلومات التي عاد بها المستكشفون ، ووفر الخطوط الأساسية لإرشاد الغزاة والفاتحين ، وأخيراً تقدم للشعوب المقهورة بنظريات لخضوعهم وتخلفهم وافتقارهم إلى التنمية وعدم قدرتهم على استيعاب العلوم بالإضافة لخلق الاختلافات المذهبية والنعرات الطائفية .

٢- إذا كان الاستعمار وقواه احتلت الأرض وسلبت الأموال واستغلت الخيرات وعاثت في البلاد الفساد - فقد كان أخطر النتائج التي أعقبت الغزو العسكري ذلك الغزو الصليبي الجديد هي تلك التبعية الثقافية التي بدأت إعجاباً بالمعالم المدنية والمبتكرات الصناعية وتحولت إلى شيع روح الانهزام الفكري وضياع روح الاعتزاز بالشخصية الإسلامية لدى فريق من تخرج على أيدي أساطين الاستعمار ووفق خططه ومناهجه إلا أن تأثيرهم السيء قد تسرب إلى المجتمع الإسلامي بل تَعدَّى الأمرُ أَنْ بعض المسلمين يرددون بلامه وضياع شخصيته - كلمات الرجعية والتقدمية والتطور والتجديد، ويحاول أن ينقل التجارب الخاصة بالغرب وحده إلى الجو الإسلامي نقاً تماماً دون تمحيص أو تمييز، وانتشر الإلحاد والانهيار الخلقي، وأخذ التقليد لأعداء الإسلام صورة التشتبث التام بأسس الثقافة الغربية والحضارة المادية بل لقد بلغ الإسفاف في هذا التقليد حدَّ الذوبان الكامل في بعض تفاهات المجتمع الغربي وأوضاعه التي يشكوا هو منها وصحَّ في هؤلاء قولُ الرسول ﷺ: «لَتَبْعَنَّ سَنَنَ مِنْ قَبْلِكُمْ شَبَرًا أوْ ذرَعًا بذراع حتى لو دخل أحدهم جُحْرَ ضب لدخلتموه . . . .».

وقد كان لهذا الغزو الفكري آثار بالغة في تأثير الثقافة الغربية على الناشئة المسلمة فلقد كان الاستعمار بحملاته العسكرية وغزوه الفكري وسيطرته السياسية والاقتصادية محننة حقاً للعالم الإسلامي كله<sup>(١)</sup>.

وأخطر النتائج السلبية التي خلفتها الأعمال الاستشراقية هي:

أ- تشويه الثقافة والفكر المسلمين بجوانبها المتعددة في العالم الإسلامي وعنده المجتمع الغربي.

ب- إضعاف الروح الدينية والأسس العقائدية عند المسلمين - أي انخفاض الروح الدينية بين المسلمين، واعتاد المسلمون نتيجة ذلك الحكم الكافر وأنظمته.

(١) انظر: الإسلام في غزوة جديدة، أنور الجندي ص ٣٤-٣٥.

- ج- قيام الأوضاع الاجتماعية والسياسية الكافرة في العالم الإسلامي .
  - د- تحريف الأسس - بل الدين الإسلامي - بأسماء وشعارات براقة مثل بدع التجديد .
  - هـ- انتشار الأفكار الغربية المسيحية والسيطرة الاستعمارية العسكرية والسياسية في العالم الإسلامي .
  - و- انقسام العالم الإسلامي إلى دول وبلاد مختلفة ومتنازعة فيما بينها في كثير من الأحيان .
  - ز- تسمم العقل الأوروبي تجاه الإسلام ، وخلق نظرة غريبة الهيبة وحاقدة على الإسلام .
- ٤- إن الاستشراق قد فشل في أن يكون دراسة إنسانية بنفس القدر الذي فشل فيه بأن يقدم لنا دراسة ثقافية ، فهو بمقتضاه التي اتسمت بمعارضة لا تلين تجاه منطقة معينة من العالم يعتبرها غريبة عليه أظهر تقاوياً في التعاطف مع الخبرات الإنسانية .

# الفصل الرابع

## مناهج المستشرقين في القرآن الكريم

### المبحث الأول

#### دراسة تحليلية في أصنافهم والمأخذ عليهم

يبدو من دراسة مناهج المستشرقين في القرآن الكريم ما يأتي :-

١. الصنف الأول وهو الصنف الأكاديمي الذي درس الاستشراق دراسة منهجية في الجامعات والماضي العلمية وهؤلاء يغلب عليهم التعصب ولهم أهداف مسطرة من قبل الحكومات والحركات التبشيرية المتعددة.
٢. الصنف الثاني وهم الذين يكتبون عن الإسلام والشرق وهم قسمان.
  - أ. قسم أرادوا أن يحققوا أهدافاً معينة فيها انتقاد من الإسلام وأهله ولهذا نجد في دراساتهم العشوائية والبعد عن المنهج العلمي ويبدو الحقد فيها واضحاً.
  - ب. قسم لم يضع مسبقاً أهدافاً معينة وهم قلة ولا يزال في نفوسهم بعض للإسلام وأهله ولذا نجد في كتبهم الغث والسمين<sup>(١)</sup>.

**المأخذ على المستشرقين التي أدت إلى وقوعهم في الخطأ:**

أولاً. عدم أخذ الإسلام من مصادره الأصلية، الكتاب والسنة أو من العلماء المسلمين والمعتمدين وإنما اعتمدوا في دراساتهم ما كتبه من سبقهم من المستشرقين ولهذا صار عندهم أعلام وفلاسفة كتبوا عن الإسلام واعتمدت آراؤهم ومن هؤلاء الجنس كولدسيهير وشاخت وغيرهما مما جعل أغلب دراساتهم تتسم بالنقص والتشوية والبعد عن المنهج العقلي المعهود.

(١) دراسة في الحديث النبوى الشريف.

ثانياً. يضع أحدهم الهدف والنتيجة أولاً ثم يتلمس الأدلة الواهية أو المختلقة للوصول إلى ذلك فمثلاً يضع في المقدمة أن القرآن الكريم ليس من الله تعالى وحيا على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ولهذا نجدهم يتحدثون عن تجارة النبي (صلى الله عليه وسلم) ويصوغون فوق ما ذكر الأساطير والافتراضات.

ثالثاً. وتدل مناهجهم على أنهم لا يريدون أن يعترفوا إلا بديانتي اليهودية والمسيحية<sup>(١)</sup> ويعدون كلما ذكر في الإسلام إنما هو مأخوذ منهما حتى وصل الأمر ببعضهم إلى أن يصور النبي محمداً (صلى الله عليه وسلم) قسا نصرانياً تمرد على البابوية وأراد أن يظهر زعيماً دينياً جديداً وهذا الاتجاه هو الاتجاه الفكري الاستعماري نفسه الذي يريد أن يخضع العالم الإسلامي لهؤلاء وليس لمسلمٍ أن يقود أهل الكتاب في المسيرة الإنسانية العالمية.

رابعاً. تسمى مناهجهم بالتشكيك دون التحقيق العلمي والاستدلال العقلي فيكتفي عندهم أن يقولوا عن الوحي الذي نزل على الرسول (صلى الله عليه وسلم) إنه مرض عقلي يصيبه فيكون معه هذيان (وهو ما ينطق به الرسول صلى الله عليه وسلم) عن ربه من آيات الله تعالى الله عما يقولون علواً كباراً ولا يعقبون على أقوالهم بأي دليل يدل على ما ذكروا فإن الأقوال التي تصدر عنهم يصابون بالحمى تكون مضطربة وغير منضبطة. والقرآن المنزلي عن الله معلوم في إعجازه واتساقه الفكري.

خامساً. بعد عن دراسة نصوص القرآن الكريم وخاصة عند أولئك المغرضين فقد ابتعدوا في مناهجهم عن مناقشة القرآن الكريم في إعجازه واشتماله على نظام إنساني كامل مما لم تعهد به التوراة والتلمود والأناجيل المتعددة لكون هذا يصل إلى حقائق لا يريدون ذكرها وإظهارها وابتعدوا عن مناقشة السنة النبوية المؤلفة وما احتوته من قواعد وأحكام وحكم ونظريات إنسانية خالدة.

---

(١) مناهج المستشرقين - د. عبد القهار العاني د. سعدون السامرائي ص ٦١-٦٧ وزارة التعليم العالي - بغداد.

سادساً. البعد عن قواعد المنطق السليم والمنهج العلمي : لقد وجدت أغلب المستشرقين في دراستهم القرآنية لا يلتزمون قواعد العلم والمنطق وإنما يضعون لأنفسهم مقدمات خاطئة باطلة ويبنون عليها التائج وهو يشبه منهج اليهود في محاججة المسلمين في قضية القبلة.

إنهم يدعون رأيهم حقاً علمياً لا ينافش ورأي غيرهم يتسم باللافهمية وعدم العلمية ولهذا نجد هم يبنون على ما توصلوا إليه من نتائج دون مراجعتها وتدقيقها ومن هنا وجدنا بعضهم يحمل حملة عشواء على بعض المستشرقين المنصفين في بعض القضايا وينعثونهم بأوصاف الجهل وعدم اتباع قواعد المنطق والبعد عن الموضوعية.

سابعاً. عدم الإحاطة العلمية التامة بالموضوع : فحيث يتحدثون عن موضوع معين لا تجد هم يستقصون النصوص والأراء وإنما يكتبون بحدود نصوص معينة يرون فيها تحقيق أهدافهم وترويج أباطيلهم .

ثامناً. الحرص على إتقان عملية التسلل الفكري بطريقة لا يشعر بها إلا القليل من الباحثين وذلك بالمدح والإطراء على الرسول ﷺ وعلى بعض جوانب معينة من الإسلام ومن ثم الانتقال إلى إبراز هوة الخلاف المزعوم في الفكر الإسلامي والعقائد والاستشهاد بأحداث تاريخية مشبوهة لا يعرف حقيقتها إلا من درس أسبابها وملابساتها ونتائجها ويظهر ذلك هولد فيكيو ماراتش (١٨٠٠-١١٧٢) (الذي كان يسمى بالمرعشي . فهو يقول في كتابه (دراسة عن الإسلام ) (لو أردت وصف حياة محمد حسب رواة كتابنا لتعرضت لسخرية المسلمين فإن هناك اختلافاً كبيراً بين ما نتناقله نحن عن محمد وبين ما يراه المؤرخون المسلمون حتى إن القارئ لا يكاد يصدق أن الكلام في الحالتين يدور حول الشخص ذاته ولذلك سوف أتبع المؤرخين ليس لأنني أعتقد بصدق كل ما يقولون بل لأننا إذا أردنا مكافحة أعداء أمتنا لا بد لنا أن نحاربهم بأسلحتهم أضعف إلى ذلك أن كثيراً من كتابنا يذكرون أموراً عن محمد لا يمكن أن تشير لدى المسلمين إلا السخرية ولا تزيدهم إلا تمسكاً بعقائدهم الباطلة<sup>(١)</sup> .

(١) المستشرقون بين الانصاف والعصبية ، محمد علوى مالكى مطابع سحر جدة، ٤٠٢، ومناهج المستشرقين ص ١٣٧ - والفكر الاسلامي الحديث ص ٥٩٣ - ٦٠١ عن المستشرقين الناطقين بالإنجليزية مجلة The Muslim World عدد تموز ٢٩٦٣ ترجمة د. محمد فتحى عثمان.

## المبحث الثاني

### غوستاف لوبيون والقرآن الكريم

ومن تحدث عن القرآن الكريم العلامة لوبيون ورغم أنه عرف بالمعرفة والتحقيق لكن لكونه لم يعرف حقيقة القرآن وتاريخه فقد وقع في أخطاء من خلال بحثه فقال في مبحث - خلاصة القرآن - :

القرآن هو كتاب المسلمين المقدس ودستورهم الديني والمدني السياسي الناظم لسيرهم وهذا الكتاب المقدس قليل الارتباط مع أنه أُنزل وحياً من الله على محمد؛ وأسلوب هذا الكتاب وإن كان جديراً بالذكر أحياناً حال من الترتيب فقد السياق كثيراً ويسهل تفسير هذا. عند النظر إلى كيفية تأليفه قد كتب تبعاً لمقتضيات الزمان بالحقيقة؛ فإذا ما اعترضت محمداً معضلة أتاه جبريل بوجي جديد حلّ لها دون ذلك في القرآن ولم يجمع القرآن نهائياً إلا بعد وفاة محمد وبيان الأمر أن محمداً كان يتلقى في حياته عدة نصوص عن الأمر الواحد فلما انقضت عدة سنين على وفاته حمل خليفته الرابع<sup>(١)</sup> على قبول نص نهائي للقرآن مقابلاً بين ما جمعه أصحاب الرسول، والقرآن مؤلف من مئة وأربع عشرة سورة وكل سورة مؤلفة من آيات؛ ومحمد هو الذي يتحدث فيها باسم الله على الدوام.

ويعد العرب القرآن أفعى كتاب عرفه الإنسان ومع ما في هذا من مبالغة شرقية نتعرف بأن في القرآن آيات موزونة رائعة لم يسبق إليها كتاب ديني آخر<sup>(٢)</sup> وتقرب فكرة الكون الفلسفية في القرآن مما في الديانتين الساميتين العظيمتين اللتين ظهرتا قبل الإسلام أي

(١) الصحيح أن الخليفة الثالث هو الذي فعل ذلك فكان عزوه إلى الخليفة الرابع سهواً من المؤلف (المترجم).

(٢) إن إعجاز القرآن معلوم ثابت متواتر تحدى الله العرب والعجم من أن يأتوا بسورة مثله.

اليهودية والنصرانية وزعم أن العنونات الآرية والفارسية أو الهندية ذات نصيب ظاهر في النصرانية والإسلام؛ ونحن نرى التفاؤل الآري في الإسلام ضعيفاً جداً.

وقد استشهد بآيات قرآنية لكل موضوع اختاره فقال:

وإنني أبدأ بما جاء في القرآن عن مصدره وعن قرباه الوشیحة بالكتب المقدسة التي أتت قبله:

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨].

﴿ذَلِكَ الْكِتَبُ لَا رَبَّ لَهُ هُدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

﴿وَإِنَّهُ لَنَزَيلٌٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ يُلِسَانٌ عَرَبِيٌّ مِّيزَانٌ وَإِنَّهُ لِنَفِيِّ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٦].

﴿كَلَّا إِنَّهَا لِذِكْرٍ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَ فِي صُحْفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ يَأْتِيَ سَفَرَةٍ كَرَامٍ بَرَّةٍ﴾ [عبس: ١١-١٦].

## خلاصة القرآن الكريم وأسلوبه

﴿فَلَا أُقِيمُ بِالْحُكْمِ﴾<sup>(١)</sup> **الجواري الكنس**<sup>(٢)</sup> **وَالْيَتِيلِ إِذَا عَسَعَ﴾<sup>(٣)</sup> **وَالصَّبِيجِ إِذَا نَفَسَ** إِنَّمَا لَقُولُ رَسُولِ كَرِيمٍ ذِي  
فُؤُّهَ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التوكير: ١٥ - ٢٠].**

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كَتَبْ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِشَذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
وَيُشَرِّئَ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأحقاف: ١٢].

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الَّذِينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى  
وَعِيسَى أَنَّ أَفِيمُوا الَّذِينَ وَلَا تَنْفَرُوهُ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وَإِلَهُ مُحَمَّدٌ وَاحِدٌ فِي السَّمَاوَاتِ، وَاسْمُعْ تعرِيفَ النَّبِيِّ: <sup>(٤)</sup>

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٣].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ الْيَتِيلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكِ الَّتِي يَجْتَرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ  
الْأَنَاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْيَسَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ  
الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَحَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَيَّدَتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

(١) **الْحُكْمِ**: الكواكب السيارة التي ترجع إلى أول البرج وسميت خنساً لتأخرها.

(٢) **الجواري الكنس**: الكواكب السيارة لأنها تجري مع الشمس والقمر وترجع إلى أول البرج حتى تختفي تحت ضوء الشمس.

(٣) **عَسَعَ**: أقبل بظلماته أو أدىبر وهو المناسب لقول (إذا نفست).

(٤) كان الأولى أن يقول لوبيون الفرنسي: واسمع تعريف القرآن الكريم الذي أنزل على النبي ﷺ له ولكنه كبقية المستشرقين لا يعترفون بأن القرآن الكريم من عند الله وأن محمداً ﷺ هونبي مرسل من الله.

## الله في القرآن الكريم:

وإله القرآن الواحد وإن يكن شديداً شدّة إله التهارة جبار عزيز ذو انتقام يفعل ما يشاء  
ولا يُسأل عما يفعل ، جاء في القرآن :

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الرعد: ٦].

﴿ وَالْفَجْرِ ☆ وَلَيَالٍ عَشْرٌ ☆ وَالشَّفَعِ وَالوَتْرِ ☆ وَالنَّيْلِ إِذَا يَسَرِ ☆ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسْمٌ لِذِي حِجْرٍ ☆ إِنَّمَا تَرَكَيفَ فَعَلَ رَبِّكَ بِعَادٍ ☆ إِرَامَ ذَاتِ الْعِمَادِ ☆ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْأَرْضِ ☆ وَتَمُودُ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّحْرَ بِالْوَادِ ☆ وَفَرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ ☆ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْأَرْضِ ☆ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادِ ☆ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبِّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ☆ إِنَّ رَبَّكَ لِيَأْمُرَ صَادِ ﴾ [الفجر: ١-١٤].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِغَايَتِي اللَّهُ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو أَنْتِقَامٍ ﴾ [آل عمران: ٤].

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرَى وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ٢١].

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرَقَ خَوْفًا وَطَمَعاً وَيُنَشِّئُ السَّحَابَ أَثْقَالًا وَيُسَيِّحُ الرَّاعِدَ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ، وَيُرِسِّلُ الْصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَدِّلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِالِ ﴾ [الرعد: ١٢-١٣].

## القرآن وخلق السموات والأرض ويوم الحساب:

وما جاء في القرآن من نص على خلق السموات والأرض في ستة أيام وخلق آدم والجنة وهبوط آدم منها ويوم الحساب مقتبس من التوراة . . .

وهكذا نجد أن غوستاف لوبيون يقع في الوهم الذي وقع فيه غيره من أن القرآن أو بعضه قد اقتبس من التوراة والإنجيل، والأمر الذي يجب أن يعلم أن القرآن الكريم تحدي العرب والعجم والإنس والجن أن يأتوا بمثله سورةً أو آيات من القرآن الكريم. قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسَانُونَ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضُظُهُمْ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

والقرآن الكريم قد احتوى من المعرفة والأنظمة وقصص الغيب ما لا نجده في الكتب التي سبقته.

وإليك وصف محمد ليوم الحساب<sup>(١)</sup>: وكان الأولى به أن يقول بوصف القرآن الكريم ليوم الحساب لأن القرآن الكريم من عند الله وليس من عند النبي محمد ﷺ قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْيَالًا فَأَكَثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [النساء: ٨٢].

ثم ذكر الآيات :

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ يَوْمَ يَفْرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخْيَهُ وَأَمْهُ وَأَبِيهِ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ ﴾ [عبس: ٣٣-٣٦].

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ☆ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ اتَّثَرَتْ ☆ وَإِذَا الْبَحَارُ فُجِرَتْ ☆ وَإِذَا الْقُبُوْرُ بُعْرَتْ ☆ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَلَخَرَتْ ﴾ [الأنفطار: ١-٥].

﴿ وَالشَّمْسِ وَضَحَنَهَا ☆ وَالْقَمَرِ إِذَا نَلَهَا ☆ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ☆ وَاللَّيلِ إِذَا يَغْشَلَهَا ☆ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَهَا ☆ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَنَهَا ☆ وَنَفْسِ وَمَا سَوَّنَهَا ☆ فَأَلْهَمَهَا بُجُورَهَا وَتَقْوَنَهَا ☆ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا ☆ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴾ [الشمس: ١-١٠].

(١) لوبيون ص ١٢٠ .

﴿ يَوْمَ تَبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزَ وَاللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ☆ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ [ابراهيم: ٤٨-٤٩].

﴿ وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ☆ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَهُ بِالنَّيْسَانَ وَالشَّهَادَةِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ☆ وَوَقَيَّتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ☆ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زَمَّارًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهُ وَهَا فُتُحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَرَنَتْهَا اللَّمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتَلَوَنَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمَكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكُفَّارِينَ ☆ قِيلَ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا فَيَسَّرْ مَثَوِي الْمُتَكَبِّرِينَ ☆ وَسِيقَ الَّذِينَ أَتَقْوَاهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زَمَّارًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهُ وَهَا فُتُحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَرَنَتْهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبِيعَةً فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر: ٦٨-٧٣].

وفي النار ضروب العذاب كما يرى محمد، ومن ذلك:

﴿ وَسَقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥].

﴿ وَأَصْبَحَ الشَّمَاءُ مَا أَصْبَحَ الشَّمَاءُ فِي سَمَوَاتِ وَحْمِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٤١-٤٢].

﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ وَالْأَيْلَلِ إِذَا أَذْبَرَ وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكُبُرِ ﴾ [المدثر: ٣٢-٣٥].

وفي الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ومن ذلك:

﴿ مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُنْفَعُونَ فِيهَا أَنْهَرٌ مِّنْ مَاءٍ غَيْرِ مَاءِ سِينٍ وَأَنْهَرٌ مِّنْ لَبَنٍ لَمَّا يَنْغِيرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَرٌ مِّنْ حَمْرَ لَذَّةِ لَلشَّرِّيْنِ ﴾ [محمد: ١٥].

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَسَّأَلُونَهُمْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا نَاقِلِ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ☆ فَمَنْ كَانَ اللَّهُ عَلَيْهَا وَوَقَنَا عَذَابَ السَّمُومِ ☆ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الرَّحِيمُ ﴾ [الطور: ٢٥-٢٨].

﴿ إِنَّ الْمُنْقَذِينَ فِي جَنَّتِ وَنَهَرٍ ﴾ [القمر: ٥٤].

﴿ مُشْكِنَ عَلَى فِرْسٍ بَطَانَهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَنَ الْجَنَّاتِ دَانٌ ﴾ فِيَأَيِّ الَّاءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فِيهِنَّ قَاتِرَاتُ الْطَّرفِ لَهُ يَطِمِثُنَ إِنْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴾ فِيَأَيِّ الَّاءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ كَانُنَ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ فِيَأَيِّ الَّاءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ فِيَأَيِّ الَّاءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٌ ﴾ فِيَأَيِّ الَّاءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ مُدْهَامَاتٌ ﴾ فِيَأَيِّ الَّاءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاخَتَانِ ﴾ فِيَأَيِّ الَّاءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فِيهِمَا فَلِكَهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ ﴾ فِيَأَيِّ الَّاءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ فِيهِنَّ خَيْرَتُ حِسَانٌ ﴾ فِيَأَيِّ الَّاءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ﴿ [الرحمن: ٥٤-٧١].

﴿ وَأَخْبَتِ الْيَمِينَ مَا أَحْبَبَ الْيَمِينَ ﴾ فِي سِدْرٍ مَخْصُوْرٍ ﴾ وَطَلْحٍ مَنْصُوْرٍ ﴾ وَظَلْلٍ مَمْدُوْرٍ ﴾ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴾ وَفَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴾ لَا مَقْطُوْعَةٌ وَلَا مَمْنُوْعَةٌ ﴾ وَفَرْسٍ مَرْفُوْعَةٍ ﴾ ﴿ [الواقعة: ٢٧-٣٤].

### مسامحة الرسول ﷺ لليهود والنصارى:

وكان محمد كثير المسامحة لليهود والنصارى خلافاً لما يظن لا للملحدين ولا للمشركين الذين يوصي بمقاتلتهم، وإليك قوله عنهم: ﴿ إِنَّ شَرَ الدَّوَابَّ إِنَّهُمْ أَنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ الأنفال: ٥٥﴾.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَطْمَأْنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ مَا يَنْهَا عَنِفْلُونُ أُولَئِكَ مَا وَهُمُ الْنَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿ يوئس: ٨-٧﴾.

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيْرِ ﴾ ﴿ البقرة: ٢٥٦﴾.

﴿ وَقَاتَلُنَا عَلَىٰ أَثْرِهِمْ يَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَيْنَهُمْ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدَىٰ وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدَىٰ وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ وَلَيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِيْقُونَ ﴾ ﴿ المائدة: ٤٦-٤٧﴾.

﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَيْلًا ﴾ ﴿ المزمول: ١٠﴾.

﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يَنْزِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدَىٰ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿ الحج: ٦٧﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ مَاءْمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِعِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَنْلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ حَشِيعَ لِلَّهِ لَا يَشْرُونَ بِعِيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

﴿وَلَا يُجَدِّلُو أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِأَلْقَى هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا إِمَانًا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَحْدَهُ وَنَحْنُ لِنَحْنُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

## القضاء والقدر في القرآن الكريم.

ولم أجده في القرآن ما يعب به الشرقيون وما يمكن أن يعب به كذلك كثير من العلماء المعاصرين من الجبرية المزعومة فيجوز أن يعد به محمد أكثر جبرية<sup>(١)</sup> مما في التوراة، وإليك مع ذلك ما استطعت أن أجده جوهرياً في القرآن حول هذه المسألة:

﴿وَمَا أَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التوكير: ٢٩].

(١) الحقيقة أن هذه المسألة قد بحثها المسلمون واختلفوا فيها؛ ولا يوصف بها الرسول ﷺ؛ وإنما ظن ذلك لما وجد من آيات تدل على أن الأمر لله وحده؛ وأن القضاء والقدر لله عز وجل؛ فأطلق الفظكة الجبر على النبي ﷺ، وكما أن هناك آيات تدل على أن الإنسان جبري كذلك هناك آيات تدل على أن الإنسان مسؤول عن اكتسابه للأفعال، ولذلك يقول ابن رشد بعد بيان الأدلة السمعية التي تدعم كلاً من الرأيين: (ولذلك افترق المسلمون في هذا المعنى إلى فرقتين: - فرقа اعتقدت أن اكتساب الإنسان هو سبب المعصية والحسنة وأن اكتسب هذا ترتب عليه العقاب والثواب وهم المعتزلة - فرقة اعتقدت نقىض هذا هو أن الإنسان مجبور على أفعاله ومقهور وهم الجبرية). وأما الأشعري فإنهما رأوا أن يأتوا بقولٍ وسطٍ بين القولين فقالوا: - إن الإنسان كسباً وأن المكتسب به والكسب مخلوقان لله تعالى؛ بل الحق هو في التوسط بين هذين الرأيين، وذلك بأن نقرر أن أفعال الإنسان ليست اختيارية تماماً ولا اضطرارية تماماً وإنما واحد وهذا هو ما يميل إليه العلم الحديث الذي لا ينفي حرية تجري دائماً على نمط واحد وهذا هو ما يميل إليه العلم الطبيعية. «مناهج الدلة بن رشد» تحقيق د. محمود قاسم، ط٢، ص ١١٩.

﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلَنَا هَذِهِنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْفَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمٌّ عِنْدَهُ ثُمَّ أَتَتُمْ تَمَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢].

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٣].

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَضْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ شَيْئِنَ﴾ [سبأ: ٣].

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْشَى وَلَا تَنْصَعُ إِلَّا يُعْلَمُهُ وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعْمَرٍ وَلَا يُنَقْصُ مِنْ عُمْرٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر: ١١].

﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخِّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٤].

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ يُكَلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِمْ﴾ [التغابن: ١١].

﴿وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥].

## الرد على غوستاف لوبيون في مسألة نزول القرآن مفرقاً على النبي ﷺ

نزول القرآن مفرقاً على النبي ﷺ في بضع وعشرين سنة، وقد كان ينزل وفق الحوادث والأسئلة التي ترد، وقد ينزل القرآن في غير ذلك مراعياً إصلاح النفس الإنسانية وفق منهج رياضي خاص، وإن وراء نزول القرآن مفرقاً حكماً وأسراراً ذكر بعضها الله سبحانه وتعالى في كتابه كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَجَدَدَهُ كَذَلِكَ لَيُثْبِتَ بِهِ فَوَادَكُ وَرَأَنَنَّهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكُ بِمَثْلٍ إِلَّا حَتَّاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٢-٣٣].

فهذه الآية تدل دلالة واضحة على أن الآيات كانت تنزل تسلية وتشبيهاً للرسول ﷺ، بحضور مفتريات المشركين وأهل الكتاب مما يتقولونه ويترخصونه وقال تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا فَرْقَنَهُ لِشَرَّاقَوْ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] فتدل هذه الآية على حكمة التدرج في قراءة القرآن وفهمه، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يحفظون الخمس والعشر من الآيات مع العمل بها، بعد فهمها كاملاً.

والحكمة التي تتجلى في هذا التنزيل ولها أثراً في تربية الأفراد والجماعات وأخذ النفوس بما يلائمها ولا يخرج عن طاقتها المحدودة هو التدرج في التشريع، إذ بهذا التدرج أقلعت النفوس عن كثير من المساوىء الاجتماعية، التي لم يستطع أيُّ قانون أن يلغيها أو يحدّ منها، وأصدق مثل على ذلك أن الإسلام قد حرم الخمرة على مراحل فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِنَّمَا كَيْرٌ وَمَنْفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمْ مَا أَكْتَبْرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩] - فالعقل النير المؤهفة الإحساس أدركت سر هذا الحكم، فترك شرب الخمر، وبقي أغلبية الناس ثم نزل قوله تعالى: ﴿يَأَتَاهُمَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الْصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ شَكَرٌ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا نَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣]،

وذلك عندما جاء أحد المسلمين، وكان قد شرب الخمر قبيل الصلاة فأمّ الناس، فقرأ سورة [الكافرون]، وقرأ السورة خطأ «أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» [الكافرون: ٢]. فحذف «لا» من الآيات وذلك غير جائز للمسلم، وبعد نزول تلك الآية أدرك آخرون السر في تحريم شرب الخمر عن إتيان الصلاة فتركوها ثم نزل قوله تعالى: «يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحَلَقُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصَابُ وَالْأَرْتُمُ يَجْنُونَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [المائدة: ٩٠]، وعندما سمع المسلمون هذه الآية انتهى الجميع عن شربها، وتخلص المجتمع الإسلامي من رذيلة ومصيبة، من أعظم ما تصاب به الأمم. وهكذا نجد التجاوب النفسي بين الأفراد والقانون في التشريع الإسلامي، على عكس القوانين الوضعية التي يضعها بشر، لا يستطيعون التخلص عند وضعها من أهوائهم ورغباتهم.

في هذه أمريكا شرعت قانوناً بتحريم الخمرة، والتزمت هذا التحريم مجالس الكونغرس الأمريكية والمجالس الأهلية والجمعيات، وصرفت الحكومة آنذاك ملايين الدولارات - واستخدمت كل وسائل الإعلام والنشر، واستمر الحال على هذا أربعة عشر عاماً، فوقع الأمريكيون في شر من الخمرة وشربوا السموم الموجودة في شتى العقاقير كالسيروتون، كل ذلك لم يفعل فعل كلمة «فَاجْتَنِبُوهُ» التي وردت في القرآن الكريم، وعندئذ رجع الذين حرمواها فأباحوها، ورجع الناس إلى الخمرة كالسابق، بل أشد.

ولو أردنا أن نستقصي الحكمة في ذلك، لطال بنا النظر وقصرت الهمم، وأحجمت العقول عن إدراكتها، فإن تحت كل كلمة في القرآن سراً يهرب الألباب ويأخذ بالغوس، ولكننا نتلمس ما يتسع المجال فيه لمعرفة حكمة هذا التنزيل.

فإن طبيعة الإسلام كخاتم للآديان، يقضي بأن يهبيء الجماعة التي تستطيع أن تحمل رسالته بعد رسول الله ﷺ وإلى أن تقوم الساعة لأن رسالة الإسلام إنما هي رسالة عامة للبشرية جمياً، ورسول الله ﷺ إنما هو رسول للناس كافة، «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافِةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا» [سبأ: ٢٨]. حتى تستنير البشرية بهذا الدين، الذي جعله

الله كاملاً في كل شيء، يلبي حاجات البشرية فيما يصلحها قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكَمَّتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وأما عن القربى الوشيعة بالتوراة والإنجيل، فإن القرآن الكريم والتوراة التي أنزلت على موسى والإنجيل الذي أنزل على عيسى كانت وحىًّا من الله، وتتفق هذه الكتب السماوية في الأصول العامة فهي تؤمن بالله وبالنبوة وبال يوم الآخر وبالبعث والحساب والجنة والنار... إلخ. قبل أن يحلَّ تحريفٌ في التوراة والإنجيل.

## «التوحيد في القرآن الكريم»

لقد جاء الإسلام بالتوحيد الخالص وفارق كل الأديان التي خالطت في عقيدتها وخلطت في تصورها لوحدانية الله عز وجل فكانت الأقانيم عند النصارى وتصور اليهود الله عز وجل بما فيه خلط كثير بعيداً عن معاني التوحيد وصفات الله المترفة لله تعالى.

فهذا لوبون يقول<sup>(١)</sup> - فلسفة القرآن - انتشاره في العالم - مبيناً حقيقة التوحيد عند الإسلام: إذا أرجعنا القرآن إلى عقائده الرئيسية أمكننا عدّ الإسلام صورة مُبسطة عن النصرانية، ومع ذلك فإن الإسلام مختلف عن النصرانية في كثير من الأصول، ولا سيما في التوحيد المطلق الذي هو أصلٌ أساسي وذلك أن الإله الواحد الذي دعا إليه الإسلام مهيمنٌ على كل شيء مما لا قدرة للملائكة والقديسين عليه وغيرهم ممن يفرض تقديسهم، وللإسلام وحده أن يباهي بأنه أول دينٍ أدخل التوحيد إلى العالم.

ويبين لوبون الصفات المميزة للإسلام من حيث فطرته ووضوحه وسهولته مما جعل انتشاره عظيماً وقبوله سهلاً لما فيه من العدل والإحسان والمساواة: (وتشتَّق سهولةُ الإسلام العظيمة من التوحيد المحسن، وفي هذه السهولة سرّ قوة الإسلام، وإدراكهُ سهلٌ خالٍ مما نراه في الأديان الأخرى ويأبه الذوق السليم غالباً من المتناقضات والغواصات، ولا شيء أكثر وضوحاً وأقلَّ غموضاً من أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد وبمساواة جميع الناس أمام الله وببعضه فروضٍ يدخلُ الجنة منْ يقوم بها ويدخل النار منْ يُعرض عنها).

وإنك إذا ما اجتمعت بأيّ مسلم من أي طبقة رأيته يعرف ما يجب عليه أن يعتقد ويسرد لك أصول الإسلام في بعض كلمات بسهولة وهو بذلك على عكس النصراني الذي لا يستطيع حدثياً عن التثبت والاستحالة وما ماثلها من الغواصات من غير أن يكون

. (١) لوبون ص ١٢٥

من علماء اللاهوت الواقفين على دقائق الجدل. وساعد وضوح الإسلام البالغ وما أقرّ به من العدل والإحسان كل المساعدة على انتشاره في العالم، ونفسّر بهذه المزايا سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام كالمصريين الذين كانوا نصارى أيام حكم قياصرة القسطنطينية فأصبحوا مسلمين حين عرفوا أصول الإسلام، كما نفسّر السبب في عدم تَنَصُّرِ آية أمة بعد أن رضيت بالإسلام ديناً سواءً أكانت هذه الأمة غالبة أم مغلوبة.

ويجب على من يرغب في الحكم بفائدة كتاب ديني ألا ينظر إلى قواعده الفلسفية الضعيفة على العموم بل إلى مدى تأثير عقائده، والإسلام إذا ما نظر إليه من هذه الناحية وُجدَ من أشد الأديان تأثيراً في الناس وهو مع مماثلته لأكثر الأديان في الأمر بالعدل والإحسان والصلة... إلخ، يعلم هذه الأمور بسهولة يستمرئها الجميع، وهو يعرف فضلاً عن ذلك كيف يصب في النفوس إيماناً ثابتاً لا تزعزعه الشبهات<sup>(١)</sup>.

(١) المصدر السابق، ص ١٢٥-١٢٦.

## «القرآن والسيف»

لم يكن انتشار الإسلام إلا بسبب وضوح الإسلام وفطريته والمعاملة الحسنة التي كان يستخدمها أولو الأمر من المسلمين، فلقد كان أمراء المسلمين على نصيب عظيم من التواضع والتسامح والمساواة والعدل مما لم يعهدْهُ أولئك الأقوامُ من أبناء جنسهم، وإنما كانت القوة الإسلامية لحماية قوة العقيدة للناس، تختار الدين الذي يوافق فطرتهم ونظرتهم العقلية والنفسية؛ وهذا ما جعل الأقوام المختلفة من نصارى ويهود وغيرهم قد أسلموا؛ ولهذا تجد لوبيون يذكرون الآراء الخاطئة المضللة حول الإسلام والقرآن وانتشار الإسلام في العالم؛ ثم يذكر رأيه المبني على الدليل والواقع فهو يقول:

ورأى أعداء الإسلام من المؤرخين العجب من سرعة انتشار القرآن العظيمة فعزوها إلى ما زعموه من تحَلّلٍ محمدٍ وبطشه، ويسهلُ علينا أن نثبت أن هذه المزاعم لا تقوم على أساس فنقول: إن من يقرأ القرآن يجد فيه ما في الأديان الأخرى من الصراحة، وأنَّ ما أباحه القرآن من تعدد الزوجات لم يكن غريباً على الشعوب المسلمة التي عرفته قبل ظهور محمدٍ وأنَّ هذه الشعوب لم تجد نفعاً جديداً في القرآن لهذا السبب.

وما قيل من دليل حول تحلل محمدٍ نقضه العلامةُ الفيلسوفُ (بيل) منذ زمن طويل، وقال بيل بعد أن أثبتت أن ما أمر النبي بالتزامه من قيود الصيام وتحريم الخمر ومبادئ الأخلاق هو أشدّ مما أمر به النصارى (إن من الضلال أن يُعزى انتشار الإسلام السريع في أنحاء الدنيا إلى أنه يلقي عن كاهل الإنسان ما شَقَّ من التكاليف والأعمال الصالحة وأنه يبيح له البقاء على سيء الأخلاق وقد دون هونجر قائمة طويلة بالأخلاق الكريمة والأداب الحميدة عند المسلمين، فأرى مع القصد في مدح الإسلام أن هذه القائمة تحتوي أقصى ما يمكن أن يؤمر به إنسان من التحلّي بمكارم الأخلاق والابتعاد عن العيوب والآثام).

وسيرى القارئ حين نبحث في فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم أن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديانهم، فإذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الإسلام واتخذوا العربية لغةً لهم فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من ساداتهم السابقين ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم يعرفوها من قبل<sup>(١)</sup>.

وقد أثبتت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة فلما قهر النصارى عرب الأندلس فضل هؤلاء القتل والطرد عن آخرهم على ترك الإسلام. ولم يتشر القرآن بالسيف إذن بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت مؤخراً كالترك والمغول؛ وبلغ القرآن من الانتشار في الهند التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل ما زاد معه عدد المسلمين على خمسين مليون نفس فيها<sup>(٢)</sup> ويزيد عدد مسلمي الهند يوماً فيوماً مع أن الإنجليز الذين هم سادة الهند في الوقت الحاضر يجهزونبعثات التبشيرية ويرسلونها تباعاً إلى الهند لتنصير مسلميها على غير جدو؛ ولم يكن - القرآن - أقل انتشاراً في الصين التي لم يفتح العرب أيّ جزء منها قط، وسترى في فصل آخر سرعة الدعوة الإسلامية فيها ويزيد عدد مسلميها على عشرين مليوناً في الوقت الحاضر<sup>(٣)</sup>.

وقد كان لما نشره غوستاف لوبيون أثره في الدراسات الاستشراقية رغم أنه كانت له مواقف سيئة في نظرته إلى العرب كقوم معينين أو إلى قدرتهم الفكرية والعقلية، فهو أثر واضح يدل على الغيرة والحسد والتعصب للحضارة الأوروبية فكأنهم لا يريدون أن تظهر الحضارة الإسلامية وكأنها أصل للنهضة الأوروبية الحديثة أو نذ لها.

(١) لوبيون، ص ١٢٧-١٢٨.

(٢) أي في تلك الفترة التي كتب فيها لوبيون كتابه، الواقع ألهم أكبر من هذا الرقم بأضعاف مضاعفة.

(٣) لوبيون ص ١٢٨، أي زمن كتابة لوبيون لكتابه.

يقول المستشرق الفرنسي الأب الدكتور ميشال آلار من خلال حديثه عن الترجمة العربية لبعض كتب المستشرقين والتقليل من أهمية تلك الترجمة أو شمولها لمعاني النص الأصلي: (لنضرب مثلاً على ذلك: لقد سمعت بعض الطلاب يستشهدون بكتاب غوستاف لوبيون «حضارة العرب» على أنه يمثل الاستشراق الفرنسي والفكر المسيحي الغربي وهذا الكتاب ترجمته إلى العربية عادل زعير وظهرت طبعته الأولى في القاهرة سنة ١٩٤٥ ثم طبع ثانية سنة ١٩٤٨ وأعيد طبعه للمرة الثالثة سنة ١٩٥٦ وربما ظهرت طبعات أخرى منذ ذلك الحين. ومع هذا فإن قيمة الكتاب العلمية مشكوك فيها على أقل تقدير قبل كل شيء لأن تاريخ تأليفه يرجع إلى سنة ١٨٨٤ يوم لم تكن المعلومات المتاحة عن التراث العربي الإسلامي تمثل شيئاً يذكر ولأن نشر عدد كبير من المخطوطات في السنوات المائة الأخيرة أتاح لنا تجديد معرفتنا بتاريخ الحضارة العربية الإسلامية تجديداً كاملاً، ولهذا فإن كتاب لوبيون قديم وغير مُجدٍ، وفضلاً عن ذلك لم يكن للكتاب قيمة علمية كبيرة حتى إبان ظهوره، فالمؤلف وقد كان طيباً ولم يضع سوى عدد من الكتب التي تتنمي إلى كتب تبسيط المعرف وتعميمها أكثر من انتمائها إلى الكتب العلمية، ولقد اعتمد في تأليف كتابه على الكتب المترجمة إلى اللغات الأوروبية فقط لأنه كان يجهل اللغة العربية، فالقسم المتعلق بالتاريخ من كتابه ضعيف إذا).

ويظهر عدم منهجية البحث العلمي عند هذا المستشرق حيث إنه يستدل على عدم أهمية بحث لوبيون لكونه كان سنة ١٨٨٤ يوم لم تكن المعلومات المتاحة عن التراث العربي الإسلامي تمثل شيئاً يذكر ولأن نشر عدد كبير من المخطوطات.

في السنوات المائة الأخيرة أتاح لنا تجديد معرفتنا بتاريخ الحضارة العربية الإسلامية تجديداً كاملاً» ثم يصل إلى هذه النتيجة: - (ولذا فإن كتاب لوبيون قديم وغير مُجدٍ) لقد كانت هذه المقوله دليلاً على أن ما ذكره لوبيون هو قليلٌ بحقِّ الحضارة العربية الإسلامية، لأنَّه اعتمد على مصادر قليلة محدودة ومعظمها مترجمة عن الحضارة

الإسلامية، ومن المعلوم أن المخطوطات الكثيرة التي كُشفت بعد لوبون أظهرت الحضارة العربية الإسلامية في أعلى صورها في البحث العلمي والاختراعات العلمية ويفتهر عدم عدله في الحكم حين قال: (وفضلاً عن ذلك لم يكن للكتاب قيمة علمية كبيرة حتى إبان ظهوره).

وبعد ذلك يذكر ما يبرر أقواله حيث قال: - (وكان الأخطر من هذا كونه رجلاً ملحداً ذا ميول عنصرية واستعمارية ساذجة واضحة، وأنه يجاهر باحتقاره العميق للعرب المعاصرین متذرعاً بالموضوعية ولقد ذكر في الصفحة الرابعة والأربعين من كتابه ما يلي: «ليس البدوي العربي في واقع الأمر سوى نصف متوجش... نصف متواحش ذكي طبعاً إلا أنه لم يخطُ منذ آلاف السنين أي خطوة نحو الحضارة، وبالتالي فإنه لم يتأثر بأي من التحولات المختزنة في الإنسان المتحضر».

«ولقد اعتدنا اليوم أن نصدر أحكاماً على العرب من خلال النماذج المتحضرية التي يعرضها لنا سكان سوريا ومصر والجزائر وقد أذلتهم أنواع الاختلاط والاستعباد كافة».

إنه وإن كان لوبون رجلاً ملحداً فإن رأيه في الإسلام كما رأيناه رغم إلحاده يدل على أن الإسلام في مبادئه والقرآن في إنسانيته وسموه الروحي وأصالته الحضارية هو الذي دفعه إلى أن يذكر الآراء الصحيحة الواقعية في الإسلام وأهله، ومع كل ما ذكرناه فإننا نجد هذا المستشرق يرجع فيقول عن لوبون:

«وإنه في خاتمة كتابه لا يخفى مشاعره الاستعمارية والامبرالية إذ يقول:

«إن الشرقيين لا يفتقرن ليضارعوا شعوب أوروبا المتحضرية إلا إلى أمر واحد وهو أن يصبح لديهم طبقة كافية من الرجال المتفوقين وبضعة رجال عظام، ومن حُسن حظنا على كل حال أنهم يفتقرن إلى هؤلاء الرجال لأن نوعية جماهير شعوبهم ستتيح لهم بيسر عندئذ أن يحلوا محلنا وأن يتصدروا الحضارة بدورهم من جديد». يمكنكم أن تراجعوا قول لوبون في الصفحة ٦٧٤ من كتابه<sup>(١)</sup>.

---

(١) الدراسات العربية والإسلامية في بعض البلاد الأوروبية، جامعة بيروت العربية، الاستشراق =

ومع كل هذا التشكيك فإن أكثر ما أغاظه العبارة الأخيرة من قول غوستاف لوبيون: «لأن نوعية جماهير شعبهم ستتيح لهم يسر عندئذ أن يحلوا محلنا وأن يتصدروا الحضارة بدورهم من جديد».

وهكذا يظهر لنا عدم انضباط منهجه كثير من المستشرقين في الكليات أو الجزئيات مما يجعل الباحث في ريب دائمًا من البحوث الاستشرافية.

وإننا لنجد في لوبيون مع اعتدال منهجه ووضوح أحکامه وصراحته في مواضع متعددة لكننا نجده في مواضع أخرى متأثرًا بآراء أولئك المستشرقين الذين يخلطون في موضوع الوحي أو القرآن ومصدره والإسلام وربانيته وألوهيته، ولهذا وجدها فيما ذكر سابقاً وما سنورده من نصوص حين ينسب إلى الرسول ﷺ أنه أخذ من الأديان ما يلائم الإسلام وهو يبدأ بذكر فطرية الإسلام التي يعقلها العami كما يعقلها الفلسفه فهو يقول: - ومحمد لم يزعم أنه يكتب من أجل الفلسفه، وكان من مقاصد محمد أن يقيم ديناً سهلاً يستمرئه قومه، وقد وفق لذلك حين أخذ من الأديان الأخرى ما يلائمهم، ولم يفكر محمد في إبداع دين جديد قط وهو الذي أعلن أنه يسير على غرار مَنْ تَقَدَّمَهُ من آنباء بني إسرائيل من إبراهيم إلى عيسى قائلاً أن ما أُوحى إليهم صحيح، والحق أن اليهودية والنصرانية والإسلام فروع ثلاثة لأصل واحد وأنها ذات قربي وشبيهة. والدين الذي دعا النبي إليه الناس سهل جداً وقد عرفه محمد بالكلمات القليلة الآتية حين أتاه جبريل بزيري العرب وسألته عنه وهي: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحجج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً» وهذا التعريف الذي قبله جبريل تام كما هو واضح.

ويلخص المسلم الإسلام في هاتين الكلمتين اللتين لا يُنكرُ إيجازهما وهما: (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

---

= الفرنسي المعاصر للأب الدكتور ميشال آلارض ٤٥-٥١، طبعت في دار الأحد (البحيري إخوان)،  
بيروت.

(وأما قوله: إنه أخذ من الأديان الأخرى - ولم يفكر محمد في إبداع دين جديد قط وهو الذي أعلن أنه يسير على غرار مَنْ تَقَدَّمَهُ من أنبياء بنى إسرائيل-) وغير ذلك فإن هذا راجع إلى عدم فهم الأصول التي تتفق كل الأديان عليها وهي الإيمان بالله، الإيمان بالرسل، الإيمان بالغيب، والاعتقاد بيوم الحساب والجنة والنار.

وإن كون القرآن يثبت ما دعا إليه النبي محمد ﷺ هو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وهو دعوة الأنبياء جمِيعاً عليهم السلام، وأما غير ذلك فالإسلام دين من الله تعالى في كل نصوصه في القرآن الكريم والسنّة النبوية، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَ إِلَّا وَحْدَهُ يُوحِي﴾ [النجم: ٤-٣].

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

### المبحث الثالث

## جولد تسيهير ومنهجه في الدراسات القرآنية

١٩٣١-١٨٥٠

هذا الرجل عرف بشهرته العلمية عند الغرب والشرق وكانت بحوثه واسعة عميقه؛ ولكنه في الحقيقة رغم كل ما ذكرناه كان حريصاً على تتبع الآراء الشاذة وتصيد الأراء الواهية؛ وكان الأولى به أن يقارن بين النصوص ويتلمس الحق، ولا يضيرنا أن يذكر كل الآراء الواردة بهذا الشأن ولكن كما قال الله تعالى: «وَكَثُرُوهُمْ لِلْحَقِّ كَلِهُونَ» [المؤمنون: ٧٠].

وجولد تسيهير ينسب المعرفة الدينية التي تلقاها محمد صلوات الله عليه إلى عنصرين: خارجي وداخلي، فيقول: «فتباشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً متاخباً من معارف وأراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها عميقاً والتي رآها جديرة بأن تُوقظَ فيبني وطنه عاطفة دينية صادقة، وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في وجده ضرورية لإقرار لونِ من الحياة يريده الله. لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إليها»<sup>(١)</sup>.

وجولد تسيهير يريد أن يفرغ حقه وبيث سمومه في صدر كتابه «مذاهب التفسير الإسلامي» الذي ترجم، وإنني لأسف لِمَنْ ترجمه فتركَ عباراته وتهَمَّه دون الردّ عليها؛ بل كانت مقدمة المترجمين ثناء على بحوثه، ولهذا أؤكد على ضرورة الرد على هؤلاء بلغتهم الأجنبية لا ترجمة سموهم و شبهاهاتهم فهو يقول:

(١) العقيدة والشريعة في الإسلام، (ت) يوسف وموسى وزميله، ١٢ (ط مصر ١٩٤٨).

«فلا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافاً عقدياً على أنه نصٌّ مُتَّرِّلٌ أو مُوحَى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله بمثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في النص القرآني»<sup>(١)</sup>.

أبعداً ما ذكرنا نجد أحد الباحثين المسلمين يقول فيه: (يساء أن يهب الإسلام من الأوروبيين من يؤرخون له كراسة فيحددون التاريخ ومن يبحثون فيه كدين وحياة روحية فيتعمدون في هذا البحث ويبلغون الذروة فيه أو يكادون ومن يقبلون على الجانب الفسيولوجي منه فيظفرون بنتائج على جانب من الخطر كبير. فكان له على رأس هؤلاء الآخرين تيودور نلدكة وعلى رأس أولئك الأوليين يوليوس فلهوزن. وكان سيد الباحثين فيه من الناحية الدينية خاصة والروحية عامة (أجتنس جولد تسيهر)<sup>(٢)</sup> وعين رئيساً لأحد أقسام الأكاديمية المجرية سنة ١٩٠٧، ويظهر أنه قد أقام بالقاهرة فرغ أن يحضر بعض الدروس في الأزهر وكان ذلك بالنسبة لأمثاله امتيازاً كبيراً ورعاية عظيمة، وانظر ما قيل فيه بعد تلك الفترة من حياته: (ومن مكتبه في مدينة بودابست ظل جولد تسيهر أكثر من ربع قرن شمساً ساطعة استمرت ترسل في عالم البحوث الإسلامية ضوءاً يبده قليلاً ما يحيط بنواحي الحياة الدينية الإسلامية من ظلام، وينير السبيل أمام الباحثين في الوثائق التي سجلت منها تلك الحياة، وينمو على حرارته جيل ضخم ممن كانوا بالأمس القريب أو من هم اليوم أئمة المستشرقين).

وهكذا نجد صاحب كتاب «موسوعة المستشرقين» ينبهر انبهاراً عظيماً بمنهج جولد تسيهر جعله يصر على أنه المنهج الصحيح ويقارن بينه وبين منهج (مالينو وبكر) ويوجي للقارئ بصدق هذا المنهج وأنه نابع عن شعور، ومستند على ركيزتي النقل والعقل.

(١) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٤.

(٢) موسوعة المستشرقين، ص ١١٩.

ولننظر في أقوال جولد تسيهير لتبين منهجه صدقاً أم كذباً حقاً أم باطلأ طالباً الحقيقة أم ساعياً إلى التضليل والتشكيك فهو يقول في مبحثه عن تفسير القرآن ويتحدث عن عبد الله ابن العباس رضي الله عنه وعن حقيقة تفسيره فيقول: (كان رأي ابن عباس يرجع إلى رجل يسمى أبي الخلد غيلان بن فروة الأزدي الذي أثنى الناسُ عليه بأنه كان يقرأ الكتب، وعن ميمونة ابنته أنها قالت: كان أبي يقرأ القرآن في كل سبعة أيام ويختتم التوراة في ستة يقرؤها نظراً فإذا كان يوم ختمها حشد لذلك ناس وكان يقول: كان يقال: تنزل عند ختمها الرحمة. وهذا الخبر المبالغ فيه من ابنته يمكن أن يبين لنا مكان الأب في الاستفادة من التوراة. ومن المراجع العلمية المفضلة عند ابن عباس نجد أيضاً كعب الأبار اليهودي وعبد الله بن سلام وأهل الكتاب على العموم ممن حذر الناس منهم، كما أن ابن عباس نفسه في أقواله حذر من الرجوع إليهم، ولقد كان إسلام هؤلاء عند الناس فوق التهمة والكذب ورفعوا إلى درجة أهل العلم الموثوق بهم... ولم تكن التعاليم الكثيرة التي يمكن أن يستقيها ابن عباس والتي اعتبرها من تلك الأمور التي يرجع فيها إلى أهل هذا الدين الآخر مقصورة على المسائل الإنجيلية والإسرائيلية فقد كان يسأل كعباً عن التفسير الصحيح لأم القرآن والمرجان مثلاً. وقد رأى الناس في هؤلاء اليهود أن عندهم أحسن الفهم -على العموم- في القرآن وفي كلام الرسول ﷺ وما فيهما من المعاني الدينية ورجعوا إليهم سائرين عن هذه المسائل بالرغم من التحذير الشديد من كل جهة ١.هـ<sup>(١)</sup>.

وقد تابعه الأستاذ أحمد أمين في هذا الافتاء، ومن المؤسف له أن الأستاذ أحمد أمين رغم أن له كتاباً كثيرة في الفكر والتاريخ لكنه وقع في أخطاء كبيرة منها اتهامه للصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه بالوضع في الحديث متابعاً بذلك أهل الباطنية وأبا ربيعة الأزهري المصري الذي أسرف في هذا الأمر وافترى على أبي هريرة افتراءات كثيرة، وقد رَحِب ببحوثه أهل الباطنية والمستشرقون.

---

(١) المذاهب الإسلامية في تفسير القرآن، جولد تسيهير، ص ٦٥-٦٧.

ولهذا تُرجم كتابه إلى اللغة الأجنبية ليكون مادة للمستشرين في الطعن بحديث رسول الله ﷺ من حيث ثبوته وصحته. فيقول: (وقد دخل بعض هؤلاء اليهود في الإسلام فتسرب منهم إلى المسلمين كثير من هذه الأخبار ودخلت في تفسير القرآن يستكملون بها الشرح ولم يتخرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس عنأخذ قولهم. روي أن النبي ﷺ قال: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقونهم ولا تكذبواهم» ولكن العمال كان على غير ذلك وأنهم كانوا يصدقونهم وينقلون عنهم أ.هـ<sup>(١)</sup>. وقد رد عليهم بصدق وعلم صاحب كتاب «التفسير والمفسرون» ونبه على الغاية التي يحرض عليها (تسيير) من تأثير اليهودية على الإسلام وخاصة في تفسير كتاب الله العزيز القرآن الكريم فقد قال: (فالأستاذ جولدتساير والأستاذ أحمد أمين يريان أن الصحابة - وبخاصة ابن عباس لم يأبهوا لنهاي الرسول ﷺ فصدقوا أهل الكتاب وأخذوا عنهم الكثير في التفسير وأن اللون اليهودي قد صبغ مدارس التفسير القديمة وبالخصوص مدرسة ابن عباس بسبب اتصالهم بمن دخل في الإسلام من أهل الكتاب)<sup>(٢)</sup>.

وقد كان رده رحمة الله غير حاسم حيث قال: (والحق أن هذا غلو في الرأي وبعد عن الصواب، فإن ابن عباس كما قلت أناً وغيره من الصحابة كانوا يسألون علماء اليهود الذين اعتنقا الإسلام ولكن لم يكن سؤالهم عن شيء يمس العقيدة أو يتصل بأصول الدين وفروعه وإنما كانوا يسألون أهل الكتاب عن بعض القصص والأخبار الماضية ولم يكونوا يقبلون كل ما يُروى لهم على أنه صواب لا يتطرق إليه الشك بل كانوا يحكمون دينهم وعقلهم بما اتفق مع الدين والعقل صدقه وما خالف ذلك نبذوه وما سكت عنه القرآن

(١) فجر الإسلام، ص ٢٤٩.

(٢) التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، ص ٢٧، ط. دار الكتب الحديثة، القاهرة. وأستاذنا الذهبي من أفالضل العلماء الذين عُرِفوا بسعة العلم والغيرة على الدين وعزّة النفس التي جعلته لا يأبه بكثير من أمور الدنيا، فكان يقول كلمة الحق لا يخاف في الله لومة لائم. رحمة الله رحمة واسعة.

واحتمل الصدق والكذب توقفوا فيه، وبهذا المسلك يكون الصحابة -رضوان الله عليهم- قد جمعوا بين قوله عليه الصلاة والسلام: «أَخْدُوْا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرْجٌ» قوله: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابَ وَلَا تَكْذِبُوهُمْ»<sup>(١)</sup>.

والحق الذي لا مِرْءَةٌ فيه أن عبد الله بن العباس رضي الله عنهمما وغيره لم يأخذوا في تفسيرهم للقرآن الكريم عن أهل الكتاب، وما نسب إليهم لا صحة له، وقد أغنانا الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ من الأحكام والحكم ما يجعلنا نبقى في ذاتية العقيدة والفكر والسلوك وكما قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسَعَهُ إِلَّا اتَّبَاعِي».

وقد روى البخاري في «صححه» أن عبد الله بن عباس قال: (يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرؤونه لم يُثْبَت، وقد حَدَّثُكُمُ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابَ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ غَيْرُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ فَقَالُوا: ﴿هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْرُوْبُوهُ ثُمَّنَا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩] أَفَلَا يَنْهَاكُمُ بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسَاءِ لِتَهُمْ؟ وَلَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا قَطُّ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الدِّينِ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

(١)

(٢) المصدر السابق، ص ٧٣-٧٤، البخاري، كتاب الشهادات، ج ٢ ص ١٨٥، فتح الباري.

## المبحث الرابع نولدكة والقرآن

١٩٣٠ - ١٨٣٦

### «نولدكة المستشرق الألماني - والقرآن»

لقد كانت مباحث بعض المستشرقين قد انحرفت عن الطريق العلمي المعهود مما جعل بحوثهم تظهر شاذة تدل على الحقد والتعصب الذميم ومن هؤلاء نولدكة:

فقد نفى نولدكة المستشرق الألماني في كتابه «تاريخ القرآن» أن تكون فواتح السور من القرآن مُدعياً أنها رموز لمجموعات الصحف التي كانت عند المسلمين الأولين قبل أن يوجد المصحف العثماني، فمثلاً حرف الميم كان رمزاً لصحف المغيرة، والهاء لصحف أبي هريرة، والصاد لصحف سعد بن أبي وقاص، والنون لصحف عثمان؛ فهي عنده إشارات لملكية الصحف وقد تركت في مواضعها سهواً ثم ألحقتها طول الزمن بالقرآن فصارت قرآنًا<sup>(١)</sup>.

وقد بدأنا بذلك لنصدر هذا القول له وقد عدّه الباحثون من المستشرقين الكبار الذين تصدروا الاستشراق في ألمانيا وغيرها أنه (يُعدُّ شيخ المستشرقين الألمان من غير مدافع)، وقد أتاح له نشاطه الدائب وألمعية ذهنه واطلاعه الواسع على الأدب اليونانية وإتقانه التام لثلاث من اللغات السلفية -العربية والسريانية والعبرية- مع استطالة عمره حتى جاوز الرابعة والستين. أن يظفر بمكانة ليس فقط بين المستشرقين الألمان بل بين المستشرقين جميعاً<sup>(٢)</sup>.

(١) محمد غلاب، نظرات استشرافية في الإسلام، ٤٢، ط. دار الكتب، القاهرة.

(٢) موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، ص ٤١٧.

حصل على الدكتوراة الأولى في سنة ١٨٥٦ في رسالته عن (تاريخ القرآن) وهو الموضوع الذي خَصَّه نولدكة فيما بعد بأهم كتبه وأشهرها، وتتابع دراسة المخطوطات العربية في بلدان مختلفة في ألمانيا، ودرس تفسير (سفر أشعيا) في جامعة جيتينجن الشهيرة.

ويبدو أنه اهتم بتاريخ القرآن حيث أنه اشتراك في الجائزة الكبرى التي أعلنتها أكاديمية باريس عن جائزة لبحث يكتب في هذا الموضوع فتقدم له نولدكة وتقاسم هو وأمشير نجو وميكيليه أماري الظفر بالجائزة التي ضُوعفت حتى نال كل واحد من الثلاثة مبلغ (٣,٣٣٣ فرنك فرنسي).

وقد دفعه اهتمامه الكبير في الدراسات القرآنية أن قام بنشر رسالته (تاريخ القرآن) التي كتبها باللاتينية - باللغة الألمانية منقحة.

وهذه الطبعة توسيع فيها جداً فيما بعد بالتعاون مع تلميذه اشقالي<sup>(١)</sup>.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤١٩.

## المبحث الخامس

### ريجي بلاشير

١٩٠٠-١٩٧٣

مستشرق فرنسي.

- ١- قضى أكثر عمره في المغرب العربي وحصل على دكتوراة الدولة من باريس سنة ١٩٣٦ وعين خبيراً في السوريون، له مؤلفات عن تاريخ الأدب العربي.
- ٢- ترجم القرآن الكريم إلى الفرنسية مع مقدمة طويلة وتفسير قصير وقد رتب الترجمة وفقاً لاجتهاده في نزول سور والأيات الكريمة، ثم عاد إلى الترتيب الأصلي الوارد في المصحف في الطبعة اللاحقة.
- ٣- ألف كتاباً يلخص فيه أبحاث المستشرقين الذين كتبوا عن حياة محمد ﷺ<sup>(١)</sup>.

(١)

## ريجي بلاشير

١٩٧٣-١٩٠٠

ولد في باريس وقد كان اهتمامه واضحًا بالدراسات العربية. عُينَ أستاذ اللغة العربية الفصحى في المدرسة الوطنية للغات الشرقية في باريس، وشغل منصب مدير معهد الدراسات الإسلامية الملحق بجامعة باريس ١٩٥٦-١٩٦٥ - ألف كتاباً في تاريخ الأدب العربي منذ البداية حتى نهاية القرن الخامس عشر ولم يتمه. وقد كانت ترجمته للقرآن أولًا غريبة حيث رتب الآيات وال سور كما يوحى به اجتهاده، ثم رجع فترجمه وفق الترتيب الأصيل المعروف للقرآن الكريم في جزأين. صنف كتاباً صغيراً لشخص فيه أبحاث المستشرقين عن النبي ﷺ.

وبلاشير على اعتداله في أحكامه يتحدث في كتابه «معضلة محمد» عن مصدر القصص القرآني ذاكراً بالخصوص أن مما لفت انتباه المستشرقين هو التشابه بين هذه القصص وبين القصص اليهودي المسيحي. وقد كان التأثير المسيحي واضحًا في السور المكية الأولى أن كثيراً ما تكشف مقارنته بالنصوص غير الرسمية كإنجيل الطفولة الذي كان سائداً في ذلك العهد عن شبهه قوي. ويعرض في هذا الصدد آراء بعض الباحثين مبيناً رأيه فيما يستتبع من العلاقات المستمرة التي كانت تربط بين مؤسس الإسلام والقراء المسيحيين بمكة<sup>(١)</sup>.

وورد في كتاب تاريخ الأديان:

(كان أسلوب النبي في القرآن أول عهده بالدعوة مفعماً بالعواطف، قصير العبارات فخم الصورة يقدم أوصاف العقاب والثواب في ألوان صارخة، وكثيراً ما يكرر الآيات

(١) موسوعة المستشرقين، بدوي، ص ٨٢.

تكراراً حتى تقلب معانٍها إلى الضد. فلما تقدم الزمن بالنبي فقد الأسلوب منهجه الأول، وأخذ يقص في نغمات هادئة بدعة قصص الأنبياء مثلما تراه في قصة حب يوسف وزوجته (بوتيفار) وكانت هذه الصورة مثيرة لخيال كثير من شعراء الفرس والترك. وفي آخر عهد النبي فقد الأسلوب كل حرارة وكل فن وأغرم بالجدل الديني مع اليهود والنصارى).

وقد أثنى بعض المستشرقين على كتابه «تاريخ الأدب العربي» وإن كنتأشك في هذا الثناء حيث إن صاحب البحث (بلاشير) وجدت فيه بعداً عن المنهج العلمي حيث إنه انتقده لوبون في بيانه للحضارة العربية الإسلامية وإظهار فضلها على أوروبا والعالم أجمع فهو يقول: (أما كتابه «تاريخ الأدب العربي» الذي يقع في ثلاثة أجزاء تعالج فقط عصر الجاهلية والقرنين الأول والثاني من الإسلام فإنه على العكس من ذلك مؤلف أساسي يُعملُ روح النقد والعقل في دراسة هذه الحقبة من حقب الثقافة العربية. وإن ترجمته القرآن إلى الفرنسيّة التي قام بها بلاشير جديرة بالاهتمام أيضاً رغم أن إلحاد المؤلف حمله أحياناً على فهم النص ذي الأبعاد الدينية والصوفية فهما عقلانياً مسرفاً<sup>(۱)</sup>).

ومن المؤسف أن بعض الباحثين المسلمين قد اعتمد آراءه في الدراسات القرآنية<sup>(۲)</sup>.

(۱) انظر: عن القرآن لمحمد صبيح، (۱۴۴-۱۴۷) (ط. مصر ۱۹۳۹).

(۲) الدراسات العربية والإسلامية في البلاد الأوروبية، جامعة بيروت، المستشرق الفرنسي، الأب الدكتور ميشال آلا رص ۵۵.

## المبحث السادس

### فوينز

١٨٠٨-١٨٨٩

وهو مستشرق ألماني يهودي الديانة ولد في زولتسبروج -أقام في بعض البلاد العربية كالجزائر، والقاهرة. وأقام فيها أربع سنوات، وله دراسات في اللغة العربية وأدابها والسيرة النبوية والنبي محمد ﷺ، وأما ما كتبه عن الدراسات القرآنية:

- ١- مقدمة تاريخية نقدية للقرآن سنة ١٨٤٤ في ٢١ صفحة وفيه يتكلم عن جمع القرآن والتسلسل التاريخي لسوره وأياته.
- ٢- نشر عن الوحي القرآني على الرسول ﷺ:
  - أ- نشر تعليقه في (المجلة الآسيوية) (يوليو ١٨٤٢) جمع فيها عدة ملخصات لمؤلفين مسلمين تتعلق بأحوال نفسية كانت تتبع النبي . . .
  - ب- رسالة إلى رينو عن واقعة تتعلق بالنبي في بدء رسالته في المجلة الآسيوية (عدد مايو ١٨٤٣).
- ٣- لقد كان يتخيل الرسول محمدًا ﷺ (رجالاً دفعته طموحاته ووسواسه في سن الكهولة إلى تأسيس دين ليُعدّ في زمرة القديسين فألف مجموعه من عقائد خرافية وأداب سطحية وقام بنشرها في قومه فاتّبعها رجال منهم<sup>(١)</sup>).
- ٤- لقد دفعت هذا المستشرق أحقاده إلى أن يخلط في تصوره للإسلام وللنبي صفات الإسلام عقائد خرافية وأداباً سطحية، ولعله فتح قلبه للنور وعقله للحق ونفسه للعلم لأنّ كباحثٍ أن يُعدّ من يفترون على الله وعلى رسوله وعلى المسلمين جميعاً.

(١) موسوعة المستشرقين ص ٢٧١-٢٧٣.

## المبحث السابع

### هوبرت جريمني

| يقول المستشرق هوبرت جريمني في كتابه: «محمد»: «لم يكن محمد في بادئ الأمر يبشر بدين جديد؛ بل إنما كان يدعو إلى نوع من الاشتراكية، فالإسلام في صورته الأولى الأصلية لم يكن يحتاج إلى أن نرجعه إلى ديانة سابقة تفسر لنا تعاليمه. ذلك لأننا إذا نظرنا إليه عن كثب نراه (لم يظهر إلى الوجود كعقيدة دينية بل كمحاولة للإصلاح الاجتماعي تهدف إلى تغيير الأوضاع الفاسدة) وهو على الأخص يدعو إلى إزالة الفوارق الصارخة بين الأغنياء الجشعين والفقراء المضطهددين، لذلك نراه يفرض ضريبة معينة لمساعدة المحتاجين (وهو إنما يستخدم فكرة الحساب في اليوم الآخر كوسيلة للضغط المعنوي وتأييد دعوته)»<sup>(١)</sup>.

وهكذا نجد هذا المستشرق يريد أن ينفي الوحي القرآني والنبوة الصادقة للرسول محمد ﷺ، فليس ما دعا إليه رسول الله ﷺ في نظره وحياً من الله تعالى، القرآن إنما هو نظرة خاصة من قبل الرسول محمد ﷺ في الإصلاح الاجتماعي والعدل الاقتصادي. وهذا يدل على تخبط سببه الحقد على الإسلام والمسلمين، وجهل بأصول الشريعة ومبادئها ونظمها العامة؛ بل إن أول أمر أكَّدَ عليه الرسول ﷺ هو التوحيد الذي لا يصحُّ الإسلام إلا به «لا إله إلا الله» والتصديق بنبوة محمد ﷺ «محمد رسول الله».

(١) منهج المستشرقين، د. التهامي نقرة، ص ٣١.

## المبحث الثامن

### المستشرق كليمن هوار

إن المستشرق كليمن هوار كتب فصلاً<sup>(١)</sup> زعم فيه أنه اكتشف مصدراً جديداً للقرآن هو شعر أمية بن أبي الصلت<sup>(٢)</sup> وقارن بينه وبين آيات القرآن فاستتبع صحة هذا الشعر بما يلاحظ من فروق بين ما ورد فيه وما ورد في القرآن من تفصيل لبعض قصصه كأخبار ثمود وصالح مستدلاً على ذلك بأنه لو كان هذا الشعر منحولاً لكان المطابقة تامة بينه وبين القرآن، ثم يزعم أن استعاناً النبي به في نظم القرآن حملت المسلمين على مقاومته ومحوه ليتأثر القرآن بالجدة ولি�صبح أن النبي قد انفرد بتلقي الوحي من السماء<sup>(٣)</sup>.

(١) نشر الفصل في المجلة الآسيوية سنة ١٩٠٤ عن التهامي ص ٣٣.

(٢) أمية بن أبي الصلت شاعر عاش في الجاهلية والإسلام وكان يخبر أن نبياً يبعث قد أظل زمانه مؤملاً أن يكون هو ذلك النبي فلما بلغته بعثة رسول الله ﷺ كفر حسداً، وكان رغب عن عبادة الأوّلان، ولما أشِدَّ رسول الله شعره، قال: آمن لسانه وكفر قلبه. وكان يحكى في شعره قصص الأنبياء (ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ٤٢٩ (ط. مصر ١٣٦٤هـ).

(٣) المصدر السابق ص ٣٣.

## المبحث التاسع

### توضيال وشبهاته في القرآن

وأورد توضيال شبهات الناقدين للقرآن الكريم واتهامه في مصدره الإلهي ومنها هذه الآيات التي نسبوها إلى أمرىء القيس والتي لا تخلو من بعض التعبيرات الترآنية . . .

دنت الساعة وانشقَّ القمر عن غزالٍ صاد قلبي ونفر أحور قد حرث في أوصافه ناعس الطرف بعينيه حور بسهامٍ من لحاظِ فاتك تركتني كهشوم المحتضر

وهكذا يتخطيط هؤلاء المستشركون في شبهاتهم المحمومة وافتراطاتهم الكاذبة، وليس لهم هدف إلا إخفاء حقيقة الإسلام عن الشعوب الغربية والشعوب الشرقية في المعسكرين خشية أن تتفتح قلوبهم وعقولهم لنور الإسلام، وهذا أمر خطير على دول الكفر ودهاقيته، ولكنني على يقين أن علماء المسلمين إن استطاعوا أن يوضحوا الإسلام على فطرته وأن يتمسك المسلمون بمبادئ الإسلام وتعاليمه ليكونوا صورة صادقة وأسوة حسنة عند ذاك نجد هؤلاء يدخلون في دين الله أفواجاً ولن تؤثر فيهم عند ذلك الشبهات والتخرصات، ولهذا نجد الأستاذ العقاد يقول: (وليس ما ييدو من جهل هؤلاء الخابطين في أمر اللغة العربية قبل الإسلام وعلاقتها بلغة القرآن الكريم. إنهم يحسبون أن العلماء المسلمين يجدون في بحث تلك الآيات وصباً واصباً لينكروا نسبتها إلى الجاهلية ولا يلهمهم الذوق الأدبي. إن نظرة واحدة كافية للبيتين بدحضن نسبتها إلى أمرىء القيس أو غيره من شعراء الجاهلية)<sup>(١)</sup>.

(١) العقاد، إسلاميات، ٥٣-٥١ (ط. مصر دار الشعب).

«أفيكون هذا القرآن الذي لو نزل في هذا العصر لما اختلفت نظرته للكون ولا وصاياه للإنسان وقد حوى من كنوز المعرفة ما لم يَحْوِه سِفْرٌ نابعاً من استعداد محمد الشخصي أو مما اقتبسه في بيته من أهل الكتاب أو بعض الأعراب... وأئيُّ أُمَّيَّ في التاريخ يقطع مرحلة الشباب هادئاً لم يُؤثِّر عنده علمٌ ولا حكمة -أما الحكمة فكانت مأثورة عن النبي ﷺ حتى قبل الإسلام ولعل واقعة الحجر تُثبت ذلك- ولا شِعْرٌ ولا خطابة ولا ثبات الأبطال والزعماء ثم ينفتح فجأة في الأربعين على عالم جديد فيصلح أديان البشر عقائدها وأدابها وشرائعها، ويُحدث ثورةً روحية اجتماعية لا مثيل لها في تاريخ الإنسانية في سن لا يتأتى لمن بلغ مثلها أن يبتدىء أو يبتدع فيها علمًا أو فناً أو يسن فيها شرعاً أو ينهض في العالم بانقلاب عظيم ما لم يكن استعداده له وأخذ مقدماته في ريعان الشباب»<sup>(١)</sup>.

---

(١) محمد رشيد رضا، الوحي المحمدي، ٣٠٢، التهامي ص ٣٥.

## المبحث العاشر

### المستشرق دوراندريه

لقد كان اندريه ممن نَبَّأَ على خطأ الطريقة التي سلكها المستشرقون في تلمس الجزئيات وبعض الواقع أو المسائل في حياة العرب قبل الإسلام وفي اليهودية أو النصرانية واعتبارها دليلاً على أن القرآن قد اخترعه الرسول ﷺ وطوره ليكون هذا القرآن الكريم العظيم الذي حوى أصول الديانة وقواعد العدالة ونظام الإنسانية الكامل.

يقول المستشرق السويدي توراندريه (صاحب كتاب «محمد حياته وعقيدته») معارضًا تلك الطريقة السقيمة التي سلكها بعض المستشرقين في البحث مبيناً أن جوهر النبوة لا يمكن تحليله إلى مجموعة من آلاف العناصر الجزئية، ومهمة الباحث في رأيه أن يدرك في نظرة موضوعية كيف تتألف من العناصر والمؤثرات المختلفة وحدة جديدة أصلية تنبض بالحياة، فالإسلام لا ينكر صلاته بالديانة اليهودية والمسيحية وعقيدة الحنفية وتقاليد العرب ولكن ذلك لا يعني أنه مجرد مجموعة من هذه العناصر<sup>(١)</sup>.

---

(١) محمد كامل عياد، مجلة اللغة العربية بدمشق، ج ٤ - م ١٩٦٩ / ٤٤ ص ٧٩٧، التهامي ص ٣٦.

## المبحث الحادي عشر

### آربرى

١٩٥٠-١٩٦٩

في عام ١٩٣٥ نشر كتاباً عظيماً في التصوف هو كتاب «المواقف والمخاطبات» للنفزي وترجمة إلى الإنجليزية وكان ذلك بدعوة من رينولد نيكسون. ومنتخته جامعة كمبردج درجة الدكتوراة في الآداب ١٩٣٦ . فهرس كثيراً من الكتب العربية والفارسية وترجم وحقق كثيراً من الكتب العربية والفارسية.

سنة ١٩٣٩ التحق بقسم الدعاية في وزارة الحرب في الحرب العالمية الثانية، وكان مصدراً للدعاية البريطانية، وظهر في فيلم للدعاية البريطانية.

«وتكتفيراً عن هذه المهمة المنحطة فكر آربرى في تقديم الشرق إلى الغرب بترجمة كتب عربية وفارسية وتأليف كتب وأبحاث لتفهيم الأوروبيين حقيقة الإسلام: حضارته وأدابه وعقيدته، يقول آربرى في هذا الصدد: (قبل أن يتيسر إقرار الحق عن الشرق وشعيوه في الضمير المشترك للغرب ينبغي إزالة حشدٍ هائل من الباطل وسوء الفهم والأكاذيب المتعتمدة وإنه لجزءٌ من واجب المستشرق ذي الضمير الحي القيام بهذه الإزالة ولكن لا ندعه يحسب أن هذه المهمة سهلة أو أنها خصوصاً سيلقى عنها الجزاء).

وفي أوائل الخمسينات أخذ آربرى على عاتقه القيام بترجمة جديدة للقرآن فأصدر أولاً ترجمةً لمختارات من بعض آيات القرآن مع مقدمة طويلة وصدر ذلك، وهو المجلد التاسع من سلسلة بعنوان (الكلاسيكيات الأخلاقية والدينية للشرق والغرب).

وفي سنة ١٩٥٥ ، صدرَ ترجمته المفسرة للقرآن في مجلدين .

## المبحث الثاني عشر

### أربينوس

١٦٢٤-١٥٨٤

مستشرق هولندي ، له دراسات عربية وواصل أربينوس إصدار كتب مدرسية أخرى لتعليم اللغة العربية فطبع سورة يوسف مضبوطة بالشكل الكامل في مطبعته هذه سنة ١٦١٧ وذلك بعنوان عربي ولاتيني هو (سورة يوسف وتهجي العرب) وترجمته تاريخ يوسف النبي مأخوذ من القرآن بالأصل العربي مع ثلاث ترجمات لاتينية وتعليقات بقلم توماس أربينوس للغات الشرقية / ١٦١٧<sup>(١)</sup>.

(١)

## المبحث الثالث عشر

### يوحنا الأشقيوبي

(ولد في السنوات الأخيرة من القرن الرابع عشر في إشقوبية (إسبانيا الوسطى) وتوفي بعد سنة ١٤٥٦م، وصار كرديناً سنة ١٤٤٠ وتخلّى عنها واعتزل في دير أيتون. وفي خلوته في هذا الدير، فكر في الدفاع عن المسيحية ضد الإسلام الظافر الذي بدأ يغزو أوروبا خصوصاً بعد استيلاء محمد الفاتح على القسطنطينية في ١٤٥٣م<sup>(١)</sup>).

وهكذا يتبيّن لنا كيف أن الفتح العثماني على يد محمد الفاتح كان له أثر كبير في أوروبا وغيرها وصدمة كبيرة جعلت الصليبيين يأتّرون ويخطّطون للوقوف ضد الإسلام بكل ما يستطيعون مادياً ومعنوياً ولهذا وجدوا أن السبيل الوحيد هو محاربة الإسلام فكريّاً تشكيكياً وتشويهاً وكان من هؤلاء الأشقيوبي (ولهذا لم يجد أمامه غير مقاومة الإسلام بالكتابة ضد الإسلام واستعداداً لذلك رأى ترجمة القرآن إلى اللاتينية، ولما كان لا يعرف العربية فقد استقدم من إسبانيا «فقيها» مسلماً يُعرف بالإسبانية والعربية طبعاً. وكان هذا «الفقيه» يتولى ترجمة الآيات القرآنية فيصوغها يوحنا الأشقيوبي باللغة اللاتينية. وبعد أن قام هو وزميله «الفقيه المسلم» هذا بترجمة القرآن إلى اللاتينية أخذ هو في كتابة ردٍ على الإسلام بعنوان «طعن المسلمين بسيف الروح»<sup>(٢)</sup>.

(١)

(٢)

## المبحث الرابع عشر

بالصر

١٨٤٠-١٨٨٢

مستشرق إنجليزي، ومن علماء الاستعمار البريطاني، وقد لقي حتفه جزاء وفاقاً لعمله هذا. وتتبع اكتشاف الارتباط بين التاريخ المقدس والجغرافيا المقدسة. وفي سنة ١٨٧٠ أصدر كتابين، الأول هو: فهرس المخطوطات العربية والفارسية والتركية، ودعاه ماكس ملر إلى القيام بترجمة جديدة للقرآن لتنتشر في سلسلة «كتب الشرق المقدسة» التي كان ملر يتولى إصدارها. وقد أتم بالمر هذه الترجمة في ١٨٨١م. وصارت هذه الترجمة واسعة الانتشار مشهورة منذ أن طبعت في سلسلته الشهيرة مع مقدمة بقلم رينولدالين ينكلسون. وبالمر يقول عن أسلوب القرآن: «إن لغته نبيلة وقوية لكنها ليست أنيقة بمعنى التألق الأدبي ولا بد أنها أثارت دهشة وإعجاب سامي محمد، من ناحية الطريقة التي بها أدخلت في أذهانهم حقائق عظيمة عبر عنها بلغة الحياة اليومية، ولم يكن في الأسلوب ولا في الألفاظ شيءٌ عتيق ولا حيئٌ ولا تمويهات لطيفة ولا محسنات شعرية، لقد كان النبي يتكلم بفصاحة حسنة شديدة في لغة عادية، والتحسينُ الخطابي الوحيد الذي سمح لنفسه به هو جعل فواصله ذوات إيقاعٍ متفاوت الوزن ومعظم عباراته مسجوعة، وهذا أمر كان ولا يزال طبيعياً عند كل خطيب عربي، وهو نتيجة ضرورية لتركيب اللغة العربية»<sup>(١)</sup>.

وإذ قلنا إن أكثر المستشرقين ظلوا أداة بيد الاستعمار ليس في معركة الفكر فحسب مما كانت الأساليب بل سخروا أنفسهم لخدمة الاستعمار في معاركه الحربية من أجل

(١) الموسوعة ص ٤٤.

استعمار الشعوب الحرة الكريمة، فبعد أن ترجم القرآن الكريم وأصدره في سنة ١٨٨٢ أصدر كتابه (النحو المبسط للغات الهندوستانية والفارسية والعربية) إذا به يستجيب للاستعمار البريطاني ليعمل في الجيش البريطاني «فلما راحت بريطانيا في ١٨٨٢ تدبر لاحتلال مصر دعا الرئيس الأول للبحرية البريطانية لورد نورثروك في يوم ٢٧ يونيو ١٨٨٢ لمقابلته، وفي المقابلة أخبره أن بريطانيا تريد الاستفادة من خبرته بسيناء واتصالاته بأهلها من قبل، لكي يتصل بيدو سيناء ويؤلهم ضد مصر ويستخدمهم لتأمين الجانب الشرقي من قناة السويس لصالح بريطانيا. ووافق بالمر على القيام بهذه المهمة الدينية التي لا تليق بعالم أبداً»<sup>(١)</sup>. ولما انزلق في هذا الطريق المنحرف ولم تمنعه ثقافته ولا الدراسات الإنسانية التي تابعها من هذه المهمة الدينية فعمل على شراء ذمم البدو في سيناء وصرف عليهم آلاف الجنierات. ولكن الله كان له بالمرصاد بما غَشَّ وخدع... فأخذ بالمر مبلغ ثلاثة آلاف جنيه للقيام بهذه المهمة وكان معه أربعة أشخاص آخرين هم: كابتن وليم جون جل، واللفتانت هارولد شارنجلتون، وخدم سوري مسيحي يدعى خليل عتيق وخدم يهودي يدعى باخور حسّون. وإلى جانب هذه الجماعة كان معهم مطر أبو صوفية «أبو صفيحة» وابن أخيه سلامة بن عايش وعدد من الجمالين البدو. وقد نصب بعض البدو كميناً لأولئك الخمسة واقتادوهم إلى وادي سدر (في الجنوب الغربي من سيناء) وقتلوهم وألقوا بهم في واد سحيق. وذلك في حوالي العشرين من أغسطس ١٨٨٢، وتفاصيل هذا كله موجودة في الكتاب الأزرق (رقم ٣٤٩٤) الذي أصدرته الحكومة البريطانية ١٨٨٣<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق ص ٤٥.

(٢) المصدر السابق ص ٤٦.

ولم تكن فقط تذكر استحقاق بالمر لهذه النهاية المخزية وهي نهاية كل من يجعل نفسه أداة بيد الاستعمار، فقد قال آرثر آربيري يكاد يقال أن بالمر يستحق هذه النهاية «لأنني» هذا قول آربيري أؤمن ويكل قوة ورسوخ أن المهمة الحقيقية للعالم هي العلم وليس السياسة (ص ١٥١).

ترى كم واحد من المستشرقين لم يفتخض أمره ولم يعرف دوره في خدمة الاستعمار...؟.

## المبحث الخامس عشر

### أوتوبرتزل

١٩٤١-١٨٩٣

ألماني الجنسية من فتش ميونخ.

١- وهو من المستشرقين المشهورين بالدراسات القرآنية فهو يُقرن مع جوتفيل برجشتريير وآرثر جفري، وقد أتم مشروع نشر الكتب المتعلقة بالقراءات بعد وفاة برجشتريير بنشر كتابين في القراءات.

أ- كتاب «اليسير في القراءات السبع»، استنبول ١٩٣٠ الملجد رقم ٢ في هذه السلسلة.

ب- كتاب «المعنى في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط»، المجلد رقم ٣ في السلسلة.

٢- من المهم أنه شرع في كتابة تاريخ الشعوب الإسلامية ليكون جزءاً من مجموعة هردر التي عنوانها «تاريخ الشعوب القائدة» وقد أراد أن يستعرض فيه نتائج الأبحاث الجزئية في هذا الميدان ابتداءً من شخصية النبي محمد ﷺ ورسالته وحتى العلاقة الثقافية بين الغرب والشرق في العصر الوسيط، وتوقف هردر كما توقف برترنل عن إتمام كتابه.

٣- كتب بحثاً بعنوان: «محمد بوصفه شخصية تاريخية»<sup>(١)</sup>.

(١) الموسوعة، بدوي ص ٥٤.

## المبحث السادس عشر

### بطرس المحترم (الفرنسي)

- أول من أخرج ترجمة للقرآن الكريم - بطرس المحترم - (الفرنسي) (١٠٩٢-١١٥٦).
- ١- راهب ولاهوتي، التحق في الدير وتنقل في أديرة متعددة فصار رئيساً لدير كلوني.
- ٢- في سفرته الثانية إلى إسبانيا (١١٤١) عني بال المسيحيين الكاثوليك (المستعربين) وظن أنه يخدم المسيحية بترجمة القرآن إلى اللاتينية، ولجا إلى مدرسة المترجمين من العربية إلى اللاتينية في طليطلة التي أنشأها ريموندو أسقف طليطلة، وكلف بهذا العمل بطرس الطليطلي وشخصين آخرين ذوي معارف عامة هما هرمن الدنمارشي والقس الإنجليزي روبرت كنت، وأشرك معهم عربياً مسلماً اسمه محمد لمراجعة الترجمة على النص الأصلي، أو أن يترجم من العربية إلى الإسبانية الشعبية، ثم يتولى الآخرون الترجمة، وأشرك معهم سكرتيره الخاص بطرس لمراجعة النسخة اللاتينية لغويًا وأنجزت سنة ١١٤٣ وقد أجزل بطرس المحترم لهم العطاء.
- ٣- لقد طبع ونشر هذه الترجمة وألحق بها بعض الوسائل المتعلقة بالنبي والقرآن والإسلام تيودورس بيلياتدرس في بازل (سويسرا) سنة ١٥٤٣، وهي أول ترجمة ظلت معتمدة حتى نهاية القرن السابع عشر.
- ٤- قام بطرس المحترم بتأليف كتاب في الرد على الإسلام واعتمد في قراءة ترجمة القرآن وتسجيل المسائل للرد عليها وفق مخطط محدد وذلك سنة ١١٤٣ وعول على سكرتيره «بطرس بواته» وأحد المخطوطات كان يتناول ما يلي:
- أ- حفظ اليهود والنصارى لكتبهم.

- بـ- حياة النبي محمد ﷺ والقرآن للطعن فيهما .
- جـ- خلو حياة النبي محمد ﷺ من المعجزات ويتناول في ذلك النبوات .
- دـ- يستمر في المطاعن وادعاء عدم أصالة ما ذكره<sup>(١)</sup> .

---

(١) الموسوعة ص ٦٨-٦٩ .

## المبحث السابع عشر

### المستشرقون في روسيا والدراسات القرآنية

يظهر لنا من دراستنا لكثير من المستشرقين الروس أنهم لم يكن لهم ذلك الاهتمام بالدراسات القرآنية والستة النبوية على وجه الخصوص والإسلام على وجه العموم ولهذا نجد معظم الدراسات عندهم إنما كانت في أغلبها عن اللغة العربية وأدابها، كما لم أقف على دراسة خاصة عن النبي ﷺ كما أنها وجدنا بعض الاهتمام بترجمة القرآن الكريم أو بعض الدراسة عن الإسلام في عهد القيصر (بطرس الأكبر) لما كان عليه من العلاقة بينه وبين تركيا على عهد الخلافة الإسلامية - زمن السلطان عبد الحميد - رحمة الله تعالى ويرى بعض الباحثين (أن بداية الدراسات العربية المنتظمة ونشأة مدرسة علمية مستقلة ابتداءً من العقود الأولى للقرن التاسع عشر، أما قبل ذلك فكان هناك يجري ما يمكن أن نسميه بادخار المعلومات حول البلاد العربية ولغتها بوجه خاص تلك المعلومات حول البلاد العربية ولغتها بوجه خاص تلك المعلومات التي توافرت لدى أجدادنا منذ القدم حيث نجدها حتى في المخطوطات الروسية الرا�ع تأليفها إلى القرن العاشر).

ويظهر أن بطرس الأكبر وجد من الأفضل الاستفادة من العلوم الكثيرة التي دونت باللغة العربية لذا فقد أرسل (النبلاء الشبان إلى بلاد الشرق بهدف تعلم اللغات كما أنسج في نفس الفترة أحد المؤرخين الروس عملاً كبيراً خاصاً بتركيا والدين الإسلامي ولم يكن من باب الصدفة أن يوجه بطرس الأكبر اهتماماً بالغاً نحو الإسلام إذ كانت مصالحة وخططه السياسية والحروب الطويلة التي دارت بين روسيا وتركيا في تلك الفترة التاريخية تجبره على ذلك ) وكان من ثمرة هذا الاهتمام من بطرس الأكبر أن أمر بترجمة القرآن الكريم فصدرت أول نسخة كاملة مترجمة للقرآن الكريم في بطرسبورغ، عاصمة روسيا في بداية القرن الثامن عشر.

والذي يظهر لي أن أكثر الدراسات الروسية الاستشرافية منصبة على الدراسات العربية والدراسات المتعلقة بالأقوام المختلفة التي يمكن أن تكون الدراسة عنهم سبباً في استغلال قضيتهم لبث الفكر الماركسي في تلك البلدان، فمن ذلك دراسة خاصة عن الأكراد وأصولهم وكذلك عن البربر في الجزائر وقل مثل هذا في الأقوام الأخرى. كما يهتمون بقضايا الفرق الإسلامية وأكثر ما يهتمون بالحركات الإلحادية والمنحرفة وإفضاء التحريرية والتفدمية عليهم، من ذلك حركة القرامطة وبابك الخرمي وغيرهم، ولهذا وجدنا أكثر اللذين تخرجوا من العرب والمسلمين كانت بحوثهم في هذا المجال، ولهذا نهجت سوريا هذا النهج فأدخلت في المنهج الثانوي الدراسي حركات القرامطة والخرمية والبابكية وتسميتها بالحركات التقدمية والتحريرية . . .

# الفصل الخامس

## المستشرقون والاقتصاد الإسلامي

### المبحث الأول

#### النظارات الاستشرافية المتعددة

لقد نظر المستشرقون إلى القرآن الكريم في نظامه الاقتصادي نظارات مختلفة وفقاً للأهداف التي يهدفون إليها حباً في البحث والمعرفة أو كرهاً للإسلام بإلصاق تهم الجمود والتعصب، وبين هؤلاء من يجهل حقيقة النظام الاقتصادي في الإسلام لعدم قدرته معرفة ذلك النظام، وبهذا قلما تجد منهم من يستطيع أن يعطي صورة صادقة لنظام الإسلام الاقتصادي وإعطاء مقارنة علمية عقلانية بين هذا النظام والنظم الاقتصادية الأخرى، ولهذا نجد بعضهم يبحث هذه المسألة ويشير إلى بعض جوانبها. من هؤلاء من قارن بين الإسلام والرأسمالية فهو يقول: (قضية العلاقة بين الرأسمالية والإسلام قد ناقشها المسلمون والمستشرقون ورجال الاقتصاد والمؤرخون الأوروبيون معاً. ولم يكن هذا نقاشاً في الفراغ فالمسلمون - تحت سلطان الإيمان أو القومية أو كليهما معاً - كانوا يحرضون على أن يثبتوا أن ميراثهم الديني لا يحول أبداً دون الأخذ بالمناهج الاقتصادية الحديثة والتطورية<sup>(١)</sup> أو أن هذا الميراث موجه بطبعاته نحو العدالة - الاقتصادية والاجتماعية<sup>(٢)</sup>). أما العلماء الأوروبيون، فالذين ينظرون منهم إلى الإسلام نظرة الود

(١) راجع في هذا الاتجاه آراء المصلحين الاجتماعيين المصريين، محمد عبده ومحمد رشيد رضا، ولاسيما في مجموعة مجلة «المثار» وكتاب «الأستاذ الإمام».

(٢) هذا الاتجاه يمثله العالم الباقستاني محمد حميد الدين كذلك يمثله كل أدب الجماعة الإسلامية في مصر، وأبرزه رسالة «نحو النور» و«اشتراكية الإسلام» للدكتور مصطفى السباعي.

أخذوا أيضاً واحداً من هذين الرأيين<sup>(١)</sup>. بينما حاول الكارهون له منهم (ومنهم جحفلُ من الدعاة اللذين لا يؤيدهم أي علم) أن يثبتوا أن الإسلام إذ يمنع من أية مبادرة اقتصاديّة تقدمية محكوم عليه بالجمود والقعود<sup>(٢)</sup> أو أنه (في تفسير متاخر) يدفعهم بالحتم إلى تحالف شيطاني مع الشيوعية الفاسدة المفسدة<sup>(٣)</sup> وفي الحالتين يقضي بمحاربة هذه الشعوب حرصاً على تقدم المدنية بصورة عامة.

ولنلاحظ أن كل هذه المواقف على تناقضها البالغ تستند جميعها إلى هذه الفرضية القبلية الضمنية: وهي أن المجتمعات - أي الناس في مصر ما ومنطقة ما - تلتزم دائماً بعقيدة ذات صبغة فوقية وتنقيض تعاليمها وما توحّي به هذه الظروف ضمنياً إليها من أساليب تفكير، وهذه الفرضية القبلية التي قد لا يعي وجودها أكثر أصحاب تلك الآراء تدخل الفساد والبطلان - كما ييلدو لي - على موضوع النقاش نفسه<sup>(٤)</sup>.

(١) من هؤلاء «لويس ماسينيون» (الذي تقلب في مواقف متناقضة) و «جان بول رو» و «جان ارستوري» و «جاك بيرك»

(٢) أبرز من قال بهذا الرأي «دنسن زينان» و «رينيه شارل».

(٣) راجع مجموعة الشرق الأوسط في «مرحلة الانتقال» لندن ١٩٥٨ ومنها مقال عن «وحدة العرب وخلافاتهم» بقلم هانس توتش وآخر عن «الجامعة الإسلامية والشيوعية» بقلم نبيه أمين فارس. وعلى هذا فإن الأمة الإسلامية أمة عمل وحضارة وجihad ومجاهدة وأن ما وصل إليه المسلمين من الحضارة العلمية الإنسانية على عهد هارون الرشيد رحمة الله تعالى وما وصلت إليه حضارة الأندلس في أعلى مراتب العلم مما كان سبباً في قيام الحضارة الغربية يشهد كما ذكرناه، ومع هذا نجد بعض المستشرقين يتهمون المسلمين بالكسل والجمود والتخلف ويصفون الغرب بالعقل والجد والاجتهاد، ومثل هذا الاتهام يردد كثير من المستشرقين ويهدفون فيه إلى أهداف سيئة حيث يجعلون لهم الصدارة والوصاية على العالم الإسلامي لأنهم أهل العقل والعلم والعمل ويررون في المجتمع الإسلامي قصوراً وتخلقاً وانحطاطاً فينسبونه إلى الإسلام كما قال الشاعر:

يقولون في الإسلام ظلماً يَصُدُّ ذويه عن طريق التقدم  
فإن كان ذا حقاً فكيف تقدمت أوائله في عهدها المتقدم

(٤) الإسلام والرأسمالية، مكسيم رودنسون، ترجمة نزيه الحكيم، دار الطليعة، بيروت، ط١، كانون الثاني ١٩٦٨، ص٣٣، وسنزمله بـ(رودنسون).

## المبحث الثاني

### المستشرق مكسيم رودنسون<sup>(١)</sup>

#### أ- القرآن وعلم الاقتصاد:

فلنبدأ بالقرآن كلمة الله والمرجع الرئيسي الذي لا يتحمل شكًّا ولا نقصًا «مبديئاً على الأقل لأن بعض آياته ناسخ لبعض» والقرآن بالطبع ليس كتاباً في الاقتصاد السياسي، ومن العبث أن نبحث فيه عن تأييد الرأسمالية أو إدانة لها بوصفها نظاماً اقتصادياً، فهل نحن واجدون فيه على الأقل أحکاماً تتصل بالمؤسسات الاقتصادية التي تعتبر ذات طبيعة رأسمالية أو تؤلف أساس الوضع الاجتماعي الاقتصادي الرأسمالي أو عناصره.

إن من الواضح كبداية جواباً على ذلك أن القرآن ليس عدواً للملكية الخاصة ما دام - مثلاً - ينظم أحکام المواريث؛ بل هو ينهى عن الاعتراض على ما قد يكون هناك من تفاوت<sup>(٢)</sup> مكتفيًا بحسب غضبه على ما اعتاده المترفون من كفر بالنعمة متذرًا

(١) «مكسيم رودنسون» مستشرق وعالم اجتماعي فرنسي ولد في باريس ١٩١٥ وأتم دراسته فيها ثم قضى سبع سنوات في الشرق الأوسط أستاذًا ثم موظفًا في مصلحة الآثار في بيروت، وهو الآن مدير للدراسات في المدرسة العلمية للدراسات العليا في جامعة السوريون حيث يعلم الأثيوبية والحميرية القديمتين ويحاضر في التاريخ البشري للشرق الأوسط، وهو أحد المناضلين التقديمين المعادين للاستعمار، وله - بالإضافة إلى مجلة الشرق الأوسط - التي كان يديرها، دراسات عديدة عن الشرق المعاصر والتاريخ الثقافي والبشري للعالم الإسلامي والتاريخ الإفريقي وعلم الاجتماع واللغات السامية كما أن له كتاباً ممتازاً عن «حياة محمد» يعيد النظر فيه الآن تمهيداً لإعادة طبعه وينتظر أن يصدر له في العام القادم كتاب عن «الأنثropolوجيّة الشرق الأوسط» وكتاب آخر عن «الإسلام والإشتراكية» وهو بالإضافة إلى موقفه الراهن ضد العدوان الإسرائيلي الأخير ضد الصهيونية العنصرية بوجه عام، كان قد زار القاهرة عام ١٩٦٤، واشترك في «الندوة العالمية لاتحاد طلاب فلسطين»، المصدر السابق، ص ٦-٥.

(٢) المصدر السابق ص ٦/٥.

بأن ثروتهم لن تغني عنهم يوم الحساب ومشيراً إلى أنها تفتنهم عن تقوى الله فهل تراه  
يستثنى من ذلك ملكية وسائل الإنتاج؟ لا بل هو يتحدث عن الإجازة كمؤسسة طبيعية لا  
اعتراض عليها وكثيراً جداً من آيات القرآن يتحدث عن أجر الإنسان عند الله، وهو يصف  
لنا مشهد المدیني وهو يفاضل موسى على العمل لديه راعياً مأجوراً كما إن إصلاح جدار  
متهدّم يستحق الأجر كما يستحق مثله الرسل ومحمد معهم وهم في ذلك لا يسألون على  
تبشيرهم أي أجر.

## بـ- الإسلام يحث على العمل والتجارة وينهى عن الغش والخداع:

إن الإسلام يرحب في الزهد ويحذر المؤمنين من مغبة حب الدنيا والركون إليها واتخاذها غاية في الحياة واتخاذ كافة الوسائل للحصول على المال «وَتَحْمِلُنَّ الْمَالَ جَمِيعًا» [الفجر: ٢٠] ويأمر أتباعه بإعطاء حقوق الله والناس والمال: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»، «وَابْتَغِ فِيمَا أَنْتَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسِ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَاحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ» [القصص: ٧٧] ويحث على العمل حتى يوم الجمعة الذي هو يوم تغلب عليه العبادة في صلاة الجمعة والاستعداد لها بالاغتسال والتطهر والتطيب والتزيين فيها، قال تعالى: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَشْرُوْا فِي الْأَرْضِ وَلَا يَنْجُوْا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [الجمعة: ١٠]. وبهذا وبغيره يفترق الإسلام عن بقية الأديان السماوية والمذاهب الاقتصادية والاجتماعية فيقول رودنسون:

«ومن الأديان ما تزهد نصوصه المقدسة بالنشاط التجاري على إطلاقه داعياً تابعيها إلى الاتكال على رب في توفير ما هم بحاجة إليه كل يوم أو مستقبحة لديهم - على وجه الخصوص - سعيهم وراء الكسب، على أن من المؤكد أن هذا ليس موقف القرآن الذي ينظر بعين الرضا إلى الفاعلية التجارية مكتفياً باستنكار أساليب الغش والخداع وبالامر بترك المبایعات إذا كانت في بعض أوقات العبادة<sup>(١)</sup> فالقرآن في التعبير الأمين لعالم إسلامي معاصر هو (محمد حميد الدين) لا يكتفي بأمر المسلم ألا ينسى نصيبيه من الدنيا (سورة القصص ٧٧) بل يضيف أيضاً أن الصواب الجمع بين العبادة وبين الحياة المادية والتجارة حتى في موسم الحج ويدعوه إلى تسمية الربح من التجارة فضلاً من الله ونعمة»<sup>(٢)</sup>.

(١) رودنسون ص ٢٦.

(٢) نفس المصدر ص ٦٢.

وبعد أن تحدث عن النصوص من القرآن والسنّة وما حدث من وقائع في التطبيق العملي وأراء الصحابة في ذلك وما ذكر من آراء وقصص ثم قال: (نحن هنا أيضاً لا نستطيع أن نميز على وجه الدقة بين التاريخ والأسطورة في هذه الصورة لأبي ذر)<sup>(١)</sup>.

قال: (خلاصة القول إذن أن أقصى العدالة التي كان يتبعها أولئك المسلمين الأكثر حرضاً على الولاء للمثل الأعلى القرآني) كان يتمثل في الملامح التالية:

دولة تحكم وفق المبادئ الموحى بها من الله، وتعامل جميع المؤمنين بالتساوي تجاه الشريعة السماوية، وتحقق في قلب الجماعة الإسلامية تكافلاً واسعاً على حساب المحظوظين ولمصلحة الفقراء. وهذا هو المثل الأعلى الذي حاولت الحركات الإصلاحية والثورية الكثيرة في التاريخ الإسلامي أن تتحقق أكثر من مرة<sup>(٢)</sup>.

وهذا الإقرار يمثل وثيقة تاريخية مهمة من عالم اجتماعي واقتصادي ماركسي كبير في حين أن الإسلام أفضل نظام اقتصادي يحقق الأهداف السامية التي ينشدتها الإنسانية ويدعو إليها قادة الإصلاح وزعماء الفكر في العالم الإسلامي بل في العالم أجمع، وإنما يكون ذلك إذا طبقت تعاليم الإسلام وأنظمته عن إيمان وصدق واحتساب الله وطلب رضاه. فلقد كان المجتمع الإسلامي في أحواله الاقتصادية حتى بعد الراشدين قد ضرب أروع الأمثال وأكرمها فقد وصل الأمر في زمن عمر بن عبد العزيز إلى أن يكتب إليه أحد الولاة يعلمه بأن أموال الزكاة ليس هناك فقراء يأخذونها. وأعتقد أن مثل هذا المجتمع يتصرف أهله بالقناعة والكفاية والتعاون والمحبة والتكافل الاجتماعي بما لم نجده ولم نسمع ولم نقرأ عنه في أي مجتمع من المجتمعات القديمة التي سبقت الإسلام... والحديثة التي أعقبته. ولسنا ندعى أن المجتمع الإسلامي قد ساده النظام الاقتصادي نظرياً وعملياً في كل العصور الإسلامية.

(١) نفس المصدر ص ٦٣.

(٢) نفس المصدر ص ٦٥-٦٦.

وقد عنون رودنسون لذلك فقال: (أثر العقيدة الإسلامية بصورة عامة على الصعيد الاقتصادي) حتى الآن درسنا النظرية الاقتصادية في الإسلام كما عبر عنها القرآن والسنّة وأقمنا الدليل على أنها لم تدن مبدئياً ولا أعاقت عملياً نموّ ما سميّناه هنا القطاع «الرأسمالي» في الاقتصاد. أما الآن فينبغي لنا أن نخطو خطوة أخرى، ذلك أن قطاعاً رأسانياً من نفس الطراز قد وجد في أوروبا الغربية في العصر الوسيط ثم نما إلى أن أعطى ما يدعى وفقاً لاختلاف المدارس الرأسمالية الحديثة أو بالوضع الاجتماعي الاقتصادي الرأسمالي. ولكن مثل هذا النمو لم يحدث في البلدان الإسلامية ولئن حدث ابتداء من القرن التاسع عشر فهناك من الأسباب ما يدعو إلى الاعتقاد بأنه إنما جاء بتأثير خارجي، ترى (أيرجع هذا القصور إلى طبيعة الدين الإسلامي أو بصورة أعم إلى طبيعة الأيديولوجية الإسلامية في العصر الوسيط؟ هل كانت هذه الأيديولوجية أقل من أيديولوجية أوروبا المسيحية ملائمة لنمو عن هذا النوع؟).<sup>(١)</sup>

ويعقب على هذا مبيناً خطأ الرأي الذي ينسب إلى الإسلام سبب التأخر والانحطاط الاجتماعي والاقتصادي ويدلّ على ذلك بأدلة واضحة قاطعة (فإن هذا في الواقع هو ما يزعمه وأي رأي مبتذل واسع الانتشار يلح بوجه خاص على أن المسلمين يتصرفون بتكميل بليد، مستند إلى ما يرى أن العقيدة تشيعه من إيمان بالقضاء والقدر كما يلح على أن هذا التكميل الجبري هو نقىض روح المبادرة لدى الأوروبيين سواء اعتبرت هذه الروح وراثية أو نظر إليها على أنها ثمرة المسيحية بصورة عامة أو وليدة هذه أو تلك من العقائد المسيحية الخاصة وهنا أيضاً لعب «ماكس وير» الدور الرئيسي في وضع نظرية تأخذ بهذا الرأي وفي تقنيتها ودعمها بالحجج العلمية).<sup>(٢)</sup>

(١) رودنسون ص ١٣١.

(٢) المصدر السابق ١٣١ - ١٣٢.

ثم يقول :

(ليري «ويبير» أن الذهنية الجماعية الأوروبية تميز بدرجة عالية من العقلانية وهو يتردد في تحديد منشأ هذه الظاهرة ولكن كان يفترض في استحياء أنها قد ترجع إلى أسباب - بيولوجية - أي عنصرية فهو يقف عند الافتراض خشية الانزلاق في هذا المنحدر ولكنه يعدد مظاهر هذه العقلانية. ففي أوروبا، وأوروبا وحدها يجد المرء دولة عقلانية قائمة على جهاز من الموظفين المتخصصين وعلى قانون موغل في العقلانية هو القانون الروماني الذي صاغ (الفكر الحقيقي الصوري) على حساب الفكر الحقوقي المتوجه نحو المبادئ (المادية) كمبادئ المنفعة والإنصاف، وفي أوروبا لا يرى المرء إلا الحد الأدنى من العوامل المعايق للتطور الرأسمالي عوامل الاتجاه السحري للتفكير وبعض المصالح المادية والعقائد السلفية المبنية على الدين أو على الأخلاق. ثم يقول (واذا كان الأمر كما ذكرنا فإن مجرد وجود من يقول بهذه الآراء يفيض على الدارس أن يتعمق في أوروبا العقيدة الإسلامية هي حقاً تعوق الفكر عن الاتجاه العقلاني؟ وهل تشجع على التفكير السحري والتواكل الجبري؟ وهل هي أكثر إعاقه لازدهار الرأسمالية في معناها الحديث عن العقائدية المسيحية في العصر الوسيط ؟ ويبدو من صواب الرأي - لأسباب تتضح للقارئ أن ندرس العقائد الإسلامية من هذه الوجهة على صعيدين: صعيد العقيدة القرآنية وصعيد العقيدة الوسطية بعد القرآن وسنكتفي طبعاً بالخطوط العامة) (١) .

#### ج- (العقيدة القرآنية والاستدلال العقلي) :

القرآن كتاب مقدس تحتل فيه العقلانية مكاناً جد كبير. فالله لا ينفك فيه يناقش ويقيم البراهين، بل أكثر ما يلفت النظر هو أن الوحي نفسه هذه الظاهرة الأقل اتساماً بالعقلانية في أي دين الوحي الذي أنزله الله على مختلف الرسل عبر العصور وعلى

(١) روبنسون ١٣٢ - ١٣٣.

خاتمهم محمد يعتبره القرآن هو نفسه أداة للبرهان فهو في مناسبات عديدة يكرر لنا أن الرسل قد جاؤوا بالبيانات<sup>(١)</sup> فإذا تساءلت: ما الذي يضمن صحة الدلالة في هذه البيانات بدا لك أن هذه الضمانة - لدى محمد - تكمن في معايير من التلامس الداخلي من التوافق الجوهرى بين مختلف ما أنزل على محمد نفسه يضمنه أنه تمثل جوهرياً مع الوحي الذي أنزل على غيره من قبل والذي يبدو له أمراً وثيقاً التاريخ. وهو لا يألو يتحدى معارضيه أن يأتوا بواحى مثله<sup>(٢)</sup> وحي يحمل نفس الإلهية شكلاً ومضموناً أن يأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى مما أنزل على موسى وعلى محمد (القصص ٤٩) فإذا لم يقبلوا بهذه المعايير ففي المستطاع اللجوء إلى محاكمة تمثل «الرهان» المعروف لدى «باسكار» وذلك هو ما يفعله «مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه»<sup>(٣)</sup> دفاعاً عن موسى ﴿أَنْفَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُنْ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُنْ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

والقرآن ما ينفك يقد البراهين العقلانية على القدرة الإلهية: ففي خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وتوالد الحيوان ودوران الكواكب والأفلاك وتنوع خيرات الحياة الحيوانية والنباتية ت نوع رائع التطابق مع حاجات البشر ﴿لَآتَيْتَ لِأُولَئِكُمْ الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

وأقوى الأمثلة النموذجية على هذه المحاكمات نجده في دحض ناموس التثلث المسيحي فالقرآن يرفض هذا الناموس استناداً إلى ما كان محمد يعتقد أنه التاريخ وإلى ما ينسب للمسيح ذاته من قول ينفي به عن نفسه صفة الألوهية، وليس هذا فحسب بل إن

(١) يقول مثلاً عن يوسف: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ يَالْبَيِّنَاتِ﴾ [غافر: ٣٤] وكذلك راجع سورة البينة

(٢) ﴿فَلَيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مُّثِلِّهٍ إِنْ كَانُوا صَدِيقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَا قُلْ فَأَقْوِيُّ شُورَقَ مَثِيلِهِ وَأَدْعُوا مِنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٣٨]

(٣) الإسلام في تعريف القرآن الكريم لا يبدأ بمحمد فكل الرسل الحقيقيين منذ آدم وكل الذين اتبعوهم كانوا مسلمين أي موحدين مؤمنين يعبدون الله.

المسيحيين مدعوون إلى أن (لا يغلو) في دينهم فلا يقولوا بما لا يعقل «إِنَّمَا أَلَّهُ إِلَهٌ وَحْدَهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكَيْلًا» [النساء: 171] أو «مَا أَلْمَسَيْتُ أَبْنَى مَرِيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرَّسُولُ وَأَمْثُمُ صِدِيقَةٌ» ولكنهما كانا بشراً كالآخرين «كَانَا يَأْكُلَانِ الظَّعَامَ» [المائدة: 75] «لَقَدْ كَفَرَ الظَّالِمُونَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرِيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنَّ أَرَادَ أَنْ يُهَلِّكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرِيَمَ وَأَمْكَنَهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا» [المائدة: 17].

ولذلك «يَأْهُلَ الْحِكْمَةَ لَا تَقْتُلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرِيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَقْتَلَهَا إِلَيْ مَرِيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَقَاتَمُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ أَحْسَنُ أَكْثَرًا» [النساء: 171].

وبعدها يتحدث عن العقل «العقل» واستفاضت الآيات القرآنية في الحديث على استخدام العقل في البصيرة والفهم والحكم على الأمور والقضايا العلمية والفكرية والدينية فيستدل على أن الإسلام دين العقل ويقضي ببطلان الرأي الذي يتهم الإسلام بالجمود والتخلف الحضاري واللامعقولانية فهو يقول «وَفَعْلٌ» «عقل» (بمعنى: ربط الأفكار بعضها ببعض والحاكم فيهم البرهان العقلي ) يتكرر في القرآن حوالي خمسين مرة. ويترکرر ثلاث عشرة مرة هذا السؤال الاستنكاري وكأنه لازمة: «أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟» والكافر أولئك الذين يرفضون الاستماع إلى دعوة محمد يوصفون بأنهم قوم لا يعقلون لأنهم قاصرون عن أي جهد عقلي يهز تقاليدهم الموروثة وهم بهذا عجماء وأنعام بل أكثر عجمة، ولذلك كان الأب (هنري لامس) على حق في قوله أن محمداً «ليس بعيداً عن اعتبار الكفر عاهة من عاهات الفكر البشري » فالكافر - ككل المحافظين في كل العصور - يقولون أنه يكفيهم أن يتبعوا ما كان عليه آباءهم، ومحمد ككل المجددين تستثيره هذه الحماقة، أفلأ يدركون أن آباءهم، قد أعملوا فكرهم قبل أن يضعوا قواعد حياتهم.

ولذلك يكره الله هؤلاء الناس الذين لا يريدون أن يعيدوا النظر في أسس تفكيرهم، ولئن كان يرسل الآيات الدالة على وجوده وإرادته وأهمها الآيات المنزلة على نبيه محمد، فلكي يفهمها الناس ويجعلوا منها أساساً لتفكيرهم ونرى الله يقدم البينة الفاصلة ثم يختتم البرهان بقوله ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٨]. ولما كان الإنسان حراً فأقصى ما يسع الله فعله هو أن يضع أمامهم هذه الآيات، هذه البيانات التي ستكون حاسمة قاطعة بمجرد أن يعمروا حواسهم وملكة المحاكمة فيهم، فإن فعلوا فعلها تهديهم إلى الإيمان فإن اهتدوا كانوا «عالمين» وكان لهم نصيب مما جاء به الرسول من العلم، هذا العلم الذي هو نقىض الجاهلية والجهل جهل الإنسان البدائي قبل الوحي الذي يأتي بالحق والصدق، وأما من ظل على كفره فهو الجاهل بإرادته ذلك الذي ﴿تَرَوْا يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠] ولا مثال لهذا يجب أن يقال : ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِن أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

وبعد أن يذكر التزعة الإسلامية العقلانية والدلالة عليها يذكر ما يتوهمه البعض من نهج عقلي عند الإغريق والديانات الأخرى يقول القولة الحقة الصادقة (في مقابلة هذا «تبعد العقلانية صلبة كأنها الصخر »؟).

١- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكُمْ أَفَأَنَّ تُسْمِعُ الْثُمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَفَأَنَّ تَهْدِي الْعُمَّى وَلَوْ كَانُوا لَا يُبَصِّرُونَ﴾ [يوحنا: ٤٢-٤٣].

٢- ﴿وَمَثُلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِي يَتَعَقَّبُ إِيمَانَهُ لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١٧١].

﴿أَرَيْتَ مَنْ أَنْخَذَ إِلَيْهِمْ هَوَنَهُ أَفَأَنَّ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا لَا أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَغْنِمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَيِّلًا﴾ [آل عمران: ٤٣-٤٤].

٣- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَيْعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَشَيَّعُ مَا أَفْتَنَاهُنَا إِيَّاهُنَا أَوْ لَوْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ لَا يَعْقِلُونَ شَيْعًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

- ٤- «إِنَّ شَرَّ الدَّوَاتِ عِنْدَ اللَّهِ الْأَصْمُ الْبَشْكُمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ» [الأنفال: ٢٢].
- ٥- «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِيَّةً لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ» [النحل: ٦٩]، «إِنَّا مُنْزَلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْأَقْرَبَيَّةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَقْسِقُونَ ☆ وَلَقَدْ تَرَكَنَا مِنْهَا آءَى كَيْتَ بِنَسَةَ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» [العنكبوت: ٣٤-٣٥]، «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» [يوسف: ٢].
- ٦- «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ أَمْنَوْا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثُرَ مِنْهُمْ فَنَسِقُونَ» [الحديد: ١٦].
- ٧- «وَتِلْكَ أَلَا مَثَلُ نَضْرِيهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ» [العنكبوت: ٤٣].
- ٨- «قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْمُهَدِّى وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ» [البقرة: ١٢٠]، «الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَنَينَ ☆ فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ» [آل عمران: ٦١-٦٠].
- ٩- «أَفَحَكِمُ الْجَهَلَةَ يَعْمَلُونَ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُؤْقِنُونَ» [المائدة: ٥٠]، «وَإِذَا سَمِعُوا الْلَّغُوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَاتُلُوا النَّاسَ أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا تَنْهَى الْجَاهِلِينَ» [القصص: ٥٥]، «قُلْ أَفَغَيَرَ اللَّوْتَ أَمْرُوْتِي أَعْبُدُ أَيْمَانَ الْجَاهِلِيَّةِ» [الزمر: ٦٤].
- ١٠- «إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ» [الزمر: ٢] وَ«وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَنُونَ» [الزمر: ٣٣].

ثم يرجع على قضية القضاء والقدر وما فهمه البعض جهلاً وقصوراً أو حقداً أو عناداً بأنه يمنع من النمو الاقتصادي والنشاط التجاري والعمل المثمر ويستخلص بعد دراسته إلى القول: «وما يهمني في حديثي هنا هو التدليل على أن فكرة القضاء والقدر تلك المخففة هنا وهناك والتي تجد ما ينافقها في آيات أخرى لم تكن أبداً لتعزيز

العقيدة القرآنية عن الحث عن العمل ، فإذا كان القرآن يدعو المؤمن إلى الفضائل كالعدل بين الناس واحترام العهود والتعرف والاستقامة وإلى البر بالوالدين والإحسان إلى ذوي القربى واليتامى وإطعام المسافرين فمن الواضح أن ذلك يعني أنه يعترف للإنسان بقدر من حرية العمل أو الأعمال ولو في الظاهر على الأقل . بل أن هناك بعضًا من وجوه النشاط الاجتماعي لا علاقة لها بالتقوى والبر في ذاتهما ينصح بها القرآن أو على الأقل يسمح بها ويعتبرها من أمور الحياة الطبيعية فالتجارة الشريفة مثلاً يتكرر الحديث عنها كنشاط طبيعي ﴿يَتَأْيِهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ يَنْهَا كُمْ بِالْبَيْطَلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ رَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] . وإذا كانت ثمار الأرض تمجد في كثير من المواقع كأمثلة لجلال ما صنع الله ولا سيما الحبوب والفاكهه والمراعي فذلك يعني بالضرورة تشجيعاً للزارعين والرعاة على العمل استزادة من هذه العطايا الإلهية: والدعوات إلى الجهاد المقدس أليست حثاً على نوع آخر من العمل؟ لا يوصي القرآن بالشجاعة وبالصلابة أمام العدو والصمود في المعركة؟ ﴿فَلَا تَهِنُوا وَنَذْعُوا إِلَى السَّلَوةِ وَأَنْسِمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٣٥] ، وصحيح أن الله يعد بتقديم المعونة... ويقدمها فعلاً وأنها عامل جوهري في النصر ولكنها لا تعفي الإنسان أبداً من أن يكافح بما بين يديه من وسائل إنسانية، انظر كيف يعين الله داود الرسول الحداد في عمله: ﴿وَلَقَدْ أَئْتَنَا دَاؤِدَ مِنَا فَضْلًا يَنْجِي أُوْيَ مَعَهُ وَالظَّيْرُ وَالنَّا لَهُ الْحَدِيدُ أَنِّي أَعْمَلْ سَيِّغَتِ وَقَدْرَ فِي السَّرِيدِ﴾ [سبأ: ١٠-١١].

في كل هذا لا نجد أية دعوة للقعود انتظاراً لعون الله . وصحيح أن في القرآن آيات عديدة تحذر من فتنه متاع الحياة الدنيا وما تمثله من سراب زائل وأن الصوفيين المتأخرین رأوا في هذه الآيات دعوة إلى الزهد وإلى الابتعاد عن الشؤون الدنيوية والانصراف بكليتهم إلى البحث عن الله كما أنه لا يستبعد أن يكون بعض معاصرى الرسول أنفسهم قد انتهوا إلى مثل هذا الاستنتاج أو أن تكون هذه النصوص قد جاءت تدعم نزعاتهم

السابقة ولكن المؤكد أنها لم تكن كذلك لدى محمد - فالبرهان على قوة الله - وعلى أن أشياء هذه الدنيا عرض ثانوي إنما يعني حض المؤمنين على أن يضعوا الولاء الفعال للجماعة فوق هموم التجاج الشخصي ويعني إقناعهم بحتمية النصر الذي يدعمه مثل هذا التضامن وإقناع الكافرين بالانضمام إلى هذا التيار الذي لا يقاوم.

وحياة الرسول الراخمة بالنشاط دليل ساطع على أنه إذا كان قد خامره أحياناً بعض النزوع إلى الاستسلام والتوكيل على الله فهو لم يخضع قط لهذا الإغراء، بل تغلب سريعاً عليه بل إن الله نفسه في القرآن يأمر خادمه الأمين بالعمل: (اقرأ...)، (قل...) يعني بشرّ، اكتب الأنصار، حرك الأفكار، وهو يأمره أن يقول للذين لا يؤمنون: ﴿يَنَقُّومُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَا كَانُوا يَكْرِمُ إِنِّي عَمِيلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [آل زمر: ٣٩] وكذلك هو يأمره أن يحاربهم ﴿يَتَأَيَّهَا النَّيْشُ جَاهِدُ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظُ عَلَيْهِمْ﴾ [التحرير: ٩].

ولكن تكررت دعوته إلى الثقة بربه والتوكيل عليه في نجاح مسعاه فمن الجلي أن هذا لا يعني أبداً أن الرب يدعو خادمه إلى التواكل والقعود<sup>(١)</sup>.

(١) هذه الحقيقة تناولها بالتفصيل كتاب كان له دور كبير في إيقاظ المسلمين على واقع العصر، هو كتاب شكيب أرسلان: «لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم» طبع القاهرة ١٣٤٩ وفيه استشهاد بالأيات التي وردت فيها كلمة «العمل» على مختلف صورها مع مقارنة ذلك -كما أفعل أنا- بما يمكن أن يسمى «جبرية الإنجيل» كذلك كان هذا هو موقف المصلح الكبير الإمام محمد عبده وكثيرين غيره. ومن الواجب أن نؤكد ضلال أولئك الذين لا يعرفون إلا القليل عن الإسلام ثم يزعمون أن مفكري الإسلام المحدثين يحملون نصوص القرآن أكثر من مقاصدها تأييداً ل موقفهم ضد الاستسلام للقضاء والقدر - روينسون ص ١٥٣ - ١٥٥.

## الفصل السادس

### مناهج المستشرقين في السنة النبوية والتاريخ الإسلامي المبحث الأول

#### دراسة تحليلية في منهج المستشرقين في السنة النبوية

نهج المستشرقون في السنة النبوية منهجاً يتعلّق بأمرتين :

الأمر الأول: الحديث النبوي الشريف (النص) فلقد شككوا في صحة الحديث النبوي معتمدين ما يأتي :

١ - إن الحديث لم يدون وقد نقل شفافها وهذا مما يوجب في نظرهم عدم صحة الأحاديث والمصيبة العظمى أن المستشرقين لا يتحرّون المصطلحات التي عند علماء المسلمين، فالآحاديث كتبت عند بعض الصحابة (رضي الله عنهم) ولكن لم يأمرّوا العلماء بتدوينها لمصلحة عامة ولم يصدر أمر بالتدوين إلا في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١هـ. وإن فقد كانت هناك صحف مكتوبة منها :

أ - الصحيفة الصادرة عن عبد الله بن عمرو بن العاص وانها تحتوي ألف حديث .  
ب - صحيفة جابر بن عبد الله الانصاري التي يقول فيها قتادة بن دعامة السدوسي إنه يحفظها ويعتني بها أكثر من غيره .

٢ - الوضع في الحديث: فقد أكثر الوضاعون من الحديث النبوي لأسباب ذكرها أهل العلم بالحديث وقد تحدث العلماء عن الوضع ووضعوا الضوابط الدقيقة التي تميز بين الحديث الصادق والحديث الموضوع مما يعجز كل علماء الغرب عن القدرة على تقليله والوصول إلى تلك الدقة العلمية فيه ولقد كانت لعلماء المسلمين تلك الجهود العظيمة التي أجزم أنها لم تدع حديثاً موضوعاً إلا بيته .

٣- اتهام فقهاء المسلمين بتلقيق الأحاديث النبوية ووضعها وذلك لترويج آرائهم واختلاف الأدلة التي تسند تلك الآراء وهو أمر مخالف لما كان عليه فقهاؤنا من العلم والورع والتقوى مما لا يتناسب مع ما ذكره المستشرقون.

الأمر الثاني: يتعلق بالسند والرواية فإنهم قد طعنوا في السند والرواية على ما يأتي:

أ- اتهموا فقهاء المسلمين بوضع الأسانيد وتلقيقها.

ب- كرسوا بحوثهم على بعض الأجلة من كبار الحفاظ وأئمة العدالة والضبط فشوهدوا تاريخهم وألصقوا بهم ما ليس فيهم وأظهروا لهم صورة بشعة كاذبة كأبي هريرة والزهري وأبي حنيفة وقد رد على هذا كثير من العلماء المسلمين لكن الرد القوي الذي صدر من (ونسيفك) إذ تصدى للرد بنفسه على من زعم منهم ذلك الزعم وأثبت لهم فساده وجهلهم وسفه أحلامهم وبين لهم الدور الذي قام به أهل الحديث فذكر جهودهم بدراسة الحديث ونقده وصدق نقلته الذين اكتملت فيهم شروط الرواية فأجاد في ذلك وقد كان منهج المحدثين من العلماء فصار من نتائجه:

أولاً: معايير النقد للسند والمتن.

ثانياً: علم مصطلح الحديث.

ثالثاً: تدوين الصحيح.

رابعاً: كتب الكشف عن الرجال.

خامساً: كتب الكشف عن الموضوعات<sup>(١)</sup>.

(١) مناهج المستشرقين د. عبد القهار العاني د. سعدون الشاموك ص ٨٣-٨٤.

## **المبحث الثاني**

### **المستشرقون والسيرة النبوية**

إن التصور العام لسيرة الرسول ﷺ عند عامة المسلمين في البلاد العربية وغيرها هو تصور خاطئ مشوب بالشبهات التي أثيرت والتي تضمنت مناهج التربية والتعليم التي وضعت تحت إشراف وتوجيه المستشرقين والمبشرين الذين كان لهم السلطان التربوي والفكري في تلك البلدان إبان الحكم الاستعماري الذي تقاسمت فيه الدول الكبرى بلاد العرب والمسلمين بعد سقوط السلطان عبد الحميد رحمة الله تعالى وانهيار الدولة العثمانية فتسلط على البلاد جيش الاستعمار بنوعيه: الجيش العسكري والجيش الفكري، والثاني كان أخطر على الأمة من الأول وقد استطاع الاستعمار بعد خروجه من بلادنا وذهب أرباب الفكر الأوروبيين أن يربوا جيشاً فكرياً من أبناء البلاد الذين استهوتهم آراء المستشرقين وتخرج كثير منهم من المعاهد والجامعات الأجنبية وبُهروا بما يسمونه «المنهج العلمي في الغرب والشرق» فقد تمكّنوا من إقناعهم بـ«الحقيقة» منهجهم وحياديته وأصالته، وارتضوا ذلك المنهج الذي ترتب عليه الانحراف في الفكر العام.

## المبحث الثالث

### كولسون وأراءه في السنة النبوية

أقواله :

١- إن الرسول ﷺ (لا بد من أن يكون قد واجه في أثناء حكمه بالمدينة كثيراً من المسائل التشريعية وبخاصة تلك التي تشيرها الأحكام القرآنية باعتباره الأمين على الوحي والمفسر لنصوص القرآن العامة والمجلة )<sup>(١)</sup> وهكذا وضعت السنة بمثل تلك الأحكام الأساس الأول لقيام بناء قانوني مستمد من مبادئ القرآن الأخلاقية<sup>(٢)</sup>.

رأيه عن طبيعة تلك السنة النبوية :

١- من العلوم عند المسلمين كما ورد في القرآن الكريم من أن السنة وحي من عند الله عز وجل ، قال تعالى : «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْمَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى» [النجم: ٤-٣] وما ورد من أقوال الرسول ﷺ المستفيضة منها قوله ﷺ «ما أخبرتكم به عن الله فلا أكذب أبداً، وما أخبرتكم به عن نفسي فإنما أنا بشر وأنتم أعلم بأمور دنياكم»، والله تعالى يقول : «وَلَوْ نَقُولَّ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذَنَا مِنْهُ يَالَّذِينَ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتَنَ» [الحاقة: ٤٤-٤٦].

٢- أن التصور والخيال والحدس والظن بغير علم هو الذي يغلب على بعض المستشرقين الذين يريدون أن يطعنوا بالإسلام أو يعطوا صورة مهمة من مصادر الشريعة الإسلامية ، فحين لا يستطيعون أن يفرقوا بين النص كالحديث النبوى مثلًا وبين الآراء والأحكام الفقهية المستنبطة عنه يجعلون كل ما ذكرناه سنةً ، وهذا أيضاً ناتج عن عدم

(١) في تاريخ التشريع الإسلامي ، كولسون ص ٦١ .

(٢) المصدر نفسه ٦٢-٦٣

رجوعهم إلى كتب علماء المسلمين ومحدثيهم في تحديد تلك المصطلحات، فلهذا نجده يقول: «إن السنة في القرن الثاني الهجري كانت تعني مجموع الآراء الفقهية المتفق عليها بين علماء مدرسة فقهية معينة ويسميها «سنة المدرسة» فهي مجموع الآراء والأصول المتعارف عليها في كل مذهب والذي يعمل رجال المذهب على عرضها ونصرتها»<sup>(١)</sup>.

(ثم إن فكرة اتباع المؤثر جعلت هذه الآراء الفقهية تنسب بعد قليل إلى أسماء محدودة من الشخصيات المشهود لها بالفضل والتقدى؛ فعمر على سبيل المثال كثيراً ما يذكر باعتباره المؤسس لسنة المدينة، على حين احتل عبد الله بن مسعود مكانة مشابهة في الكوفة، وقد وصل الأمر بصيغته في النهاية إلى نسبة الرأي الفقهي إلى النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>.

ويبدو لنا الخلط عند كولسون في النصوص السابقة إذ أن نظرية الإسناد إنما طبقت على الأسانيد صحيحها وضعيفها و موضوعها، وليس الأمر كما توهمنه من وضع سنداً مرتبأ للحديث، ثم مسألة أخرى أن النظر في أحوال الرواة التابعين وتابعبي التابعين فقط، أما الصحابة رضي الله عنهم فقد أجمع علماء الحديث من المسلمين بعدهم ولا عبرة بمن شدّ أو خالف من أهل الزيف فإن ذكره لعمر وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ليس في موضوعه، ثم إن نسبة هذا الفقه للنبي ﷺ مما يرويه الصحابة رضي الله عنهم ولم يرفعوه إلى النبي ﷺ مما يسمى بالموقوف له قواعد وضوابط ثابتة فإن كان من أمر الغيب الذي لا مجال للاجتهاد فيه كان ذلك حكمه حكم المرفوع، وإن كان للاجتهاد فيه نصيب كان رأي الصحابي واجتهاده كما هو معلوم في كتب الحديث<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق ص ٩٤.

(٢) المصدر السابق ص ٩٦.

(٣) انظر كتاب علوم الحديث، د. عبد الكريم زيدان. د. عبد القهار داود ص ٩٨. استناداً إلى كتب الحديث المعتمدة.

والغريب في أمر كولسون أنه، إما أنه يجهل الكتب والبحوث التي ألفها وثبتها علماء الحديث في مسألة الوضع وأسبابه وطريقه حيث ألفت كتب في تدوين الأحاديث الموضوعة، كما ألفت كتب في موضوع الوضع وكيفية معرفة الحديث الموضوع وغير ذلك ككتاب «اللآلئ المصنوعة» للسيوطى، و«تنزية الشريعة» لابن عراق و«الموضوعات» لابن الجوزي وغيرها. ونحن المسلمين ثبت أن الوضع في الحديث قد وقع وأن علماء الحديث لغيرتهم على الإسلام وحرصهم على السنة النبوية من التشويه والتزوير وضعوا علم الجرح والتعديل وأجازوه حفظاً للشريعة وحرصاً على نصوصها من أن تطالها يد التحرير والتبديل.. أو أنه يتتجاهل هذا الأمر.

وبهذا فهو يقول: (أن أهل الحديث تأيداً لمذهبهم في ضرورة اتباع ما تقرر من أحكام في القرآن بدأوا ينسبون كثيراً من القواعد والأحكام خطأ إلى رسول الله ﷺ وكانوا يضعونها في شكل قصص أو أخبار عما قاله «محمد ﷺ» في فعله في مواقف معينة « وكان ذلك نتيجة اعتقادهم الجازم أن النبي ﷺ كان سيقضي في الأحكام التي نسبوها إليه حتماً فيما لو واجهته المشاكل التي وقعت لهم<sup>(١)</sup> .

ولما كان ما قاله أمراً غير معقول... إذ كيف تكون السنة النبوية كلها مروية كذباً عن الرسول ﷺ فقد أراد أن يأتي بعبارة يظن منها أنه منطقي وأنه ينبع نهجاً طبيعياً وأنه لا يأس أن يقول بأنه (قدراً من أحاديث الأحكام يحتفظ بأصل الأفعال والكلمات التي صدرت عن النبي ﷺ وخاصة في المسائل غير الخلافية (لكن) هذا الأصل الصحيح قد غشا خليط متراكם من مواد موضوعة مختلفة)<sup>(٢)</sup> .

ومما يدل على جهله بآراء أئمة الفقه وعلماء الأصول الذين اتفقوا جميعاً على أن السنة النبوية المصدر الثاني في الشريعة الإسلامية أنه يثبت في كتابه أن أول من أثبت اعتبار السنة النبوية هي المصدر الثاني هو الإمام الشافعى رحمه الله تعالى وقد ذكر ذلك في كتابه الأصولي «الرسالة» وغيرها.

(١) المصدر السابق ص ٩٩-١٠٠.

(٢) المصدر السابق ص ١٠١-١٠٠.

ومثل هذا سبقه به الإمام أبو حنيفة ومالك رحمهما الله تعالى، فكلسون يقول: «إن اعتراف الشافعي بالسنة مصدرًا مكملاً للقرآن في التعرف على الإرادة الإلهية هو أهم إسهام قدمه هذا الفقيه للتشريع الإسلامي.. وتمثل السنة باعتبارها مسلك محمد ﷺ «الموحى إليه من الله المصدر الثاني للفقه في منهج الشافعي، وكانت تستند أساساً في المدارس الباكرة إلى المرويات الخاصة بمدرسة معينه، وقد تطلع الشافعي بإحلال مفهوم السنة النابعة من معين واحد محل الروايات المتداولة في الأمصار المختلفة فيما بينها باختلاف منشئها إلى اقتلاع سبب الخلاف بين المراكز الفقهية وبث الوحدة في النظر التشريعي. وباختصار، فإن الشافعي يذهب إلى أن هناك لوناً واحداً من المرويات هو الذي يصح أن يكون إسلامياً أصيلاً وهو في هذا لم يكن يقدم فكرة جديدة من كل جوانبها فقد كان هناك اتجاه متزايد لدى المدارس الفقهية الباكرة عموماً إلى ادعاء وجود أصل لمروياتها في مسلك النبي ﷺ وذلك بإرجاع نظرها الفقهي إليه. وقد استغل الشافعي هذا الاتجاه نفسه ليدعمه أصولياً ببيان كون السنة وحياناً وإلهاً وليرى فيما يتعلق بالشكل أن سنة النبي ﷺ لا تثبت بوجه صحيح ولا تتحقق إلا بحدث مروي عنه»<sup>(١)</sup>.

وقد عقب الدكتور محمد سليم العوا على ذلك فقال (إن من الغني عن البيان أن أحداً لا ينكر فضل الشافعي على علم أصول الفقه ولكن الفضل لا يزيد على كونه عبقرية الصياغة والتنظيم، فالشافعي لم يخترع أصولاً من عنده ولم يرفع دليلاً شرعياً إلى مرتبة الحجية لم تكن له قبله، وإنما جمع بما أتيح له من سعة المعرفة ودقة التتبع وتنوع الثقافة الفقهية الناتجة عن لقاء فقهاء الأمصار والسماع منهم ومناظرتهم وبظروف تكوينه العلمي والفكري بوجه عام جمع النظرية الإسلامية في استنباط الأحكام الشرعية في سياق واحد وعرضها عرضاً جميلاً قوياً مقنعاً جعل العلماء بعده ينسبون إليه في وضع علم الأصول لا لأنه موجده من العدم أو مخترعه من الوهم، وإنما باعتباره أول من نسقه ورتبه وبأبيته،

(١) التاريخ ١٢٤-١٢٥.

والمعالاة في دور الشافعي عند - كولسون ومن قبله عند جولد تسيهر وشاخت - يترتب عليها إنكار وجود وحدة أصول للاستنباط مسلمة بين الفقهاء قبله - ولو صَحَّ هذا -(وهذا غير صحيح ) لترثَّب عليه استحالَّة تفاهُم هؤلاء الفقهاء وتناظرهم وتبادلهم الرأي في أكثر من موطن، وكل هذا كان واقعاً وهو مدون في كتب الفقه والتفسير والتاريخ وغيرها. وهو يشهدُ شهادةً قاطعةً أن هؤلاء الفقهاء عرفوا الأصول واجتهدوا على أساسها وختلفوا في فهم نصوصها أو أساليب أعمالها، لكنهم لم يغفلوا عنها، ولم يجهلوا وجودها)<sup>(١)</sup>.

---

(١) مناهج المستشرقين ج ١ ص ٢٧٢ - ٢٧٣

## المبحث الرابع

### دراسة تحليلية في منهج المستشرقين في التاريخ الإسلامي

لسنا ننظر إلى الدراسات الاستشرافية من حيث أثرها على أقوامهم فحسب لأن المسألة قد تهون، ولكننا نجد خطورة عظيمة في انسياط هذا المنهج في الشرق الإسلامي والتزام بعض المفكرين من أساتذة الجامعات وغيرهم لذلك المنهج حتى وجدنا أن المستشرقين الغربيين وجدوا في تلامذتهم وأتباعهم ما يغනيمهم ويرضي رغباتهم ويحقق أهدافهم، ولهذا سبق أن قلت إنني لم أجده فيما وصل علمي أحداً من أبناء المسلمين من تخرج في جامعات الغرب أو الشرق من لم يتأثر بالمنهج الأجنبي سواء في كلياته أو في بعض جزئياته - ولهذا وجدنا كثيراً من الباحثين يتحدث عن النبي محمد ﷺ وكأنه زعيم أو فيلسوف أو باعث حضارة موحد أمة وليس نبياً مرسلاً.

(إن منهجية المستشرقين مهمة بالنسبة للتاريخ الإسلامي إذ إنها تمثل موضوعاً دقيقاً هو طبيعة التاريخ الإسلامي وجوهره، ومن ثم فقد أثرت على الطريقة التي كون المسلمون بها صورة لأنفسهم في سياق تاريخهم. والسؤال الذي يثير حساسية أكبر هو «كيف حاول المستشرقون أن يؤثروا على مجرى التطورات في العالم الإسلامي عن طريق تطوير موضوعات ونظريات وفرض عديدة تتصل بالتاريخ الإسلامي التي برغم احتفاظها بالمضمار الأكاديمي تُخفي في كثير من الأحيان دوافع وأهداف كامنة ترجع إلى الهيمنة على العالم الإسلامي والشرق بعامة من طريق الاعتماد القوي على النشاطات التنصيرية والاستعمارية والإمبريالية).

وتميزت الدراسات الاستشرافية للتاريخ الإسلامي بمميزات جعلتها تبعد الحقائق العلمية والثمرات الحضارية التي خلفها خلفاء المسلمين وعظماؤهم.

- ١- اعتمادهم على المصادر الضعيفة الواهية المنكرة ككتاب الأغاني وغيرها.
- ٢- عدم إدراكيتهم لحقيقة المجتمع الإسلامي وأسس تكوينه.
- ٣- تقصدهم في تصييد الآراء الشاذة والروايات الضعيفة المنكرة وتركهم الآراء المُجمع عليها أو الغالبة.
- ٤- عدم أمانتهم في النقل.
- ٥- استعمالهم طريقة التمويه ويتراوون بين الرواية والأخذ منها ما يفيدهم.
- ٦- الافتراء والكذب أحياناً وإلصاق الأخبار ببعض الشخصيات القيادية في التاريخ الإسلامي.
- ٧- إظهار الحركات الهدامة وإبرازها بأنها تمثل حركة الحرية والديمقراطية كالباطنية والقراطية والبرامكة والبهائية والقاديانية وغيرها ويصدق هذا على الاستشراق الغربي والشرقي.
- ٨- محاولة تفسير الأحداث التاريخية تفسيراً مادياً بعيداً عن الترعة الروحية المخلصة الله التي يتسم بها قادة العرب والمسلمين في الفتح الإسلامي.
- ٩- النظر إلى الإسلام أنه دين قد أخذ تعاليمه وأنظمته من اليهودية والنصرانية وأن محمداً ﷺ لم يكن إلا مفكراً استقى أفكاره عَمَّن سبقة<sup>(١)</sup>.

(١) يقول ماكدونالد: (لا يسعني إلا أن أعتقد هنا بأننا أمام حالة من حالات التكرار على لسان محمد وعلى نحو غير مقصود بالمرة لعبارة من العبارات التقطتها ذاكرة اللاوعي لديه حينما كان في كنيسة مسيحية سمعها في أثناء صلاة مسيحية) مناهج المستشرقين ص ٣٨٩ عن كتاب ماكدونالد - جوانب إسلامية ص ٦٥١ . وهذه هي الصفة الغالبة على اعتقاد الكثير من المستشرقين .

١٠ - العمل على إبراز أحداث النزاع في التاريخ الإسلامي وترك الفترة التاريخية الحضارية المشرقة من أجل أن يؤكدوا على فرية يفترونها في أن التاريخ الإسلامي لم يكن إلا أحداث نزاعٍ وقتلٍ وتنافس على السلطة. ويريدون بذلك أن يوحوا إلى الشرق الإسلامي أن المسلمين لا يمثلون وحدة الكفاح ضد الكفر والاستعمار وأنهم فرق مختلفة ولا تجمعهم عقيدة التوحيد ولا يمثلون أمّةً موحدة عبر التاريخ ولا يمكن أن يعيدوا الدور الذي بدأه الأجداد العظام.

## المبحث الخامس

آرنولد توينبي ت ١٩٣٠

ادعى آرنولد دعاوي متعددة:

- ١ - إن علماء المسلمين عملوا بكل ما يستطيعون من جهد وبحث لإثبات شرعية الخلافة الإسلامية وإظهار الأدلة من النصوص الشرعية والأدلة والبراهين العقلية على ذلك معتبراً ذلك أمراً مسبوقاً عند رجال الدين المسيحيين في العصور الوسطى.
- ٢ - الاستعانة بالأحاديث النبوية لاضفاء الشرعية على تصرفات الخلفاء والحكام المسلمين في شتى العصور وقد كانت بعضها موضوعة على حد قوله.
- ٣ - إيراد الأحاديث التي تقول بوجوب إطاعة الحاكم عادلاً كان أم جائراً، فإن كان عادلاً فله ثواب عدله عند الله وإن جار فعليه الوزر في الآخرة وللرعاية ثواب الطاعة<sup>(١)</sup>.

وقد خلص إلى أمرتين اثنين:

أولهما: أن الخلافة الإسلامية وقد اعترف بها على هذا النحو كانت تمثل حكماً مستبداً يضع في يد الحاكم سلطة مطلقة بلا قيد فارضة على رعاياه طاعة خالصة لا تعرف التردد<sup>(٢)</sup>.

ثانيهما: أن النظرية السياسية للخلافة تبدو بصفتها المعلنـة في أن أي سلطة على الأرض هي إلهية المصدر فإن على الرعية الطاعة سواء (كان الحاكم عادلاً أم جائراً)<sup>(٣)</sup>

(١) مناهج المستشرقين ج ٢ ص ١١٧

(٢) Arnold: The Caliphat p.7, 48..

(٣) Arnold p.49

## تعقيب لأنولد / استثنائي :

في مجال واحد كانت السلطة التحكيمية الأوتocraticية لل الخليفة مقيدة فال الخليفة بوصفه مسلماً ملتزم بالخضوع للشريعة الإسلامية على قدم المساواة مع غيره من المسلمين وذلك تبعاً لكون هذه الشريعة مصدرها الوحي الإلهي الذي جاء لتنظيم السلوك الإنساني في شتى قطاعاته، الأمر الذي لم يدع مجالاً (في الإسلام) لذلك التمييز بين القانون الكنسي وقانون الدولة في المسيحية، فإنه كان من المفروض (من الناحية النظرية على الأقل ) أن تكون إدارة الدولة (الإسلامية) على انسجام مع أحكام القانون المقدس<sup>(١)</sup> (الشريعة الإسلامية) .

**التحكم:** عدم الالتزام بالشرعية أي بقواعد النظام القانوني للدولة من جانب القائمين على سلطتها.

**الاستبداد:** الخروج على القيم الأساسية والأهداف العليا للمجتمع والتي تقع في أيديولوجيات التي انبثقت منها نظمه القانونية والسياسية .

**أسباب وقوعه في الخطأ في تصوره للنظرية السياسية:**

١- بدأ من تصوّر غير صحيح للمضمون الاصطلاحي لعبارة النظرية السياسية مما أدى به إلى الخلط بين تاريخ واقع الخلافة الإسلامية وبين الخلافة الإسلامية كنظام سياسي إسلامي .

٢- أنه لعدم تصوّره للمضمون الفني الدقيق للفظي «الاستبداد» والتحكم قد فوت على القارئ إدراك حقيقة نظام الخلافة بانتسابه إلى الإسلام في خصائصه الكبرى المتمثلة في التزامه الصارم بمبدأ المشروعية الشرعية وهي :

- ١- التزام الخليفة المسلم بأحكام الشريعة فسلطته مقيدة بشرعية مصدرها الكتاب والسنة.
- ٢- التزام الرعية من المسلمين بالطاعة ما لم يؤمروا بمعصية «لا طاعة لមخلوق في معصية الخالق» «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

## المبحث السادس

جب

١٩٧١-١٨٩٥

مستشرق إنجليزي ولد في مدينة الإسكندرية (مصر) وتوفي في أكسفورد (إنجلترا)، وكان أبوه ناظر زراعة في شركة أبو قير لاستصلاح الأراضي، دخل جامعة أدنبرة وتحصص في اللغات السامية (العربية، العبرية، والأرامية). وفي سنة ١٩٢٢ م حصل على درجة الماجستير من جامعة لندن، وكان آنذاك مدرساً للغة العربية.

وفي سنة ١٩٢٩ عين بلقب (أستاذ) في تاريخ العرب والأدب العربي في جامعة لندن، ولما توفي سير توماس أرنولد في سنة ١٩٣٠ خلفه على كرسى اللغة العربية في جامعة لندن، كما خلفه كمحرر بريطاني لدائرة المعارف الإسلامية، واستمر في كرسيه بجامعة لندن حتى سنة ١٩٣٧، حيث صار أستاذًا للغة العربية في جامعة أكسفورد ثم زميلاً في كليات سانت جون بأكسفورد ويبقى في هذا المنصب حتى سنة ١٩٥٥.

وفي سنة ١٩٥٥ دعته جامعة هارفرد (في الولايات المتحدة الأمريكية) ليكون أستاذاً بها في كرسى (الأستاذية) وفي سنة ١٩٥٧ صار مديرًا لمركز دراسات الشرق الأوسط في تلك الجامعة. وفي سنة ١٩٦٤، تقاعد عن التدريس كأستاذ في جامعة هارفرد لكنه استمر مديرًا لذلك المعهد وأصيب إصابة بالغة بالفالح لكنه شفي منه، وتوفي وهو مستمر على العمل في أكسفورد، سنة ١٩٧١ م.

وقد وصفه أحد الباحثين (بأنه نال كثيراً من ألقاب التشريف التي لا يستحقها علمياً). الواقع أن -هاملتون جب- كانت شهرته فوق قيمته العلمية وإن تاجه أدنى كثيراً من الشهرة التي حظي بها لأسباب كلها بعيدة عن العلم) ولا ندرى مدى انطباق مثل هذا

الحكم على هامilton جب، ولعلنا في تتبعنا لآرائه نستطيع أن نعرف مثل هذه الأحكام وقد كانت دراساته وبحوثه في ثلاثة أقسام:

١- الأدب العربي.

٢- التاريخ الإسلامي.

٣- الأفكار السياسية الدينية في الإسلام.

أولاً: الأدب العربي:

أ- في سنة ١٩٢٦ أصدر كتيباً صغيراً بعنوان (الأدب العربي) «وهو كتب صغير تافه إلى القراء الإنجليز، وقد أعاد طبعه منقحاً في سنة ١٩٦٣».

ب- وفي سنة ١٩٢٨ بدأ سلسة مقالات في الأدب العربي المعاصر نشرها في «مضبوطة مدرسة الدراسات الشرقية».

١- مقالة عن الأدب العربي في القرن التاسع عشر.

٢- مقالة سنة ١٩٢٩ عن (المفلوطى والأسلوب الجديد).

٣- مقالة عن المجددين المصريين.

٤- مقالة سنة ١٩٣٣ عن القصة المصرية.

وقد عقب صاحب الموسوعة على ذلك بقوله: « وإن تاجه فيه تافه ضئيل القيمة محدود الاطلاع».

ثانياً: التاريخ الإسلامي:

أ- فأول إنتاجه في ذلك كتاب عن: «فتح العرب في آسيا الوسطى» سنة ١٩٢٣ وفيه دراسة عن العلاقات بين الجماعات المختلفة التي اشتراك في هذه الفتوح.

ب- وفي سنة ١٩٣٢ ترجم إلى الإنجليزية تاريخ دمشق لابن القلانيسي.

## المبحث السابع

### المستشرقون الروس والدراسات الإسلامية

#### البارون (روزن) المستشرق الروسي والجغرافية وغيرها

لقد أبدى الروس اهتماماً ظاهراً في الدراسات الجغرافية خاصةً بعد أن كان لهم اهتمام ظاهر في جمع المخطوطات العربية ونشرها (الأمر الذي ترتب عليه اكتشاف مخطوطات نادرة منها اكتشاف مخطوطة فريدة للجغرافي العربي اليعقوبي يرجع تأليفها إلى القرن التاسع وهي نسخة وحيدة معروفة حتى الآن<sup>(١)</sup>).

وفي نهاية القرن التاسع عشر بدأ البارون (روزن) نشاطه العلمي مؤسساً لمدرسة استشراق جديدة في روسيا، وقد كرس هذا المستشرق الكبير أبحاثه عن البكري عالم الجغرافيا العربي وكذلك الرحالة المعروف ابن فضلان<sup>(٢)</sup>.

ولم يصدر عنهم في ظل النظام الجديد البلشفيفي فيما يخص الإسلام إلا ما أصدره (بارنولد) ففي (مجال الدراسات عن تاريخ العالم العربي واقتصادياته امتازت سنوات العشرينات من هذا القرن بصدور ثلاثة مؤلفات للأكاديمي (بارنولد) تحمل عناوين (الإسلام) و(الثقافة الإسلامية) و (العالم الإسلامي)<sup>(٣)</sup>. كما وضع (بارنولد) عدة أبحاث درس فيها المرحلة التاريخية التي رافق ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية.

ومن لهم اهتمام بما يتعلق بالإسلام والمسلمين «بيلييف» و«ياكوبوفسكي» حيث ألف بيلييف :

(١) الدراسات العربية والإسلامية في بعض الدول الأوروبية، محاضرات ألقاها على طلبة دبلوم الدراسات العربية والإسلامية، جامعة بيروت العربية، ص ٣١، (الدراسات العربية الإسلامية في الاتحاد السوفييتي للأستاذ فلاديمير غوستشوف).

(٢) المصدر السابق ص ٢٤.

(٣) ف. ف. بارنولد، «الإسلام»، بطرسغرايد ١٩٢٨. ف. ف. بارنولد، «ثقافة المسلمين» بطرسغرايد ٨، ف. ف. بارنولد «العالم الإسلامي»، بطرسغرايد ١٩٢٢.

١- العرب والإسلام.

٢- الخلافة العربية.

وكتب (باكونوفسكي) بحوثاً تناولت موضوع الاتصالات بين الشعوب السلافية والعالم العربي.

وكذا كتب المستشرق الروسي المعروف «فلينشتينسكي» كتابه (النهضة الإسلامية) الذي يبين فيه أن حركة النهضة الإسلامية في نهاية القرون الوسطى مرت بمراحل متشابهة لحركة النهضة الأوروبية وأن هناك تشابهاً ملحوظاً في المعالم التي تميز تطور الثقافة العربية والثقافات الأخرى في تلك المرحلة التاريخية). وقد ذكر (فوتشوف) أسماء بعض المستشرقين الكبار أمثال (يوشمانوف) الذي أنسج من الأعمال العلمية الكبيرة في مجال دراسة اللغات السامية والعربية بوجه خاص.

والأكاديمي (كرانشковسكي) الذي اشتهر بدراساته عن القرآن الكريم وكذلك الأستاذ (غراندا) صاحب الكتاب الهام المعنون باسم (مدخل في الدراسة المقارنة للغات السامية) الذي تم تحضيره للنشر حالياً والأستاذ (بارانوف) مؤلف القاموس العربي الروسي الكبير<sup>(١)</sup>.

وقد ظهر الاهتمام الكبير في الدراسات الاستشرافية في دراسة عدد كبير من المخطوطات ثم إصدار مجموعة من التراث العربي التاريخي والجغرافي والأدبي، كما نشرت بعض مراكز الاستشراق قوائم بالمخطوطات العربية القديمة ومن أجل تطوير الدراسات الخاصة بهذه المخطوطات التي لا تقدر بثمن تم تشكيل لجنة مشتركة من المستشرقين البارزين من الاتحاد السوفيتي وجمهورية مصر العربية برئاسة الأستاذ (غافورف) العضو المراسل في أكاديمية العلوم السوفيتية والأستاذ محمد مرسي أحمد وزير التعليم العالي المصري السابق والرئيس الحالي لاتحاد الجامعات العربية<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق ص ٢٩

(٢) المصدر السابق ص ٢٨ - ٢٩

## الفصل السابع

### المستشرقون والدراسات الفقهية

شاخت وأراؤه في الفقه الإسلامي ومصادره من القرآن والسنة

#### شاخت

١٩٧٩-١٩٠٢

مستشرق ألماني متخصص في الفقه الإسلامي.

ولد في ١٥ مارس ١٩٠٢ في رتيمور (سيلزيا الألمانية) ودرس الفيلولوجيا انكلاسيكية واللاهوت واللغات الشرقية في جامعتي برسلاو وليبيتسك، وحصل من جامعة برسلاو على الدكتوراة الأولى في سنة ١٩٢٣م، وبعد أن حصل على دكتوراة التأهيل للتدريس في الجامعة عين في ١٩٢٥ مدرساً في جامعة فرايبورج (في برسجاو حنوب غرب ألمانيا) وفي سنة ١٩٣٤ انتدب للتدريس في الجامعة المصرية (جامعة القاهرة حالياً) لتدريس فقه اللغة العربية واللغة السريانية - بقسم اللغة العربية - بكلية الآداب، واستمر أستاذاً في الجامعة المصرية حتى سنة ١٩٣٩.

#### شاخت الألماني يلتحق بالإذاعة البريطانية ضد ألمانيا:

ولما قامت الحرب العالمية الثانية في سبتمبر ١٩٣٩ انتقل من مصر إلى لندن حيث أخذ يعمل في الإذاعة البريطانية (BBC) لحساب بريطانيا وحلفائها ضد وطنه ألمانيا وكان - وهو في مصر ساخطاً على حكم النازية في ألمانيا - وإن كان لم نلحظ عليه شيئاً من ذلك منذ أن جاء إلى مصر سنة ١٩٣٤ حتى تركه إليها غداة قيام الحرب، وقد تعرفنا إليه منذ قدومه إلى كلية الآداب، وفي أثناء إقامته في إنجلترا تزوج سيدة إنجليزية،

وفي سنة ١٩٤٧ تجنس بالجنسية البريطانية ولم يعد إلى وطنه الأصلي ألمانيا بعد انتهاء الحرب في سنة ١٩٤٥<sup>(١)</sup>.

ولم تكرّمه بريطانيا، بل لم تعُطه حقّه في ذلك . . إذ رغم الشهادات والخدمة لم يعين أستاذًا لا في أكسفورد ولا في غيرها (وهكذا لم تنفعه خيانته لوطنه ألمانيا، وعلى كل حال فقد ترك بريطانيا في سنة ١٩٥٤ وعيّن أستاذًا في جامعة ليدن (هولندا) حيث استمر حتى ١٩٥٩<sup>(٢)</sup>).

وفي خريف سنة ١٩٥٩ انتقل إلى نيويورك، وعيّن أستاذًا في جامعة كوتومبيا حتى وفاته ١٩٦٩.

#### أعماله العلمية:

- ١- في لندن، اشترك في الإشراف على الطبعة الثانية من (دائرة المعارف الإسلامية).
  - ٢- دراسة مخطوطات عربية.
  - ٣- تحقيق نصوص مخطوطة في الفقه الإسلامي.
  - ٤- دراسات في علم الكلام.
  - ٥- مؤلفات ودراسات في الفقه الإسلامي.
  - ٦- دراسات ونشرات في تاريخ العلوم والفلسفة في الإسلام.
  - ٧- متفرقات.
- أ- وأما في ميدان المخطوطات فقد عني بدراسة بعض المخطوطات الموجودة في استانبول والقاهرة وفارس وتونس.

(١) موسوعة المستشرقين، بورب ٣٥٢.

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٣.

بـ- ونشر شاخت عدة نصوص فقهية، وهناك بعضها:

١- الخصاف (كتاب الحيل والمخارج) هانوفر ١٩٢٣.

<sup>٢</sup>- أبو حاتم القرزي (كتاب الحيل في الفقه) هانوفر ١٩٢٤.

ج- وفي باب الكلام والعقائد ألف كتاباً ونشر مقالات (الإسلام) توينجز ١٩٣١ - مختصر في العقائد الإسلامية.

د- لكن الميدان الحقيقى الذى برع فيه شاخت هو تاريخ الفقه الإسلامى، وأهم ما له فى هذا الباب كتابه الرئيسي «بداية الفقه الإسلامى» أكسفورد ١٩٥٠ ويقع في (٣٥٠) صفحة وأعيد طبعه، وقد درس فيه خصوصاً مذهب الإمام الشافعى استناداً إلى «الرسالة» للإمام الشافعى، ويتلوه في الأهمية كتيب صغير بعنوان (خطط تاريخ الفقه الإسلامي) وقد ترجمه إلى الفرنسية، ونشر في باريس ١٩٥٣ في ٩١ صفحة.

وقام بإعداد موجز في «الفقه الإسلامي» كان قد تركه مخطوطاً في برجشيرير فنشره وألف مدخلاً في الفقه الإسلامي باللغة الإنجليزية وكتباً أخرى في هذا المجال<sup>(١)</sup>.

(١) موسوعة المستشرقين، د. بدوي ص ٢٥٤.

## المبحث الأول

### دراسة تحقيقية في منهجه

ولم يكن شاخت متبعاً للمنهج العلمي في بحوثه كما ذكرنا سابقاً، والغريب أن بعض الباحثين أثني عليه فقال عنه: (كان شاخت حريصاً على الدقة العلمية في عرض المذاهب الفقهية، وفي دراسة أمور الفقه بعامة مبتعداً عن النظريات العامة والأراء الافتراضية التي أولع بها أمثال جولد تسيهر وستتلانا، ممن كتبوا في الفقه الإسلامي، ولهذا كانت دراسات ومؤلفات شاخت أبقى أثراً وأقرب إلى التحقيق العلمي وأوثق وأجدى)<sup>(١)</sup>.

ولما كان القرآن الكريم والسنّة النبوية المشرفة المصدر الأصلي للشريعة الإسلامية وهو أمر أجمع عليه علماء المسلمين، ولما كان الوجود الإيماني والفكري والاجتماعي والسياسي مرتبطاً بهذين المصادرين كما قال محمد ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً، كتاب الله وستي». فقد عمل أعداء الإسلام ودول الاستعمار على التشكيك بهما والطعن في النص أحياناً والمضمون حيناً آخر، ولكنهم كانوا في كل ما فعلوه إنما مثلهم كمثل من يُرِيدُ حَجْبَ الشمس بمرأة ساطعة فقد كانت بحوثهم سبباً في تنبية الناس الغافلين عن الإسلام والقرآن والسنّة النبوية حتى وجدنا عدداً لا بأس به من أهل العقل والفكر في بلاد الكفار قد أسلموا يقيناً وحجاً واعتقاداً.

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود لقد أراد هؤلاء أن يحجبوا النور عن أقوامهم وأن يُشَكِّلُوا المسلمين بدینهم الذي أثر تاریخهم المجيد وحضارتهم السامية المعروفة فكانت هذه الصحوة الإسلامية في كل بلد إسلامي وتطلع نحو الإسلام في البلاد الكافرة. وحين بعد المسلمين عن دینهم واستطاع

(١) المصدر السابق ص ٢٥٥.

أهل الكفر أن يَبْثُثُوا فيهم فتن العصبية والطائفية، وغلب الطمع على كثير من أهل الأمر والنهي فيهم غلَّبت عليهم الكُفَّار واستعمروا بلادهم وأبعدوا الشريعة السمحاء عن الحياة وجندوا أقلام الاستعمار من المستشرقين ليذرروا الفتنة ويشكّوا في الإسلام في مصدريته وتاريخه وحضارته وإمكانية المسلمين في العودة إلى الإسلام ليطلبوا العِزَّة به ثانية.

«وكان من الطبيعي أن يسعى الغرب في إلغاء الشريعة الإسلامية أو لآثم التشكيك في مصادرها والطعن في صلاحيتها ثانياً حتى لا يفكّر المسلمون في العودة إليها يوماً ما»<sup>(١)</sup>.

أما القرآن الكريم فأكثر أحكامه من الكلمات والعموميات وهي في حاجة إلى تفسير تطبيقي ممن بلغه وحمل تلك الرسالة محمد ﷺ، وعلى سبيل المثال نرى أن الصلاة من أهم أركان الدين الإسلامي وقد كرر القرآن الكريم الأمر بإِقَامَةِ الصلاة عشرات المرات لكنه لم يبين للأمة طريقة إقامتها، وكان هذا الأمر منوطاً برسول الله ﷺ لبيان للناس طريقة إقامة الصلاة قولًا وفعلاً وهذا إنما يدل على أهمية السنة ومكانتها في التشريع.

وأصبح من اللازم لدى المستعمررين محاربة سنة رسول الله ﷺ إذ بإبعاد السنة النبوية والتشكيك في مكانتها في التشريع يصبح التلاعب بالقرآن الكريم أمراً ميسوراً.

والمتنبي الكذاب مرتضى غلام أحمد القادياني والجكر ألوى، قادة هذا الاتجاه... في الهند، بينما تزعّم توفيق صدقى هذا الاتجاه في مصر وقد كانوا الطبقة التي أنكرت أجزاء من السنة النبوية مبتدئة بإنكار أحاديث الجهاد بالسيف ثم انتهت بإنكار السنة النبوية بكاملها).

(١) مناهج المستشرقين، د. مصطفى الاعظمي ص ٦٦/٧٦.. ومسألة إنكار الجهاد أصلًا هو الذي تبنّاه مَنْ باعوا دينهم لأهل الكفر والاستعمار حتى يكون ذلك سبباً مبرراً رضى المسلمين في أن يتحكم الكفار ويقولوا أمرهم.

إن هؤلاء المنافقين في داخل الأمة الإسلامية اللذين جندوا لإقناع الأمة بالاستكانة والاسسلام والرضا بالواقع والرکون إلى القدر كما يوهمونهم وإيجاد صورة مشوهة عن الإسلام و موقفه من الكفار المستعمرین مزينة محاطة بأقوال كاذبة وأسانيد مزورة تثبت للإسلام ما ليس له ومما هو بريء منه ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ يَا قَوْهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُسَمِّ نُورَهُ وَلَوْكَرَةُ الْكُفَّارِ﴾ [التوبه: ٢٣].

وي جانب الطابور الخامس من المنافقين المستشرقين الذين يخططون فكريًا لمحاربة الإسلام في مصدرية القرآن والسنة (فلم ترك عملية الطعن في السنة النبوية لهؤلاء «المتنورين» والمفتونين بالحضارة الغربية وعملائهم ولا «للمنهزمين» فكريًا ونفسياً فحسب بل جهز الغرب كذلك جحافل من المستشرقين ويسر لهم الإمكانيات المادية وسهل لهم سبل البحث وأقام حولهم حالة من القدسية فأصبحوا رواد الغزو على السنة النبوية، وهكذا أصبحت الحرب ضد السنة النبوية في الداخل والخارج ففي الداخل جيش من (المنهزمين المترررين) وفي الخارج «طائع المستشرقين». . وكان يحظى نتاج هؤلاء من الدعاية وسبل النشر بما يكفل له النمو والازدهار في ربوع العالم الإسلامي».

ولسنا نتحدث عن جميع المستشرقين الذين تحدثوا عن السنة النبوية سلباً وايجاباً ولكن سنتحدث عن بعضهم وسنأخذ بدراسة جدية وعميقة هو «البروفسور جوزيف شاخت» كما سنتحدث بعد ذلك عن آخرين مثل «جولد تسيهير» و«سناؤك هور جرونيه» و«مونتغمري واط» وغيرهم، ولكن التركيز على شاخت باعتباره المثل الأعلى للدراسات الاستشرافية وللمستشرقين حيث اعتبر أرسطو زمانه حيث لا يسمح لأحد أن ينقد كتابه في دراسة أكاديمية<sup>(١)</sup> وهكذا فإن (الذي استطاع أن يأتي بنظرية جديدة متكاملة برغم من أنها خالية إلى حد بعيد) هو البروفسور «جوزيف شاخت» وقد انصبت نظرياته على أسس الفقه الإسلامي. أما المترلة التي وصل إليها البروفسور «شاخت» فلم يصل إليها من قبل أي مستشرق في هذا المجال).

(١) امتنعت جامعتنا لندن وكمبردج أن يسجل أحد الطلاب الشرقيين أطروحة نقدية لكتاب شاخت «أصول الشريعة المحمدية» السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي ص ٢٧.

ولكي يشرح «شاخت» نظريته فقد نشر كتباً ومقالات عديدة بلغات مختلفة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية ووضع كتاب «المدخل إلى الفقه الإسلامي» ومن أشهر مؤلفاته على الإطلاق كتاب «أصول الشريعة المحمدية» الذي حاز على أعلى تقدير، وتمتع بالاحترام الشديد في العالم الأكاديمي الغربي، فقد قال البرفسور «جب» بأنه «سيصبح أساساً في المستقبل لكل دراسة عن حضارته وشريعته على الأقل في العالم العربي كما أثني عليه البروفسور «كولسوف» أستاذ الفقه الإسلامي بجامعة لندن قائلاً: «إن شاخت صاغ نظرية عن أصول الشريعة الإسلامية غير قابلة للدحض في إطارها الواسع».

=

## المبحث الثاني

### آراء في القرآن والسنة النبوية:

يتحدث البرفسور «شاخت» عن مكانة الشريعة في الإسلام فيقول: «إن القانون (أي الشريعة) تقع إلى حد كبير خارج نطاق الدين».

وقد رد شاخت هذا الكلام مرة أخرى بوضوح أكثر في كتابه المدخل إلى الفقه الإسلامي ص (١٩) حيث قال:

During the greater part of the First Country - Islamic Law in the technical meaning of the term did not as yet exist. As, had been the case in the time of the prophet, Law as such fell outside the sphere of religion. and as far as there were no religious or moral objections to specific transaction of modes of behaviour the technical aspects of Law were a matter of indifference to the muslims .

- في الجزء الأكبر من القرن الأول لم يكن للفقه الإسلامي - في معناه الاصطلاحي وجود كما كان في عهد النبي ، والقانون - أي الشريعة - من حيث هي هكذا كانت تقع خارجة عن نطاق الدين وما لم يكن هناك اعتراف ديني أو معنوي روحي على تعامل خاص في السلوك فقد كانت مسألة القانون تمثل عملية لا مبالغة بالنسبة للمسلمين .

هذه النظرية جوهرية ومركزية وأساسية بالنسبة لكل كتابات شاخت فإذا كانت الشريعة أو القانون تقع خارج نطاق الدين وكان النبي ﷺ غير مكترث لها وكذلك المسلمين الأوائل من الصحابة والتابعين ، واعتبر جهود النبي ﷺ والصحابة في التشريع كذباً مخالقاً وقال عن الأحاديث النبوية «من الصعوبة اعتبار حديث ما من الأحاديث الفقهية صحيحاً بالنسبة إلى النبي ﷺ»<sup>(١)</sup>.

(١) مناهج المستشرقين ، د. مصطفى الأعظمي ص ٧٩ .

وقد بلغ بالبروفسور «شاخت» الحقد والافتراء والبعد عن المنهج العلمي في البحث إلى أن ما ينسب إلى الفقه الإسلامي من نصوص إنما معظمها مستمد من شرائع اليهود والنصارى والديانات الأخرى والغريب أن هؤلاء المستشرقين يذكرون هذه الدعوى دون أن يسألوا أنفسهم هل أن هذه القوانين والأنظمة وهذا التشريع الكامل في الإسلام نظرية وتطبيقاً هل يجدون ذلك في التوراة والإنجيل، هذه الأنظمة السلمية التي يشهد بعظمتها أهل العلم من المسلمين وغير المسلمين ولقد تمنى الكثير من الباحثين أن تصل الأمم إلى ما وصل إليه النظام الإسلامي.

ولا شك أن ادعاء عدم اكترااث النبي ﷺ والصحابة والتابعين بالتشريع ووقوع التشريع خارج نطاق الدين وعدم صحة حديث واحد من الأحاديث الفقهية المنسوبة إلى النبي ﷺ يتبع عنه أهداف كثيرة مقبولة ومطلوبة من قبل أعداء الإسلام، تتمثل في:

- ١ - مطالبة الشعوب الحكام في العودة إلى الشريعة الإسلامية كلام فارغ لأن الشريعة في حقيقتها خارجة عن نطاق الدين.
- ٢ - ما يسمى بالفقه الإسلامي ليس هو الفقه الإسلامي المبني على كتاب الله وسنة رسول الله لأنه لا يوجد ما يمكن تسميته سنة النبي ﷺ بل إن جزءاً غير قليل من الفقه الإسلامي مأخوذ من شرائع اليهود والكنيسة وديانات أخرى عدا اجتهادات المجتهددين<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا يمكن للMuslimين أن يقتبسوا من القوانين الوضيعة الغربية ما أرادوا دون أن يشعروا بأدنى ضيق من مخالفتهم لدينهم وإذا أرادوا أن يسموا تلك القوانين بالفقه الإسلامي فلا مانع من ذلك ولهم فيما عمل سلفهم من قبل أسوة حسنة.

---

(١) مناهج المستشرقين، د. مصطفى الأعظمي ص ٧٠.

وفي هذا فقد أخطأ هنا «شاخت» مرتين خطأً منهجياً جسيماً:

- ١- لم يفكر تفكيراً عقلياً منطقياً لأنه لو فعل ذلك لتوصل إلى نتيجة عكسية.
  - ٢- لم يرجع إلى مصدر الإسلام الأول - القرآن الكريم - عند بناء نظريته بل ضرب به عرض الحائط وبنى نظريته على نقليس ما جاء به القرآن الكريم.<sup>(١)</sup>
- وإذا كان «شاخت» يرى أن القانون (أي الشريعة) تقع إلى حد كبير خارج نطاق الدين فإننا نذكر أمرين:

الأول: أن الآيات القرآنية صريحة بوجوب الاحتكام إلى شريعة الله (الدين) في كل أمر من أمور المسلمين.

ثانياً: أن بعض المستشرقين الذين كان لهم عقل وعلم وإنصاف وإخلاص في الوصول إلى الحقيقة قد أكدوا الصفة الالزمة في التشريع وهي صفة مميزة للألوهية التي هي لله عز وجل وحده.

فعن الفقرة الأولى نذكر الآيات الكريمة وهي كثيرة:

١- ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] وقال تعالى: ﴿إِمَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَإِطْعَانُكُمْ يَتَوَلَّ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ★ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُحَكَمْ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعَرْضُونَ★ وَإِنْ يَكُنْ لَّهُمُ الْحُقْقُ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ★ أَفَقُلُّهُمْ مَرْضٌ أَمْ أَرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُمْ بِلَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ★ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُحَكَمْ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١-٧٤].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعَمُونَ أَنَّهُمْ أَمَّنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّغْوَتِ وَقَدْ أَمْرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضْلِلَهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠].

(١) مناهج المستشرقين، د. مصطفى الاعظمي ص ٧٠.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَفِّقِينَ يَصْدُونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَقُولُوا لِمَا تَصْرِفُ السَّمَاءُ كُمُ الْكَذَبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ إِنَّ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذَبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبَعَهَا وَلَا تَشْيِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولَّ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقْوَابِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينِ﴾ [الحاقة: ٤٦-٤٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي﴾ [يونس: ١٥].

ومع ذلك نتبين أن ما فعله الرسول ﷺ وما اتبعه الصحابة رضي الله عنهم لم يكن إلا اتباعاً للقرآن الكريم في نصوصه منطوقاً ومفهوماً فهم قد عاشوا في كتاب الله واتبعوا نور الله في كتابه الكريم وإذا كان جمع القرآن الكريم قد توقف فيه صحابة رسول الله ﷺ كيف نفعل أمراً لم يفعله رسول الله ﷺ فكانت المقوله التي تكررت « هو والله خير» حتى قال زيد بن ثابت عن عمر (فما زال بي حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبي بكر وعمر) فكيف يقال بأن الصحابة قد حكموا الناس وعاشوا حياتهم وشرعوا شريعتهم خارج الدين - سبحان الله هذا بهتان عظيم - ولئن كنا أصحاب دين وعقيدة وشريعة وأصحاب حضارة وعزوة وكرامة ولا نعبأ بما يقوله أعداء الإسلام خاصة أولئك

الذين خرجوا على كل مقاييس العقل والعلم والعرف المشروع، ومع هذا فنحن نبقى على طريقتنا التي تبع من الإسلام الذي ربانا على منهج ﴿وَلَا يَجِرْ مِنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَغْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨].

وقد استخلص بعض الباحثين من آيات الله تعالى القاضية بالحكم بالقرآن الكريم ما يأتي :

١- أن الله سبحانه وتعالى قد خص لنفسه حق التشريع وأعطى لنبيه ﷺ الصلاحية في هذا المجال .

٢- وقد طلب استسلاماً تماماً لأوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه في كافة أمور الحياة وألزم المسلمين ذلك .

٣- الشريعة الإسلامية تشمل كافة جوانب الحياة .

٤- ليس لأحد أن يغير أو يبدل فيما أنزل الله تعالى إطلاقاً، حتى وإن كان رسولاً مرسلاً أو ملكاً مقرباً.

وإذا كان الله سبحانه وتعالى طلب من البشر أن يستسلموا له في كل شؤون حياتهم فلا بد أن يهتم لهم البداية الشاملة وإذا نظرنا إلى القرآن الكريم من هذه الناحية نجد أن فيه التشريعات الشاملة لجوانب الحياة ويمكن تلخيصها في :

١- العبادات بما فيها الزكاة المنظمة للواجب على رب المال .

٢- الجهاد المشروع لنشر الدين والتنظيمات المترتبة عليه (القانون الدولي) .

٣- النظام الاجتماعي للفرد والأسرة .

٤- أحكام الأطعمة والأشربة .

٥- تنظيم أحكام المعاملات .

٦- الجنائيات وما يتعلّق بها من قضائياً وطرق إثبات وعقوبات<sup>(١)</sup>.

ومع هذا فقد وجدنا من المستشرقين من بين الحقيقة الناصعة أن القرآن الكريم قد جاء بتشريعات كاملة تامة واضحة.

فيقول «فوایتافن» متحدّثاً عن القرآن الكريم كوثيقة شرعية، بأننا إذا قسّمنا القرآن إلى الأنواع الرئيسية الخمسة وهي:

١- الدعوة.

٢- المجادلة مع غير المسلمين.

٣- قصص الأنبياء.

٤- سيرة الرسول.

٥- التشريع.

وصلنا إلى نتيجة فحواها:

(أن القرآن يشتمل على مواد تشريعية لا تقلّ عما في التوراة وهي المواد المعروفة في أدب العالم باسم - القانون -)<sup>(٢)</sup>.

وهذا كولسون يثبت اختصاصية التشريع لله وحده فهو يقول (الأصل بأن الله هو الوحد المشرع، ولأوامره السيطرة العليا على كافة جوانب الحياة، هذه القاعدة كانت قد ثبتت بكل وضوح)<sup>(٣)</sup>.

(١) عبد الله الرسيني، فقه الفقهاء السابعة ٥-٤ عن مناجي المستشرقين ج ١ ص ٧٣.

(٢)

(٣)

وهذا «فيز جيرالد» ينفي سلطة التشريع عن كل بشر حتى الأنبياء عليهم السلام فهو يقول (إن الإسلام يعتبر الله جل وعلا المشرع الوحيد وينفي بشدة لأي بشر كان سلطة التشريع) <sup>(١)</sup>.

وقد كان يظن بعض الباحثين أن هناك أموراً في التشريع قد تكون خارج الدين، ولهذا عندما يتبعون للمسألة يظلون أن هذا الأصل أمر جديد طارئ في سنة معينة من سنوات دعوة الرسول ﷺ دعا الناس إلى التوحيد والحقيقة أن جعل التشريع لله وحده أمر أثبته الإسلام في كل آياته وعلمه الرسول ﷺ وعلمه صحابته رضي الله عنهم فمن هؤلاء «فوايتافن» الذي قال (في السنة الخامسة من الهجرة على وجه التقريب طرأ على فكر النبي ﷺ أنه حتى الأمور القانونية البحتة لم تكن عديمة الصلة بالدين بل هي جزء لا يتجزأ من الوحي الإلهي وقد أدخلت في الكتاب الإلهي الذي كان مصدراً للدين كله ثم يقول (إن فكرة الشريعة ليست نتيجة للتطورات التي طرأت بعد القرآن الكريم أو بمعنى آخر بعد وفاة النبي ﷺ بل صيغت من قبل محمد ﷺ نفسه) <sup>(٢)</sup>.

وإن نظرية «شاخت» على ما يبدو هي نظرية «العلمانية» ولو لم يصرح بذلك وهي إقامة نظام الدولة السياسي بعيداً عن الدين وقد رأينا الأزهرى على عبد الرزاق قد حمل هذه الرأية واعتمد رأيه كثير من أنصار العلمانية في الغرب والشرق، وليس هنا موضع الكلام عن هذا الموضوع فإن ما ذكره القرآن الكريم أمراً أو نهياً أو استحباباً، وكذلك ما بينه الرسول ﷺ ظل مصدر تشريعات المسلمين منذ بعثة الرسول ﷺ وفي كل العهود التي كان الحكم فيها لشريعة الله سبحانه وتعالى.

وهذه بعض أقوال «جوزيف شاخت» عن نشاط الفقهاء الأوائل في القرنين الأول والثاني : يقول ما يلي :

(١)

(٢)

١ - أصبح النبي ﷺ بالمدينة نبياً مشرعاً ولو أن سلطته لم تكن تشريعية فقد كانت للمؤمنين من الحرية وللمنافقين من الوجهة السياسية<sup>(١)</sup>.

٢ - وكان الخلفاء الراشدون (٦٣٢-٦٦١م) القادة السياسيين للأمة الإسلامية ولا يبدو أنهم استمدوا أحکامهم من مصدر أعلى.. وإنما عمل الخلفاء إلى حد كبير على أنهم مشرعون للأمة<sup>(٢)</sup>.

٣ - الخلفاء الأوائل لم يعينوا قضاة<sup>(٣)</sup> .. وخطا الأمويون خطوة هامة بتعيينهم القضاة الإسلاميين<sup>(٤)</sup> ونهاية القرن الأول تقريراً (٧١٥-٧٢٠م) كان تعين القضاة يرجع إلى الاختصاصيين، وهؤلاء الاختصاصيون الذي كان يتم تعين القضاة منهم باطراد كانوا من الناس الأتقياء الذين دفعتهم رغبتهم في الدين إلى أن يخطوا الطريق للحياة الإسلامية وكان ذلك بمحض رغباتهم الإنفرادية<sup>(٥)</sup>.

٤ - وحيث أن جماعة هؤلاء الأتقياء المتخصصين كانت قد نمت نمواً مترايداً في عددهم وتماسك بعضهم مع بعض فقد تحولت وتطورت إلى «المدارس الفقهية القديمة» وكان ذلك في العقود الأولى من القرن الثاني<sup>(٦)</sup>.

إن كل ما يذكره تخبط ليس له دليل من النقل أو العقل، فاما النقل فإن كل النصوص في الكتاب والسنّة تدل على أن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وأنه عندما سأله خولة عن ظهار زوجها أجابها بأنه لم يتزل بذلك قرآن وحكم رسول الله ﷺ بما أنزل الله في ذلك ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلًا أَلَّيْ بُحَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ

(١)

(٢) المصدر نفسه، عن مناهج المستشرقين د. الأعظمي ص ٨١-٨٢.

(٣) المصدر نفسه ص ١٦، عن مناهج المستشرقين د. الأعظمي ص ٨١-٨٢.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٤، عن مناهج المستشرقين د. الأعظمي ص ٨١-٨٢.

(٥) المصدر نفسه ص ٢٦، عن مناهج المستشرقين د. الأعظمي ص ٨١-٨٢.

(٦) المصدر نفسه ص ٢٨، عن مناهج المستشرقين د. الأعظمي ص ٨١-٨٢.

﴿تَحَاوُرٌ كَثِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم متمسكين بآيات القرآن حكماً وموعظة لا يرون في غير القرآن ينبوعاً ومصدراً وأصلاً لكل حياتهم الخاصة وال العامة.

وقال «شاخت» (أن أكبر جزء من أسانيد الأحاديث اعتباطي، ومعلوم لدى الجميع أن الأسانيد بدأت بشكل ابتدائي ووصلت كمالها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وكانت الأسانيد كثيراً ما تجد أقل اعتماداً وأي حزب يريد نسبة آرائه إلى المتقدمين كان يختار تلك الشخصيات ويضعها في الإسناد) <sup>(١)</sup>.

وقال: (وكان الكوفيون سباقين في نسبة نظرياتهم إلى إبراهيم النخعي ويتبعهم في ذلك المدنيون فيما بعد في هذا المجال) <sup>(٢)</sup>.

«أما حركة المحدثين في القرن الثاني فهي في الواقع نتيجة طبيعية لاستمرار حركة المعارضة للمدارس الفقهية القديمة والتي كانت متأثرة بالدين والأخلاق» <sup>(٣)</sup>.

إن قضية الإسناد من القضايا المهمة حيث إن الإمام الزهري رحمه الله تعالى قد استطاع أن يضع نظرية الإسناد الأصلية وأن يحفظ لنا مصدراً مهماً في الشريعة وهو السنة النبوية المشرفة، وعلى هذا سلمت لنا الأحاديث من الوضع والتدلیل فإن الحديث لا يقبل إلا بسند وينظر في الرواة كما ينظر في المتن (نص الحديث) وهكذا رأينا أن أكثر الذين هاجموا الإمام الزهري من الباطنية وأنصار اليهودية والصلبية لأنهم إنما أرادوا أن يكون الشريعة الإسلامية فوضى في الأحكام والتشريع.

(١) المصدر نفسه ص ٣٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٣١.

(٣) المصدر نفسه ص ٣٤.

## الفصل الثامن

### الاستشراق وقضية فلسطين المبحث الأول

#### دراسة تصهيدية عن بواطن قيام دولة اليهود في فلسطين

الاستشراق وفلسطين: لا بد لنا أن نكتب عن قضية الاستشراق وفلسطين لما لهذا الموضوع من أهمية في معرفة واقع القضية الفلسطينية وقضية القدس التي تعيش مأساة التسلط اليهودي ومحاوله العبث بها وتغييرها من غير اعتبار للدين والتاريخ والمبادئ الإنسانية وقد كتب الكثير عن هذا الموضوع ولكننا سنحاول إيراد آراء بعض المستشرقين الغربيين عن فلسطين وقضية العرب والمسلمين الكبرى في التاريخ كما أنها لا بد من ان نشخص الأسباب التي دعت إلى قيام هذه الدولة في قلب العالم العربي وفي أرض الإسراء ولعل ذلك إنما كان لحكمة ربانية حتى يجتمع اليهود وتكون المعركة الكبرى في التاريخ كما ورد في قوله تعالى: «وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَبِ لَنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَعْنَنَّ عُلُوًّا كَيْرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِمَا بَعْثَانَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَئِي بَأْسٍ شَدِيدٌ فَجَاءُوكُمْ مُخْلَلَ الْدِيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا» [الإسراء: ٤-٥] ثم يقول تعالى: «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْمَعُوا وُجُوهَكُمْ وَلَيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَيُتَبَرَّأُوا مَا عَلَوْا تَبَرِّأُوا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عَدْتُمْ عَدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا».

ولسنا بصدده تحديد - الأولى - والآخرة - فكل ما ورد في تأويل هذه الآيات مبني على اجتهاد إذ لم ترد أحاديث صحيحة في بيان ذلك ولسنا بصدده تحديد (العباد) الذين سيتولون الأولى - والآخرة - عقوبة من الله لبني اسرائيل وإن كان أكثر المفسرين والمؤرخين يرون أن هؤلاء القوم من - العراق - بنو خذ نصر قد سباهم وسيتولى هؤلاء القوم

أنفسهم دخول المسجد الأقصى مرة ثانية - والأصل في هذه الآيات أن كل إفساد كبير من بني إسرائيل يعقبه تسلط من الله تعالى عليهم عقوبة لهم وتأديباً واليهود على ما يذكر عنهم أنهم يؤمّنون بما سيكون من أمرهم بشأن الصراع بينهم وبين المسلمين وهو صراع حاسم في نتائجه وعواقبه .

لقد اختلف كثير من الباحثين حول الأسباب الداعية لقيام دولة إسرائيل في فلسطين هل هي أسباب دينية حقاً أم هي أسباب استعمارية اتخذت من الدين اليهودي والتوراة والتلمود (وسيلة من وسائل تحقيق قيام تلك الدولة التي خالفت في قوانينها وسلوكيها كل القوانين والأعراف الدولية والمبادئ الإنسانية) .

يقول أحد الباحثين : - منذ الخمسينات وأنا أعيش في صراع فكري مع نفسي حول فكرتين متناقضتين تؤثران تأثيراً مباشراً ودائماً على أسلوب العمل من أجل فلسطين .

١ - الفكرة الدوليّة تقول : إن اليهود الذين يحكمون العالم بصورة خفية والذين هم وراء كل الثورات<sup>(١)</sup> والدكتاتوريات والديمقراطيات اليهود المؤمنون بالتوراة والتلمود هم أصحاب المشروع الصهيوني الذين يرمو من ورائهم العودة الدينية إلى أرض الميعاد فلسطين تحقيقاً لنبوءات دينية وإنقاذاً لليهود المضطهدرين في أنحاء العالم بإيوائهم في فلسطين لأسباب إنسانية .

٢ - والفكرة الثانية تقول : إن المشروع الصهيوني هو مشروع استعماري خلفته الدول الاستعمارية واستغلت اليهود من أجل تنفيذه ليس حباً باليهود ولا تنفيذاً لنبوءات دينية ولا إنقاذاً لهم من المذابح لأسباب إنسانية بل كان المشروع الصهيوني لتحقيق أغراض استعمارية استغل المستعمرون من أجل تنفيذه الدين والأخلاق والإنسانية .

---

(١) التعميم دائماً لا يصلح فلو قال معظم لكان أفضل وأقرب إلى الواقع .

ثم يقول: ولكنني وأحمد الله على ذلك استطعت أن أصل أخيراً إلى قناعة بأن المشروع الصهيوني هو مشروع استعماري أشرف على فكرته والتخطيط له وتنظيم الصهاينة لدعمه ووضعه موضع التنفيذ الساسة والقادة والمفكرون الاستعماريون واستخدموه لتحقيقه الجمعيات التبشيرية ورجال الدين والعلماء من اليهود وغير اليهود وذلك لتحقيق أهداف ومصالح استعمارية على حساب البلاد العربية والإسلامية<sup>(١)</sup>.

والذي ظهر لي بعد دراسات متعددة واطلاع على آراء الكثيرين أن اليهود الذين كانوا وراء قيام الدولة في فلسطين هم كل اليهود على اختلاف آرائهم ومذاهبهم المؤمن بالتوراة والعلمي والملحد لأنهم ينطلقون عن انتفاء واحد هو الانتماء لليهودية كدين ولليهود كقوم ولأرض الميعاد كمطلوب أساسى وتوافق ذلك مع رغبة كل البلاد الأوروبية والأمريكية في التخلص من اليهود بسبب الضغط الاقتصادي والاستغلال الذي يمارسونه مع الحكام والسلطتين ضد الطبقات المتوسطة والفلاحية والفقيرة في تلك البلدان ولذلك اشتهرت المقوله على لسان الأم اليهودية حين تخاطب ابنها: (يابني كن مع أي فئة ولا تنس أنك يهودي).

---

(١) الاستعمار وفلسطين - رفيق شاكر النشه ط ٢ ص ٥.

## المبحث الثاني

### الدّوافع الاستعماريّة العالميّة لِإقامة دُولَة يهوديّة في فلسطين

كان المشروع الصهيوني لإقامة دولة لليهود في فلسطين لخدمة مصالح الاستعمار الغربي موضع اتفاق مشترك بين جميع الدول الغربية الاستعمارية وقد كانت تلك الدول الاستعمارية قد تداعت إلى عقد اجتماع مؤتمر في ١٩٠٧م دعا إليه بترولان رئيس وزراء بريطانيا آنذاك وحضره ممثلو الدول الاستعمارية بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا والبرتغال وإيطاليا ولم تحضره ألمانيا بسبب حرصها على صداقتها وعلاقتها الحميمة مع الدولة العثمانية إلا أنها كانت بالطبع موافقة على القرارات التي صدرت عن المؤتمر الذي يعبر عن مصالحها.

لقد جاء في التوجيهات والتوصيات والقرارات التي صدرت عن تلك الدول الاستعمارية ما يلي :

أن البحر الأبيض المتوسط الشريان الحيوي للاستعمار والجسر الذي يصل الشرق بالغرب والممر الطبيعي إلى القارتين الآسيوية والأفريقية وملتقى طرق العالم ويكون الخطير المهدد للعالم في هذا البحر - ففي حوضه مهد الأديان والحضارات وعلى شواطئه الجنوبية والشرقية شعب واحد له من وحدة تاريخه ودينه ولغته وأصالة كل مقومات التجمع والترابط والاتحاد وتتوافر له في ثرواته الطبيعية وكثرة تناشه كل أسباب القوة والتحرر والنهوض ويكون الخطير على كيان الامبراطورية الاستعمارية في تحرير هذه المنطقة وتنقيف شعوبها وتطويرها وتوحيد اتجاهاتها وتجمعتها واتحادها حول عقيدة واحدة لذا فإن على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استقرار وضع هذه المنطقة - المجزأة والمتأخرة على إبقاء شعبيها على ما هو عليه من تفكير وجهل وتأخر وأوصى التقرير كوسيلة أساسية مستعجلة لدرء الخطر بضرورة العمل على فصل الجزء

الأفريقي من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوي عن طريق إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر البري الذي يربط آسيا وإفريقيا ويربطهما معاً بالبحر الأبيض المتوسط بحيث تقوم في هذه المنطقة وعلى مقرية من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة<sup>(١)</sup>. وقد كان الصراع بين تلك الدول الاستعمارية على من يحرز قصب السبق ويستطيع إخراج هذا المشروع إلى حيز الوجود لاستغلاله لمصالحه الحيوية وكان الصراع أشد ما يكون في ذلك الوقت بين بريطانيا وألمانيا التي كانت تسعى كل منهما لإصدار وثيقة أو إعلان سياسي بها عن هذا المشروع وبالتالي ربط الحركة الصهيونية بها وظل الصراع سجالاً بين الدول الاستعمارية حتى قامت الحرب العالمية الأولى بين بريطانيا وحلفائها من جهة ومن ورائهم أمريكا وبين ألمانيا وحلفائها من جهة أخرى.

ودخلت تركيا الحرب مع ألمانيا التي هزمت وأبعدت عن جميع الأراضي التي كانت تحتلها ومنها فلسطين وأنه من المؤكد على ضوء الارتباطات الاستعمارية الصهيونية أن ألمانيا لو انتصرت في الحرب كانت ستقوم بما قامت به بريطانيا من تنفيذ المشروع الصهيوني واستغلاله بتنفيذ مصالحها كما فعلت بإصدار وعد بلفور المعروف<sup>(٢)</sup>.

وقد كانت كل تلك الجهود الحربية والفكرية حرباً صلبة غير معلنة وكانت أولى المحاولات الجدية لسحق الإسلام في مهده العربي عقب صيحة أطلقها البابا في فرنسا حين دعا لوقف الحروب الداخلية بين نصارى أوروبا وتوجيه طاقات الحقد كلها إلى مسلمي المشرق العربي تحت دعوى تحرير بيت المقدس من أيدي الكفار(المسلمين)<sup>(٣)</sup> والميونان وهaiti ولبيريا والفلبين وكانت جميعها تعتمد الاقتراع برفض التقسيم (واليونان هي الوحيدة التي استطاعت أن تصمد للضغط وتسل الرئيس ترومان بنفوذه الشخصي

(١) المصدر السابق ص ٢٠٨.

(٢) الإستعمار الفلسطيني ص ٢٠٩ - ٢٠٨.

(٣) وعد كيسنجر والأهداف الأمريكية في الخليج - الشيخ سفر الحوالى - مؤسسة العراب الإسلامي - أمريكا - ص ١٤٣ / ١٤٤.

والرسمي للظفر بأصوات الأمم المتحدة تأييداً للتقسيم) ومما لاحظه بنيمان بوتر أن الولايات المتحدة كانت تستخدم نفوذاً غير حق لكي يتم إقرار مشروع التقسيم وانتقد الدكتور ستيفن بل - بترور رئيس جامعة بيروت الأمريكية الضغط الأمريكي الذي تم التوصل به للوصول إلى قرار مشروع التقسيم قائلاً: (إن المناورة السياسية التي أدت إلى موافقة الجمعية العامة للأمم المتحدة نهائياً على تقرير أغلبية لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين إنما تعد صفحة من أسوأ الصفحات في تاريخ السياسة الدولية الأمريكية وليس ثمة شك في أن الضغط الأمريكي هو الذي أدى إلى قبول توصية تقسيم فلسطين مع وحدتها الاقتصادية عندما اقترعت على الجمعية العامة في يوم ٢٩ من تشرين الثاني نوفمبر ١٩٤٧ وأن هذا الضغط الأمريكي الفعال لإقرار التقسيم هو الذي يعزى إليه عامة سبب الانهيار الفظيع الذي تعرضت له السمعة الأمريكية في جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي)<sup>(١)</sup>.

وفي خطاب تاريخي ألقاه وزير خارجية باكستان في الجمعية العامة للأمم المتحدة بمناسبة مشروع التقسيم قال يسأل الولايات المتحدة الأمريكية المسئولة عن هذا القرار: (ما الغاية من إنشاء دولة يهودية؟ أهي من باب الدافع الإنساني؟ إذا كان الأمر كذلك فلماذا أقفلتم أبواب حدودكم في وجه اليهودي الذي لا ملجاً له؟ ولماذا تصرون إذن على إسكانهم في فلسطين بل ومساعدتهم على إقامة دولة لهم - حتى يصبح ذلك اليهودي الذي كان بالأمس بلا مأوى يحكم العربي الفلسطيني)<sup>(٢)</sup>.

وقد كان الهدف الأمريكي من إقامة دولة يهودية في فلسطين إنشاء قاعدة عسكرية أمبرالية - لتكون أداة - تستغلها أمريكا لتأمين مصالحها في الشرق العربي.

(١) هنري كتن - فلسطين في ضوء الحق والعدل ص ٢٧-٢٨ ترجمة وديع فلسطين - مكتبة لبنان- بيروت ١٩٧٠ عن الاستعمار وفلسطين ص ٢٨٨

(٢) الفريد ليليتلا- مذكرات وزير الدفاع .

قال النائب الكندي في كتابه (إنني أتهم) قال (والقارة الأمريكية الشمالية ما تزال حتى اليوم تعيش في عصر الحروب الصليبية فيما يخص العرب وقضية العرب - فالمجتمع في تلك القارة ما يزال يخلط بين العرب والأتراك وقد يكون ذلك بسبب المدة الطويلة التي استمرت فيها سيطرة الإمبراطورية العثمانية على العرب)<sup>(١)</sup>.

وقد صدق هذا النائب الكندي فالحروب الصليبية متواتلة منذ عام ١٩٤٧ إلى يومنا هذا وما الحرب التي شنتها أمريكا عام ١٩٩١ على العالم العربي واتخذ لها قواعد عسكرية في كثير من البلاد العربية إلا حربٌ صليبية لها أهدافها في العقيدة حيث الردة التي بدأت وفي الفكر حيث العلمانية المتأصلة في بلاد الغرب وفي الاستراتيجية العسكرية حيث هيمتنا على كل القنوات البحرية في قناة السويس ومراكيز قوى في البحر الأحمر والبحر المتوسط وفي الاقتصاد حيث هيمتنا على كل موارد النفط والأسواق الاقتصادية في البلاد العربية وباعوهم أسلحة لا يحتاجونها تقدر بمئات المليارات وعسى أن يهدى العرب وأهل الأمر والنهي سواء السبيل وأن يبصرون بالعواقب الخطيرة لهذه الحرب الصليبية الجائمة على قلب العرب والمدبرة لأمور السياسة وال الحرب والإقتصاد.

---

(١) روجيه ديلورن - المصدر السابق ص ١٣٩ (الاستعمار وفلسطين ص ٢٩٢).

## المبحث الثالث

### الفرنسيون وقضية فلسطين

سبق أن ذكرنا أن قيام دولة لليهود في فلسطين هو مطلب صهيوني استعماري ولهذا كانت الدول الكبرى قد اهتمت كثيراً بهذا الموضوع ولعل فرنسا أول دولة صرحت وبذلت جهوداً كبيرة بهذا الخصوص (وما كانت فرنسا من تلك الدول الاستعمارية التي انطلقت إلى احتلال الشرق وتوسيع امبراطوريتها في العالم العربي والإسلامي لذلك فقد تبنت الدعوة إلى المشروع الصهيوني مبكراً بل سبقت غيرها في العمل لتحقيق ذلك الحلم الاستعماري) (ففي القرن الثاني عشر قام مغامر فرنسي مشهور يدعى رينو دي شاتيون الذي كان يلقب بأمير ما وراء الأردن ببناء اسطول القرصنة في العقبة بغية السيطرة على البحر الأحمر وعدن ليهيمن بذلك على التجارة بين أوروبا والهند وكان يهدف إلى السيطرة كذلك على الحجاز ومكة حتى تصبح في يده في النهاية مفاتيح الاقتصاد والطرق الروحية للعالم الإسلامي وقد انتهى به الأمر إلى الفشل لأنه لم يكن يملك الوسائل الكافية بتحقيق أحلامه ولكنه كان سباقاً إلى تخيل صورة النجاح العظيم الذي أدركته الامبراطورية البريطانية فيما بعد على نحو قريب من الحقيقة ذلك النجاح الذي هو اليوم تنطوي عليه صدور الأميركيين والإسرائيليين وفي إطار هذا الحلم الإستراتيجي وحده ينبغي أن تضع الصهيونية وتفتش عن جذورها ومبرراتها ومن غير هذا فإننا سوف ننته في دنيا الأساطير التي يمكن أن تمنع السياسة صورة ولكنها لا يمكن أن تكون لها دافعاً ولا محركاً<sup>(1)</sup>.

(1) الاستعمار وفلسطين ص ١٠٨ - ١١٠.

وقد انتشرت الدعوة إلى المشروع الصهيوني مع انتشار الدعوة إلى التوسع الاستعماري في الشرق ولم يكن من باب المصادفة أن يتبنى هذه الفكرة نابليون بونابرت عندما قرر غزو المشرق واحتلال مصر وفلسطين وبلاد الشام جميعها واحتل مصر عام ١٧٩٨ م<sup>(١)</sup>.

تقول المؤرخة باربرة توخمان في تعليقها على الأهمية التاريخية المتمثلة في نداء نابليون بالنسبة لمستقبل التناحر الإمبريالي بين الدول الرأسمالية الكبيرة وارتباط المشروع الصهيوني به ارتباط عضوياً (هذا على الرغم من نزعات تروجمان الصهيونية ) [بعد نابليون أصبح مسلماً به أنه كلما تصارعت الدول الكبرى في الشرق الأوسط يظهر من يقترح أحياء إسرائيل كما أصبح من المسلم به أيضاً أن ينفس هذا الشخص في حلم سعيد ليس حول كسب منطقة نفوذ في بقعة استراتيجية حيوية فحسب بل أيضاً حول اجتذاب النفوذ والثروات المزعومة ليهود العالم إلى جانبه]<sup>(٢)</sup>.

وقد فشل نابليون في تحقيق حلمه في قيام دولة إسرائيل في فلسطين حين هزم شر هزيمة على أسوار عكا ولهذا كانت مقولته المشهورة [لو فتحت عكا لفتحت الشرق]<sup>(٣)</sup>.

وكان لا هاران في كتابة (المسألة الشرقية الجديدة) يبحث اليهود ليس فقط على التمسك بحقوقهم في أرض الأجداد وإنما أيضاً كان يسعى إلى أن ينمي لديهم الشعور بالتفوق على الشعوب الأخرى ليمنحهم نوعاً من الثقة - إن أي عضو في الجنس البشري اليهودي لا يمكن أن يتخلّى عن حق شعبه الذي لا جدال فيه ولا مساس فيه بأرض أجداده دون أن يتبرأ بذلك من ماضيه وأجداده وإن مثل هذا العمل غير ملائم بصورة

(١) تيرد يستريا من السويس إلى العقبة ص ٦٩ ترجمة يوسف مزاحم دار العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٤.

(٢) صادق جلال العظم، الصهيونية والصراع الطبيقي ص ٥٧-٥٨ ط ١ دار العورة بيروت ١٩٧٥.

(٣) قسطنطين خمار - الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية ص ٢٣ - المكتب التجاري - بيروت ٦٦ ط ٢ عن الاستعمار وفلسطين ص ١١٢.

خاصة في وقت سوف لا تتمكن فيه الظروف السياسية عن إعاقة الدولة اليهودية فقط ولكنها بالأحرى ستسهل تحقيقها. إن دعوة عظيمة ممحوzaة لليهود ليكونوا ممراً حياً بين القارات الثلاث إنكم سوف تكونون حملة المدنية الأوروبية التي ساهم بها جنسكم لحدٍ كبير.

إنكم ستكونون وسطاء بين أوروبا وأسيا البعيدة لتفتحوا الطرق المؤدية إلى الهند والصين تلك المناطق المجهولة التي يجب أن تفتح في النهاية أمام المدنية [.]

لقد كان من البديهي أن يتخد الاستعمار الفرنسي وغيره من إخوانهم النصارى واليهود في البلاد العربية وسيلة للسيطرة على البلاد وتحريضهم على نصرتهم وإظهارهم بمظهر العلم والمدنية والحضارة والارتقاء الذي يوجب على شعوب البلاد العربية الترحيب بهم والرضى بحكمهم (ولقد كان لفرنسا نشاط كبير بين الطوائف المسيحية في الدولة العثمانية خاصة في بلاد الشام وكانت تحرص على فرض حمايتها عليهم خاصة الكنائس الشرقية المارونية والكاثوليكية ولم تعد من وجود أنصار لها في بلاد الشام خاصة عندما أصبح الحكم التركي حكماً ظالماً فاسداً أصابه الانحلال وأوشك على الانهيار خاصة بعد عزل السلطان عبد الحميد عن الخلافة على يد اليهود والنصارى والمنافقين من الأتراك والمغفلين من الضباط المسلمين).

(وكان من أهم الشخصيات العربية التي كانت تعتبر فرنسا مشعل الحضارة والحرية نجيب عازوري صاحب كتاب يقظة الأمة العربية والذي قال عنها: [تقدم فرنسا من بين كل الدول الأوروبية المساعدة الأikhى والأكثر عفوية للمظلومين والتعساء فالامة الفرنسية بجوهرها هي امة الفروسيه وهي التي بادرت إلى الحملات الصليبية الخطيرة التي عادت نتائجها بفوائد على العالم بأسره لقد بذلت الغالي والنفيis من أجل استقلال اليونان وبعث ايطاليا كما غزت الجزائر لا من أجل إقامة مستعمرة إنتاجية لها منها بل فوق ذلك من أجل تحرير المتوسط من القرصنة البربرية التي كانت تشنle وتهدد التجارة الدولية ولقد قامت بحملة على سوريا وخلقت الحكم الذاتي في جبل لبنان دون أن

تتمرکز في البلاد كما كان يمكن أن تفعل وأنهراً هي التي حمت الإسرائیلیات. إن الخدمات التي لا تحصى والتي أدتها على مر الأزمان بقضية الحضارة تعطیها الحق في أن تتمتع بمحبة الشرقيين وجميلهم دون تمیز في العرق أو في الدين<sup>(۱)</sup>.

ومن الغريب حقاً والم ملفت للنظر أن ترد لفظة -نبوخذ نصر الحديث - في كتابات فورس هس فقد بعث برسائل متعددة إلى دوز كيير حاخامي أمستردام سنة ۱۸۶۵ وغيره يحثه على إقامة دولة يهودية في فلسطين عن طريق التعاون مع الفرنسيين الرأسماليين.

فقد ورد في بعض كتاباته ما يأتي :

(مما يتفق مع مشاعر الشعب الفرنسي ومع مصالح السياسات الفرنسية قيام فرنسا بعد أن تكون جيوشها المظفرة قد أطاحت بنبوخذ نصر الحديث بتوسيع عملها التحريري ليشمل الأمة اليهودية أيضاً من مصلحة فرنسا أن ترى الطريق المؤدية إلى الهند والصين وقد استوطنها شعب موال لقضية فرنسا حتى النهاية وذلك كي تتحقق الرسالة التاريخية التي أدت إليها كتاركة من الثورة الكبرى لكن هل توجد أمة أخرى مؤهلة لتنفيذ تلك الرسالة على اعتبار أن الرسالة نفسها أنيطت باسرائيل منذ بدء التاريخ).

وهكذا يحصل لنا أن المفكرين الفرنسيين يكادون يجمعون على حق اليهود في إقامة دولة فلسطينية وأن من مصلحة فرنسا الكبرى أن تساند ذلك بل أن تقيم هذا العمل بنفسها وأن ذلك سبب في توسيعها الاستعماري والاقتصادي في الشرق.

---

(۱) نجيب عازوري يقطة الأمة العربية ص ۱۱۵ ، تعریف وتقديم د. أحمد ابو ملحم-المؤسسة العربية للنشر بيروت - الاستعمار وفلسطين ص ۱۱۲ .

## المبحث الرابع

### البريطانيون وقضية فلسطين

تکاد تكون بريطانيا من أشد الأمم حماساً لإنشاء دولة يهودية في فلسطين ورغم الصراع القائم بينها وبين أمريكا لكن أمريكا ألحت عليها بإلغاء قانون الانتداب وعرض القضية على الأمم المتحدة واستعمال الضغوط الدولية على الدول جميعاً، ووعد بلفور وما سبقه من جهود بريطانية كانت من الأسباب الرئيسية وتحقيقاً للمصالح البريطانية في الشرق الأوسط.

يقول اوردهوارس مايو كالمن في كتابه (الصهيونية والسياسة الدولية) عن فكرة بعث إسرائيل بين أصحاب المصالح الاستعمارية من غير اليهود فقال (انتشرت فكرة بعث إسرائيل باعتبارها ممكناً التحقيق على صعيد السياسة العملية والمستوى الديني في بريطانيا وفرنسا بين غير اليهود بشكل أوسع وأشد من انتشارها بين اليهود فالبنسبة لهولنفورث حين كتب عام ١٩٥٢ في إنجلترا (ملاحظات حول وضع اليهود في فلسطين) لم تكن إقامة الدولة اليهودية في فلسطين عملاً إنسانياً وعادلاً بل ضرورة سياسية في الذهن البريطاني لحماية الطريق عبر آسيا الصغرى إلى الهند - أما المحرك المباشر فكان الحديث الملحق حول قناة السويس فهذا المشروع الكبير حرك الفرنسيين للتفكير بالفكرة نفسها (بعث إسرائيل) كما يظهر ذلك من كتاب ديني (المشكلة الشرقية) الحديثة وكتاب لاهامي (المسألة الشرقية) ص ٤٩<sup>(١)</sup>.

(١) د. أميل توما جذور القضية الفلسطينية (دراسات فلسطينية ٩٢) ص ٩ م ت ف مركز الأبحاث بيروت ١٩٧٣ - الاستعمار وفلسطين ص ١٧٦.

## أ- فلنت-الفيلسوف السياسي

ومن البريطانيين «فلنت الفيلسوف السياسي الذي يبشر بدین جدید» لقد كان غريب الأطوار وقد كان صحيفياً ورحلة وأنهى رحلاته بالإقامة في مسكن بناء في جوار حيفا بعد أن تعرف في إحدى الجولات على مدعى النبوة - أمريكي إسمه «تمس هيرس» فآمن به وأعلنه مسيحاً جديداً وقدم له زوجته إلى أن اختلف وإياه فأخذ يبحث عن عقيدة جديدة يسد بها فراغ حياته بعد أن خسر زوجته بسبب ذلك المسيح المزعوم دعا لها بتعبير جديد عن الوحي الإلهي القديم بعودة اليهود إلى فلسطين كوسيلة لتطوير حياة أهل الشرق من عرب ويهود وكادة لترسيخ النفوذ البريطاني على طريق الهند وكمسرح لتطبيق نظرياته الخاصة في الاشتراكية زار فلسطين والستانة عام ١٨٧٩ في محاولة لتحقيق المشروع وقد زعم أن السلطان عبد الحميد وافق ثم تراجع ولكن فلت لم يأس وسكن قرب حيفا يكتب ويخطط إلى أن مات عام ١٨٨٨ م وخلاصة آرائه موجودة في كتابه (أرض جلعاد) وهي تأسيس الوطن القومي لليهود في فلسطين برعاية بريطانيا إنما هو خدمة سياسية وعسكرية لبريطانيا مثلما هو خدمة إنسانية للعالم<sup>(١)</sup>.

### ب- الدكتور توماس كلارك.

الدكتور توماس كلارك نشر كتاباً عام ١٨٦١ م يحمل عنواناً بمعنى الوضوح بالنسبة لإحياء قضية اليهود فهو يقول (سوف ينشئ بعث الأمة اليهودية بني إسرائيل إلى حد لا يقدر كما سيعود علينا بأفضل المنافع الممكنة على الإطلاق ولئن قضت الضرورة فيما مضى ببقاء المملكة التركية كدولة محايدة وبعدم مس حدودها باعتبارها عائقاً وخطراً دفاعياً فمن المؤكد أن احتلال اليهود لفلسطين تحت حماية إنجلترا أصبح يشكل ضرورة أعظم وأكثر من أي وقت مضى فإذا كانت إنجلترا تعتمد من جديد على تجارتها بوصفها

(١) أنيس صاغ الهاشميون وقضية فلسطين ص ١٩ منشورات جريدة المحرر والمكتبة العصرية - صيدا - بيروت ١٩٦٦ المصدر السابق ص ١٧٧.

حجر الزاوية في عظمتها وإذا كان أقرب مجرى لهذه التجارة وأفضليه يمر عبر محور القارات الثلاث الكبرى وإذا كان اليهود يؤلفون شعباً تجارياً في الجوهر ألا يكون من الطبيعي جداً القيام بغير سهم على مقربة من تلك الطريق العظيمة للتجارة القديمة<sup>(١)</sup>.

### ج- آرنولد تويني

ويعتبر آرنولد تويني اليهودية ظاهرة اجتماعية شاذة بحسبانها قضية متحجرة من حضارة بائدة انقرضت كل مظاهرها ويقول (ولما فقدت اليهودية صفتها كدولة استثمار هذا التحدي اليهود ليتدعوا لأمتهم طرزاً من الكيان الطائفي استعوا داخل نظامه عن فقدان دولتهم وببلادهم بالاحتفاظ بذاتهم في صورة (تشتت) و(انتشار) بين ظهرياني أغلىية أجنبية وفي ظل حكم أجنبى)<sup>(٢)</sup>.

### د- هيررت مابديوتام.

هيررت مابديوتام: الخير العسكري في صحيفة الغارديان البريطانية المؤيدة للصهيونية بقوة وصاحب النفوذ والاتصالات الواسعة في الدوائر الإنجليزية الحاكمة ومنذ ذلك تحدث بوضوح كامل عن المشروع الإمبريالي في فلسطين بقوله - مصر هي مصلحتنا الرئيسية في المشرق وهذا يعني أن فلسطين هي مصلحتنا الرئيسية كذلك لأنها تشكل الآن كما كانت دوماً مفتاح مصر يضاف إلى ذلك أن مصر مهمة بالنسبة لهذه البلاد (أي إنجلترا) ليس بسبب ما تمثله بحد ذاتها فحسب بل لأنها تشكل المعبر الرئيسي في اتصالاتنا مع إمبراطوريتنا الهندية. ثم يقول (من المؤكد تماماً).

(١) د. صادق جلال العظم الصهيونية والصراع الطبقي ص ٦٧-٦٨ المصدر السابق ١٨٩-١٨٨

(٢) المخطوطات التلمودية - أنور الجندي ص ٢٧

## المبحث الخامس

### الأمريكيون وقضية فلسطين

لا يختلف الأمريكيون في نظرتهم الاستعمارية والعمل بجد ونشاط لإقامة دولة يهودية في فلسطين وقد وجدت تلك الدول الاستعمارية مبررات للسيطرة على البلدان الضعيفة ولا بد أن نعرف الفلسفة الأمريكية في الاستعلاء والهيمنة على العالم وهي التي استفادت كثيراً من دولة إسرائيل - (فمنذ وجد الاستعمار وجدت سياسة السيطرة على الشعوب المغلوبة والضعيفة وجدت المبررات الفلسفية والدينية والحضارية التي يطلقها الساسة المفكرون والمبشرون تبريراً لاستعمارهم هذه الشعوب واستغلالهم لها).

ولكن أي من الفتوحات لم تلجم لتبرير نفسها إلى بواعث نبيلة ومترفعه ويلاحظ السناتور فولبرايت على حق أن سياسة القوة تمارس مستترة بشتى الأسماء ويضيف قائلاً (لقد كان البريطانيون يسمونها عبء الرجل الأبيض والفرنسيون رسالتهم الحضارية وأمريكيو القرن التاسع عشر مصيرهم المحتمم أما الآن فيدعونها مسئليات القوة والسلطان ويجمع هذه التعبير قاسم مشترك هو عنصر لا ارادي خارج الاختيار العقلاني) <sup>(١)</sup>.

وخلال القرن الماضي كتب هيرمان ملفيل - نحن الأمريكيون شعب خاص شعب مختار واسرائيل العصر الحاضر - إننا نحمل دقة الخلاص لحربيات العالم - وهكذا فالحلم قديم وقبل ذلك - أي في عام ١٧٦٥ كتب جون ادامز: إنني اعتبر دوماً تأسيس أمريكا كفاية إلهية صممته بقصد تنوير وتحرير جزء من الإنسانية ما زال يعيش تحت نير العبودية) <sup>(٢)</sup>.

(١) الإمبراطورية الأمريكية كلود جولييان ص ١٨ ترجمة ناجي أبو خليل ود. فؤاد شاهين دار الحقيقة بيروت طبعة ١ - ١٩٧٠ المصدر السابق ص ٢٤٢.

(٢) المصدر السابق ص ١٩ - ٢٠ - المصدر السابق ص ٢٤٢.

وقد عبر عن هذه القناعة وعبارة أكثر فظاظة السناتور بفريديج عندما أكد في أواخر القرن الماضي بأن الله قد اختار الشعب الأمريكي من بين جميع الأجناس ليقود العالم أخيراً إلى تجديد نفسه.

ولم يكن الرئيس ترومان ليساوره الشك بهذه الحقيقة القائمة عندما هنأ نفسه عام ١٩٥٢ م لأن أمريكا قبلت أخيراً دور الزعامة الذي تدعونا العناية الإلهية إلى القيام به منذ جيل<sup>(١)</sup>.

إذن فهي العناية الإلهية وإرادة الرب كما فسرها رجال الدين. ففي عام ١٨٨٦ م نشر المبشر البروتستانتي جوزيا سترونغ كتاباً أعيد طبعه عدة مرات فيما بعد بعنوان - بلادنا - أعلن فيه بأن العنصر الانجليو سكسوني قد اختاره الله لتحضير العالم<sup>(٢)</sup>.

في عام ١٩٤٧ م وجهت الحركة الصهيونية بياناً إلى الرئيس الأمريكي هاري ترومان ذكرت فيه أن قيام دولة يهودية في فلسطين ضروري لاستقرار المسلمين الذين لا يزالون في مساكن التجمع بألمانيا وأوروبا حتى يُبني منهم حائط أمريكي في الشرق الأوسط والولايات المتحدة لا يمكنها الاعتماد في الأيام القادمة على حليف حازم خير من دولة يهودية في ذلك الجزء من العالم<sup>(٣)</sup>.

وأخيراً في عام ١٩٤٧ م استسلمت بريطانيا للضغط الأمريكية وأحالت القضية إلى الأمم المتحدة وفي شهر نوفمبر من العام نفسه اجتمعت الجمعية العامة للأمم المتحدة واتخذت قراراً بقيام الدولة العميلة مخالفة بذلك رأي جميع دول آسيا وأفريقيا فيما عادا دولتين منها في جنوب أفريقيا<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر السابق ص ٣٩-٣٨ - المصدر السابق ص ٢٤٣

(٢) المصدر السابق ص ٦٣ - المصدر السابق ص ٢٤٣

(٣) الصهيونية والعنصرية حبيب قهوجي ص ٣٧-٣٨ مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية ط ١ دمشق ١٩٨٠ المصدر السابق ص ٢٨٦

(٤) عاجلاً أم آجلاً ستزول إسرائيل هنري بيزيلدة ص ٢٠-٢١ ترجمة ريمون نشاطي دار العلم للملائين بيروت ط ١٩٦٨ م

وفي هذا يقول أرنولد تويني (ومن هذه الزاوية نظر كل من الحزبين الديمقراطي والجمهوري في أمريكا وكذلك الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة في هيئة الأمم المتحدة وجعل الأربعة يحاولون أن ينافس الواحد منهم الآخر في معاضة اليهود بإظهار حماس أكبر لتحقيق المطامح اليهودية الجديدة تماماً كما تنافست بريطانيا وألمانيا على كسب التأييد اليهودي من قبل وفي مثل تلك السنوات الحرجة ما بين ١٩١٥ - ١٩١٧ وكما قال هنري بيزيدا في كتاب ( عاجلاً أو آجلاً ستزول إسرائيل ) كانت الأمم المتحدة تلك الغرفة التسجيلية لقرارات الإمبريالية الأمريكية قد عملت كما أرادها أسياحتها أن تعمل وهكذا استطاع وايزمان في ١٢ مايو سنة ١٩٤٨ أن يقول في رسالة بعث بها إلى الرئيس الأمريكي ترومان أن دور القيادة الذي قامت به الحكومة الأمريكية بوحي منكم جعل من الممكن إقامة دولة يهودية<sup>(١)</sup>.

ومن المعروف عامة أن أصوات الأمم المتحدة تأييداً لقرار التقسيم وقد تم الحصول عليها بالضغط الأمريكي وسياسة القوة فقبل التصويت ببضعة أيام بدا أن مشروع التقسيم قد لا يظفر بأغلبية الثلثين المطلوبة لأصوات المقترعين ولكن التأجิلات المتعددة أتاحت للصهيونيين والذين يعطفون عليهم من موظفي الولايات المتحدة فرصة الضغط على الصين وأثيوبيا إنه إذا ما أصبحت فلسطين جزءاً من الإمبراطورية فلن يجري استعمارها أبداً بالمعنى الحقيقي للعبارة على يد ذلك النوع من الرجال الانجليز الذين صنعوا كندا وأستراليا لا أحد غير اليهود يستطيع بناء دومينيون جديدة مستقلة على البحر الأبيض المتوسط مرتبطة منذ البداية بهذا البلد في العمل الإمبريالي فتشكل في آن واحد عنصر وقاية من الشرق الغريب ووسietطاً بينه وبيننا وحضارة متميزة عن حضارتنا ولكن مشبعة بأفكارنا السياسية<sup>(٢)</sup>.

(١) فلسطين جريمة ودفاع أرنولد تويني ص ٧٢.

(٢) مفارق الطريق إلى إسرائيل كريستوفر سايكس ص ٣٨٩ تعریف وتعليق خيري حماد - دار الكتب العربية بيروت ١٩٦٦ - المصدر السابق ص ١٨٩.

## المبحث السادس

### ايطاليا وقضية فلسطين

أما ايطاليا فقد كان اللقاء بين هرتزل وبين بوبيتي ملك ايطاليا سنة ١٩٠٤ حول مساعدة ايطاليا لليهود لتأسيس دولتهم في فلسطين وقد كان الملك صريحاً معه، وحاول هرتزل أن يثير اهتمام الملك بمخطط طرابلس لحل فائض الهجرة اليهودية إلى منطقة طرابلس تحت القوانين والمؤسسات الليبرالية الإيطالية فأجابه الملك: ولكن ذلك أيضا وطن لأناس آخرين.

ورد عليه هرتزل بقوله «لكن تقسيم تركيا سيحدث حتماً وعندما ذكر هرتزل فكرة نابليون حول إقامة الدولة اليهودية في فلسطين قال الملك: لا لقد أراد فقط أن يجعل من اليهود المتناثرين في شتى أنحاء العالم عمالء له.

وقد أظهر الايطاليون التأييد لإقامة وطن يهودي في فلسطين ولذا نجد أن مازيني الزعيم الايطالي القومي يبحث اليهود على ايجاد وإقامة دولتهم فيقول (بدون وطن تبقون بلا اسم بلا علامة مميزة بلا صوت ولا حقوق أيها الإسرائيليون لا تخدعوا أنفسكم بأمل التحرر من ظروف اجتماعية مجحفة إن لم تفتحوا أولاً وطنًا لأنفسكم لأنه حيث لا يوجد وطن لا يسود إجماع على رأي يمكنكم من اللجوء إليه)<sup>(١)</sup>.

وهكذا كانت إيطاليا التي لها أطماء في البلاد العربية حيث احتلت ليبيا - طرابلس الغرب وقامت بقتل المسلمين وتعاونت مع اليهود ضد المسلمين في فلسطين وكانت الميليشيات العسكرية تدرب في المعسكرات على صلة وثيقة بالمخابرات الإيطالية<sup>(٢)</sup>.

(١) بديعة أمين المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية ص ١٥٢ دار الطليعة ط ١ بيروت ١٩٧٤  
المصدر السابق ص ١٣٠ .

(٢) الاستعمار وفلسطين ص ١٣٤ والحركة الصهيونية ص ١٥٢ - دار الطليعة ط ١ بيروت ١٩٧٤ .

# الفصل التاسع

## المستشرقون والعلوم عند المسلمين

### المبحث الأول

#### اـ دراسة تمهدية عن العلوم عند المسلمين

لقد كان للعلوم التي أرسى قواعدها علماء المسلمين وجعلوا لها النظرية التجريبية بجانب الدراسة النظرية لما كان عليه علماء اليونان قبلهم من الاعتماد على الدراسة النظرية فحسب وقد كان اعتماد علماء الغرب في نهضتهم الحديثة على ما أثبته المسلمون وما توصلوا إليه في مختلف شؤون المعرفة وقد كان للدراسات الاستشرافية نصيب في البحث عن الحقيقة، فمنهم من استقصى الأدلة والوثائق وعرف الحقيقة فنطق بها وأثنى على علماء المسلمين جاعلاً لهم الفضل في النهضة الأوروبية الحديثة، والآخرون بين حاقد أغمض عينيه عن الحقائق وجاهل حقيقة الأمور والأحداث وعجز عن مواصلة البحث العلمي الذي يحتاج إلى صبر ومصايرة (فكان من نتائج اصطدام الشرق منذ قرون مضت وإلقاء الغرب الرعب في قلوب الأوروبيين أن صار الأوروبيون يشعرون بمذلة الخضوع للحضارة العربية التي لم يتحرر من سلطانها إلاّ منذ زمن قريب فأخذوا ينكرون فضل العرب على أوروبا وتمدينهم لها وأصبح هذا الإنكار من تقاليد مؤرخي أوروبا وكتابها الذين لم يقرؤا لغير اليونان والرومان بتمنيهما وقد ساعدتهم على هذا ما عليه العرب والمسلمون من التأخر في الزمن الأخير فلم يشاؤوا أن يروا للعرب رقياً تاريخياً أعظم مما هم عليه الآن غير ناظرين إلى أن حضارة العرب قد أفلت منذ أجيال وأنه لا يصح اتخاذ الحال دليلاً على الماضي .

ولم تخل أوروبا مع ذلك من مؤرخين أبصروا ما للعرب من فضل في تمدن أوروبا فألفوا كتبًا اعترفوا فيها للعرب بما ليس فيه الكفاية<sup>(١)</sup>.

ولهذا يقول «لوبون» (أنه كان للحضارة الإسلامية تأثير عظيم في العالم وأن هذا التأثير خاص بالعرب فلا تشارکهم فيه الشعوب الكثيرة التي اعتنقت دينهم والعرب هم اللذين هذبوا بتأثيرهم الخلقي البرابرة الذين قضوا على دولة الرومان والعرب هم الذين فتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية فكانوا م المدنيين لنا وأئمة لنا ستة قرون— وإذا كانت هناك أمة تقرّ بأننا م المدنيون لها بمعرفتنا لعالم الزمن القديم فالعرب هم تلك الأمة فعلى العالم أن يعترف للعرب بجميل صنعهم في إنقاذ تلك الكنوز الثمينة اعترافاً أبدياً، قال مسيو «لييري»: (لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا الحديثة في الآداب عدة قرون)<sup>(٢)</sup>.

وأقول، لو قال مسيو «لييري» ( ولو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لما قامت نهضة أوروبا الحديثة) لكان أثبت وأصدق في بيان حقيقة التاريخ والعلوم والنهضة ودور العرب فيها.

وإنما تعرف الأمم بأخلاقها وأثارها الإنسانية والعلمية في الأقوام التي كانت لها السيادة عليها، ولهذا فإننا نقول لم يحدث لأمة أن ظلت آثارها شامخة تنادي بالسمو والتقدم الحضاري كما كان للعرب، يقول «لوبون»:

«وتأثير العرب عظيم في الغرب وهو في الشرق أشد وأقوى، ولم يتتفق لأمة ما اتفق للعرب من النفوذ والأمم التي كانت لها سيادة العالم، كالأشوريين والفرس والمصريين واليونان والرومان توارت تحت أعفار الدهر ولم ترك لنا غير أطلال دارسة وعادت أديانها

(١) حضارة العرب د. غوستاف لوبون، وسأرمز له «لوبون» نقله إلى العربية، عادل زعير، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه، المقدمة للمترجم ص٥.

(٢) لوبون ص ٢٠، ٢٦، ٢٧.

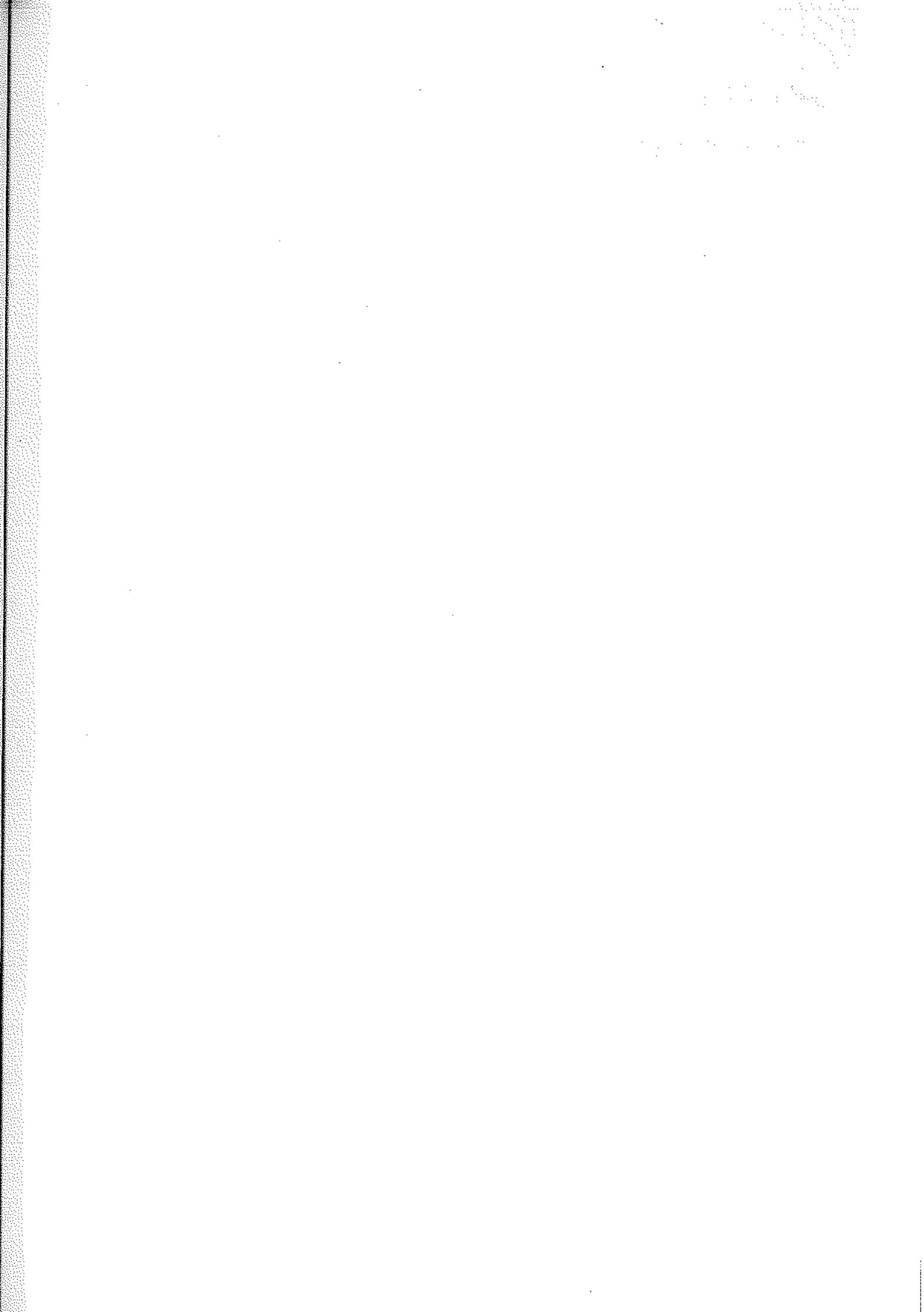
ولغاتها وفنونها لا تُكون سوى ذكريات، والعرب وإن تواروا أيضاً لم تزل عناصر حضارتهم وإن شئت فقل دياناتهم ولغتهم وفنونهم حية وينقاد أكثر من مئة مليون شخص مقيمين فيما بين مراكش والهند لشريعة الرسول ﷺ<sup>(١)</sup>.

بـ- قدرة العرب وعقليتهم العلمية وهمتهم العظيمة:

يبين «لوبون» ما امتاز به العرب من الهمة العظيمة والقدرة على التنظيم والتنسيق والإعداد والهيمنة عند دخول أي بلد أو تأسيس مدينة فيقول (الإنسان يقضي العجب من الهمة التي أقدم بها العرب على البحث وإذا كانت هناك أمم تساوت هي والعرب في ذلك فإنك لا تجد أمة فاقت العرب على ما يحتمل والعرب كانوا إذا ما استولوا على مدينة صرفوا هممهم إلى إنشاء مسجد وإقامة مدرسة فيها وإذا ما كانت تلك المدينة كبيرة أتسوا فيها مدارس كثيرة ومنها المدارس العشرون التي روى «بنيامين التطبيقي» المتوفى سنة ١١٧٣م أنه شاهدها في الإسكندرية وهذا عدا اشتتمال المدن الكبرى كبغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة.. إلخ على جامعات مشتملة على مختبرات ومراصد ومكتبات غنية وكل ما يساعد على البحث العلمي، وكان للعرب في إسبانيا وحدتها سبعون مكتبة عامة وكان في مكتبة الخليفة الحكم الثاني بقرطبة ستمائة ألف كتاب منها أربعة وأربعون مجلداً من الفهارس كما روى مؤرخو العرب وقد قيل أن سبب ذلك، أن «شارل الحكيم» لم يستطع بعد أربعين سنة أن يجمع في المكتبة الفرنسية الملكية أكثر من تسعمائة مجلد يقاد ثلثها يكون خاصاً بعلم اللاهوت<sup>(٢)</sup>.

(١) لوبون، ص ٢٠، ٢٦، ٢٧. وعدد المسلمين اليوم يربو على مليار ونصف.

(۲) لویون. ص ۴۳۴.



## **المبحث الثاني**

### **المستشفىات والمصحات الطبية**

#### **أ- النصائح الطبية والوقاية الصحية :**

لقد عرف المسلمون طرق العلاج وأثبتو النصائح والوصايا وعرفوا الحماية والوقاية من الأمراض مما جعل لهم تجارب مفيدة ومصحات جيدة يشهد بفضلها كثير من علماء الغرب بل إن المصحات النفسية كانت على درجة عالية من التنظيم والإعداد فقد عرفوا كيف يختارون موقع المستشفيات وأكدوا على أثر الأجهزة الطبيعية في صحة الإنسان وأكدوا على نوع خاص من العقاقير والأدوية لكل حالة من حالات المرضى فإنه (لم يجهل العرب أهمية حفظ الصحة وكان العرب يعرفون جيداً أن علم الصحة يعلّمنا طرق الوقاية من الأمراض التي لا يستطيع الطب شفاءها وكانت مناهجهم الصحية الطبية منذ القدم ومن ذلك ما أمر به القرآن من الوضوء والامتناع عن شرب الخمر ثم ما سار عليه أبناء البلاد الحارة من تفضيل الطعام النباتي على الطعام الحيواني غاية في الحكمة وليس فيما نسب إلى النبي من الوصايا الصحية ينتقد .

وكان من عادة مؤلفي العرب الغالية أن يوجزوا وصاياهم الصحية في كلمات جامعة يسهل حفظها<sup>(١)</sup> .

#### **ب- الجو الصحي وأثره في الأمراض وخاصة «السل» :**

ولقد جعل علماء المسلمين للجو أثره في شفاء بعض الأمراض وتأثر بذلك علماء أوروبا وأكدوه ولهذا (لم يجهل العرب تأثير الجو الصحي ومن ذلك نص ابن رشد في شروحه لكتب ابن سينا على تأثير الإقليم في داء السل وإيقاؤه المصابين به كما يوصون

(١) ٤٩٢ - ٤٩٤

الآن بأن يقضوا فصل الشتاء في جزيرة العرب وبلاد النوبة واليوم نرى المصاين بداء السل  
يرسلون في الغالب إلى بقاع النيل القرية من بلاد النوبة.

وتنطوي وصايا مدرسة ساليرم على نصائح غالبة في علم الصحة ولا أحد يجهل أن هذه المدرسة التي عدت أول مدرسة في أوروبا زمناً طويلاً مدينة للعرب بشهرتها أن التورمان لما استولوا على صقلية وعلى جزء من إيطاليا في أواسط القرن الحادي عشر من الميلاد أحاطوا مدرسة الطب التي أنشأها العرب بما أحاطوا به المعاهد الإسلامية من الاعتناء الكبير وأن قسطنطين الإفريقي الذي كان من عرب قرطاجة عين رئيساً لها وأنه ترجم أهم كتب العرب إلى اللغة اللاتينية فاختطفت من هذه الكتب وصايا مدرسة ساليرم التي ظلت بسبب شهرتها الفائقة زمناً غير قصير<sup>(١)</sup>.

---

(١) ٤٩٢ - ٤٩٤ ص

## المبحث الثالث

### الفيزياء عند المسلمين

لقد كان لعلماء المسلمين في علم الفيزياء رغم ضياع عدد من الكتب المهمة في هذا العلم في الغزو التتري والغزو الغربي الذي استولى على كثير من المخطوطات واستأثر بها وأخفي معالمها في كثير من الأحيان مدعياً نسبة هذه العلوم لأنفسهم أو للإغرق حسداً من عند أنفسهم وحقداً على العرب والمسلمين، ناسين أن عقلية العالم لا بد أن تكون عقلية صادقة واضحة وخاصة في مجال الدراسات العلمية الصرفة كالفيزياء والكيمياء، ولكن هكذا كانت حالة أعداء الإسلام في إنكار تفوق المسلمين العلمي وفضلهم على العالم أجمع إلى يوم الدين. ومع هذا فإننا نجد من المستشرقين من يثبت الحقيقة ويقول الحق لأنه يرى الحقائق ناصعة لا مراء فيها وتفرض عليه أن يكون على مستوى العلم والعلماء، فمن هؤلاء العلماء «لوبون» حيث يقول: (ضاعت كتب العرب المهمة في الفيزياء ولم يبق منها غير اسمائها ككتاب الحسن بن الهيثم في الرؤية المستقيمة والمنعكسة والمنعطفة وفي المرايا المحركة ومع ذلك فإننا نستدل على أهمية كتب العرب في الفيزياء من العدد القليل الذي وصل إلينا منها ولا سيما كتاب الحسن في البصريات الذي نقل إلى اللغة اللاتинية واللغة الإيطالية فاستعان «كيلر» به كثيراً في كتابه عن البصريات، ويرى القارئ في كتاب الحسن فصولاً دقيقة عن حرارة المرايا ومحل الصور الظاهرة في المرايا وانحراف الأشياء وجسامتها الظاهرة.. الخ. ويرى فيه على الخصوص حلّاً هندسياً لمسألة الآية التي تتعلق بمعادلة من الدرجة الرابعة وهي (إذا علم موضوع نقطة مضيئة موضوع العين فكيف تجد على المرايا الكروية والاسطوانية النقطة التي تجتمع فيها الأشعة بعد انعكاسها؟ فعدّ مسيو «شال» الذي هو حجة في هذه الموضوعات هذا الكتاب «مصدر معارفنا في البصريات»<sup>(١)</sup>.

(١) لوبون ص ٤٧٢

ومن العلوم التي نبغ المسلمين فيها واستخدموها فيها الآلات تدل دلالة واضحة على القدر العظيم الذي وصلوا فيه هو علم الميكانيكا مما استفاد منه الغرب كثيراً وشهد بذلك علماؤهم ولهذا (رأى الدكتور أ. برنارد الأكسفوري أن العرب هم الذين طبقو الرصاص على الساعة غير أن ما أبداه من الأسباب لا يكفي على ما يظهر لإسناد هذا الافتراض المهم إلى العرب والذي نرجحه هو أن الساعة الدقاقة التي أرسلها هارون الرشيد إلى شارلمان هي ساعة مائية تدق في كل ساعة بسقوط كراتها النحاسية على قرص معدني).

ولكن الذي لا ريب فيه هو أن العرب عرّفوا الساعات ذات الأنقاض التي تختلف كثيراً عن الساعات المائية ودليلنا على ذلك ما وصفت به ساعة الجامع الأموي الشهيرة في كتب كثير من المؤلفين ولا سيما «بنيامين التطيلي» الذي زار فلسطين في القرن الثاني عشر من الميلاد وقد اقتطعنا الوصف الآتي من ترجمة مسيو «سلفستر دوساس» لابن جبير.

قال ابن جبير:

«وعن يمين الخارج من باب جিرون في جوار البلاط الذي أمامه غرفة لها هيئة طاق كبير مستدير فيه طيان صفر قد فتحت أبواباً صغراً على عدد ساعات النهار ودبّرت تدبيراً هندسياً فعند انقضاء ساعة من النهار تسقط صنوجتان من صفر من فمي بازين مصوّرين من صفر قائمين على طاستين من صفر تحت كل واحد منها، أحدهما تحت أول باب من تلك الأبواب، والثاني تحت آخرها والطاستان مثقوبتان فعند وقوع البن دقتين فيهما تعودان داخل الجدار إلى الغرفة وتبصر البازين يمدان عنقيهما بالبن دقتين إلى الطاستين.. ويقدّفانهما بسرعة بتدبير عجيب تتخيله الأوهام سحراً وعند وقوع البن دقتين في الطاستين يسمع لهما دوي وينغلق الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر لا يزال كذلك عند انقضاء ساعة من النهار، حتى تنغلق الأبواب كلها وتنقضي الساعات ثم تعود إلى حالها الأول، ولها بالليل تدبير آخر وذلك أن في القوس المنعطفة على الطيكان المذكورة اثنين عشرة دائرة من النحاس محترمة تعترض في كل دائرة زجاجة من داخل الجدار في

الغرفة يدبر ذلك كله منها خلف الطيكان المذكورة وخلف الزجاجة مصباح يدور به الماء على ترتيب مقدار الساعة فإذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصباح وفاض على الدائرة أمامها شعاع فلاحت للأبصار دائرة حمراء، ثم انتقل ذلك إلى الأخرى حتى تنقضي ساعات الليل وتحمر الدوائر كلها وقد وكل بها في الغرفة متفقد حالها درب شأنها وانتقالها ويعيد فتح الأبواب وصرف الصنوج إلى مواضعها»<sup>(١)</sup>.

---

(١) لويون ص ٤٧٣

## المبحث الرابع

### الكيمياء عند المسلمين

والكيمياء شأنها شأن سائر العلوم عمل المسلمين جهدهم في معرفة خواص المواد وتركيبها ولم يكن عند من سبقوهم إلا قليل من العلم لا تتحقق به الأغراض العلمية ولا يوصل إلى الحقائق ولا يساعد على النهضة العلمية ومع هذا فقد حاول البعض أن يلغي أو يقلل من أهمية هذا العلم عند المسلمين وتفوقهم ولكن الحقائق الشمسية لا يمكن أن تصرف عن العيون البصرة وأما العميم فهو لا ترى تلك الحقائق وإن قربت من سوادها.

ولهذا يقول لوبيون «والمعارف التي انتقلت من اليونان إلى الغرب في الكيمياء ضعيفة ولم يكن لليونان علم بما اكتشفه العرب من المركبات المهمة كالكحول وزيت الزياج (الحامض الكبريتني) وماء الفضة (الحامض التري) وما الذهب وما إلى ذلك وقد اكتشف العرب أساس الكيمياء كالتقطير»<sup>(١)</sup>.

لقد بيّنا كيف يراد طمس الحقائق والحرص على عدم نسبة أي علم أو خير للMuslimين مستخدمن كافة الطرق و مختلف الحيل وهذا من سوءخلق خاصة بالنسبة للعلماء الذين يفترض فيهم الصدق والسعى وراء الحقيقة، ولهذا يقول لوبيون (قال بعض المؤلفين إن «لافوازية» واسع علم الكيمياء، وقد نسوا أننا لا عهد لنا بعلم من العلوم ومنها علم الكيمياء صادر ابتدأه دفعه واحدة وأنه وجد عند العرب من المختبرات وما وصلوا به إلى اكتشافات لم يكن لفوازية ليستطيع أن يتهمي إلى اكتشافاته بغيرها).

وفضل علماء المسلمين قد اعترف به أهل العلم من المستشرقين من ي يريد معرفة الحقيقة رغم أن أكثر كتب الكيمياء عند المسلمين قد ضاعت في متأهات التاريخ والخطوب من الأحداث والهجمات المتعددة عليهم.

(١) لوبيون ص ٤٧٤ - ٤٧٥

(ودرس أكثر علماء العرب الذين ألفوا في مختلف العلوم مسائل الكيمياء وضاع أهم كتب الكيمياء العربية خلا مؤلفاه جابر والرازي فتأسف على ذلك بعد أن تحجلت لنا قيمة ما هو بين أيدينا منها)<sup>(١)</sup> ورغم كثرة علماء المسلمين في الكيمياء وتعدد مؤلفاتهم ولكن بسبب ما ذكرناه من ضياع كثير منها، فإن الذي اشتهر بذلك جابر بن حيان الذي أثبت بعلمه الغزير ومكتشفاته الكثيرة النادرة أن علم المسلمين في الكيمياء أمر واضح معروف استفاد منها رواد النهضة الأوروبية الحديثة، فلهذا يرى «لوبون» (أن أقدم علماء العرب في الكيمياء وأكثرهم شهرة هو جابر الذي عاش في أواخر القرن الثامن من الميلاد الذي ألف كتاباً كثيرة فيها ولكنه نشأ عن كثرة من تسموا باسمه من معاصريه صعوبة تمييز ما يجب نسبته إليه منها ونقل عدد غير قليل من كتبه إلى اللغة اللاتينية وقد نقل كتابه (الاستمام) الذي هو من أهم كتبه إلى اللغة الفرنسية في سنة ١٦٧٢ فدل هذا على دوام نفوذه العلمي في أوروبا مدة طويلة. ويتألف من كتب جابر موسوعة علمية حاوية خلاصة ما وصل إليه علم الكيمياء عند العرب في عصره وتشتمل هذه الكتب على وصف كثير من المركبات الكيميائية التي لم تذكر من قبله كماء الفضة (الحامض النترى) وماء المهمّين اللذين لا نتصور علم الكيمياء بغيرهما<sup>(٢)</sup>.

واشتملت كتب جابر على بيان كثير من المركبات الكيميائية التي كانت مجهولة قبله كماء الفضة (الحامض النترى) وماء الذهب والبوتاسي وملح النشار وحجر جهنم (نترات الفضة والسليماني والراسب الأحمر)، وكان جابر أول من وصف في كتبه أعمالاً أساسية كالتقدير والتصعيد والتبلور والتذيب والتحويل . . . . إلخ.

واكتشف العرب أيضاً مركبات أخرى لا غنى للكيمياء والصناعة عنها كزيت الزاج (الحامض الكبريتى) والكحول وكان الرازي المتوفى سنة ٩٤٠ م أول من وصفها فقال:

(١) المصدر نفسه.

(٢) لوبون ص ٤٧٥.

(إن زيت الزاج يستخرج بتقطير كبريت الحديد وأن الكحول يستخرج بتقطير المواد اللببية أو السكرية المختمرة). ولما ذكر من اكتشافات مجهلة فيمن كان قبلهم في علم الكيمياء والمركبات الحديثة التي عرفوها فلهذا قال (ويظهر لنا مدى اكتشافات العرب الكيميائية من كثرة ما كان مجھولاً قبلهم من المركبات التي ذكروها في مؤلفاتهم الطبية وابتدع العرب فن الصيدلة . ويبدو لنا مقدار معارفهم في الكيمياء الصناعية من حذفهم لفن الصباغة واستخراج المعادن وصنع الفولاذ ودباغة الجلود . إلخ) <sup>(١)</sup>.

---

(١) لوبيون ص ٤٧٦ - ٤٧٧ ، وانظر (العالم العربي) ص ٦٢ نقا.

## المبحث الخامس

### علم الزراعة عند المسلمين

وأنه لما هو ثابت أن المسلمين كان لهم علم بالزراعة وقد أدخلوا في البلدان المفتوحة أنواعاً من النباتات والأشجار كما ألفوا في الزراعة كتاباً كان لها أثر في تطوير علم الزراعة في أوروبا وقصة العرب مع الأمم الأخرى هي قصة الحضارة وازدهارها (وقصة العرب في إسبانيا هي فصل من تاريخهم ينظرون إليه حتى اليوم بالفخر والحنين). ولم يكدر يتم الفتح حتى استقر القاهر والمقهور في حياة من التعاون المثمر ودخل العرب بشغف في حياة البلاد التي أتوا إليها بذخيرة من النشاط ومجموعة كبيرة من الصناعات فازدهرت الأرض وكثير سكانها وانتعشت الزراعة والصناعة والتجارة انتعاشاً لا عهد لها به.

وما يدل على تقدم الزراعة علمًا وتطبيقاً ما كتبه ابن العوام وهو عربي من إشبيلية في القرن الثاني عشر أهم كتاب زراعي في القرون الوسطى وهنا كما في صقلية جاء العرب بنباتات جديدة منها القطن وقصب السكر والأرز وعدد من أشجار الفاكهة كالمشمش والدراق والرمان وجموعة من الخسائش والأعشاب العطرية وأكثرها انتشاراً الزعفران ونهضت صناعة الحرير بإدخال تربية دود القز وانتعشت من جديد غابات الزيتون التي كانت معروفة لدى الرومان كل ذلك بفضل إنشاء وتعهد شبكة الري كثيرة الفروع واسعة النطاق.

ويمثل الجغرافيون المعاصرون إسبانيا بحديقة متراصة الأطراف تكسوها أشجار الفاكهة والأزهار وقد أثبت المؤرخون الحديثون ما رواه أولئك<sup>(١)</sup>.

(١) العالم العربي ص ٧٢.

## المبحث السادس

### العلوم الجغرافية عند المسلمين

#### أ- دراسة تحقيقية في السياحة والرحلة وتدوين المشاهد

لقد حث الإسلام على السياحة في الأرض والتفكير في خلق الله تعالى ليكون ذلك سبباً في العلم وزيادة الإيمان واليقين، قال الله تعالى: «**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقُ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ النَّسَاةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» [العنكبوت: ٢٠]، وقال تعالى: «**الشََّّيْبُورُكَ الْعَبِيدُونَ الْعَمِيدُونَ السَّكِيْحُونَ الرَّكِيْعُونَ السَّكِيْجُونَ الْأَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالثَّاكِهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْمَحْفُظُونَ لِحَدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ**» [التوبه: ١٢١]، وقال تعالى: «**إِنَّكَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلِفُ أَلْيَلُ وَالثَّاهَرُ لَأَيْنَتِ لِأَوْلَى الْأَلْبَبِ**» [آل عمران: ١٩٠].

ولهذا وجدنا المسلمين ومنهم العلماء جابوا الأرض وزاروا البلدان ووصفوها رغم ضعف واسطة النقل والمخاطر التي يواجهونها في أسفارهم مما هو مدون في كتب الرحالة.

يقول «لوبون» (ريادات العرب الجغرافية):

كان العرب من السياح المقاديم في كل وقت وكانوا لا يخشون المسافر والمراحل واليوم أيضاً نراهم يأتون مكة من أقصى البقاع ويحببون بقوافلهم داخل إفريقيا كأمر بسيط فيصادفهم فيها الأوروبيون الذين لا يبلغونها إلا بشق الأنفس.

وكان للعرب منذ السنين الأولى من قيام دولتهم علاقات تجارية بما كان الأوروبيون يشكون في وجوده من البلدان كالصين وبعض البقاع الروسية ومجاهيل إفريقيا.. إلخ.

وممن اشتهر في السياحة وتدوين أحوال البلدان الناصر سليمان في سياحته لبلاد الصين فقد أبحر سليمان من مرفا سيراف الواقع على الخليج العربي حيث كانت تكثر المراكب

الصينية وجاءز المحيط الهندي وبلغ شواطئ بلاد الصين وكتب رحلته في سنة ٨٥١ م ثم أكمل أحد أبناء وطنه أبو زيد كتاب هذه الرحلة سنة ٨٨٠ م وأضاف إليها معارف أخذها عن عرب زاروا بلاد الصين وكتاب سليمان الذي نقل إلى اللغة الفرنسية في أوائل القرن الأخير هو أول مؤلف يُشرِّر في بلاد الغرب عن الصين.

وإذا كان سليمان باحثاً عادياً فغير ذلك شأن المسعودي<sup>(١)</sup> الشهير الذي ولد ببغداد في أواخر القرن التاسع من الميلاد فقد قضى المسعودي خمساً وعشرين سنة من حياته في الطواف في مملكة الخلفاء الواسعة وفي الملك المجاورة لها كبلاد الهند وقيد ما شاهده في تأليفه الكثيرة المهمة التي نعد «مروج الذهب» أشهرها قال المؤرخ العربي العلامة ابن خلدون الذي ذكرناه غير مرة والذي ظهر بعد المسعودي بأربعين سنة ما يأتي:

«فاما ذكر أحوال العامة للآفاق والأجيال والأعصار فهو أُس للمؤرخ تبني عليه أكثر مقاصده وتبين به أخباره وقد كان الناس يفردونه بالتأليف كما فعله المسعودي في كتاب مروج الذهب شرح فيه أحوال الأمم والآفاق لعهده في عصر الثلاثين والثلاثمائة (٩٤١) غرباً وشرقاً وذكر نحلهم وعوائدهم ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرق شعوب العرب والعجم فصار إماماً للمؤرخين يرجعون إليه وأصلاً يعلون في تحقيق الكثير من أخبارهم».

وقد تقدم هذا العلم وتتابع فيه العلماء جهودهم حيث ظهر ابن حوقل حيث يقول: (قد عملت كتابي هذا بصفة أشكال الأرض ومقدارها في الطول والعرض وأقاليم البلدان ومحال الغامر منها والعمران من جميع بلاد الإسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرد بالأعمال المجموعة إليها وقد جعلت لكل قطعة أفرادتها تصويراً وشكلاً يحكي موضع ذلك الإقليم ثم

(١) وسمى سارتن النصف الأول من القرن العاشر باسم المسعودي المؤرخ والجغرافي «بلينوس العرب» والنصف الثاني باسم أبي الوفاء الفلكي الرياضي. وكان هذا القرن عصر نشاط فلسفي عظيم وكان إمام فلاسفة العصر الفارابي. العالم الغربي ص ٦٤.

ذكرت ما يحيط به من الأماكن والبقاء وما في أضيافها من المدن والأصقاع وما لها من القوانين والارتفاع وما فيها من الأنهر والبحار وما يحتاج إلى معرفته من جواميل ما يشتمل عليه ذلك الإقليم من وجوده الأموال والجبايات والأعشار والخرابات والمسافات في الطرق وما فيه من المجالب والتجارات، إن ذلك علم يتفرد به الملوك والساسة وأهل المروءات والساسة من جميع الطبقات).

ومثل هذا يصدق على البيروني الذي رافق السلطان محمد الغزوي في حملته على الهند سنة ١٠٠٠م ونشر ما شاهده في بلاد السند وشمال الهند وحاول البيروني أن يصحح خريطة تلك البلاد مستنداً إلى حسابه الفلكي.

وكذلك أو حسن الفلكي وابن بطوطة الذي بدأ بسياحته سنة ١٣٢٥م وبلغت سياحته أربعاءً وعشرين سنة مسافراً من مدينة طنجة المراكشية ومجولاً في أفريقيا ومصر وفلسطين والعراق وشمال جزيرة العرب إلى مكة وفي روسيا الجنوبيّة والقدسية... إلخ. والذي ذهب إلى بلاد الهند ماراً من بخارى وخراسان وقندها فبلغ مدينة دهامي التي كانت من العواصم الإسلامية والتي أوفده سلطانها إلى عاهل الصين فانتهى إلى بلاد الصين بحراً وقد زار في طريقه إلى الصين سيلان وسومطرة وجاوية ووصل إلى المدينة التي تعرف ببكين في الوقت الحاضر ثم عاد إلى وطنه ب طريق البحر.

### بــ التقدم الذي حققه العرب في الجغرافيا

ولقد حقق علماء المسلمين تقدماً كبيراً في علم الجغرافيا مما يشهد له ما دونوه في كتبهم وما وصلوا إليه من حقائق وما صاحبوا من قضايا عند «بطليموس» وغيره وما توصل إليه اليونان قبلهم وهكذا نجد «لوبون» يلخص ذلك فيقول:

(كان من نتائج رياضات العرب ومعارفهم الفلكية التي ذكرتها أن اتفق لعلم الجغرافيا تقدم مهم، ولا غرو فالعرب الذين اتخذوا في البداية علماء اليونان ولا سيما «بطليموس» أدلة لهم في علم الجغرافيا لم يلبثوا أن فاقوا أساتذتهم فيه على حسب عادتهم.

كانت مواضع المدن الكثيرة التي عينها «بطليموس» تعيناً جغرافياً غير مطابقة للحقيقة تماماً وبلغ مقدار غلطه في تعين طول البحر المتوسط وحده أربعينات فرسخ.

ويكفي أن نقابل بين الأمكنة التي عينها الأغارقة والأمكنة التي عينها العرب ليظهر لنا مقدار التقدم والذي تم على يد العرب فهذه المقابلة تدل على أن مقدار العرض الذي حققه العرب يقرب من الصحة مما لا يزيد على بعض دقائق وإن خطأ الأغارقة بلغ درجات كثيرة. حقاً إن أغاليط الأغارقة في تعين الطول كانت فاحشة في بعض الأحيان ومنها أن غلط بطليموس الذي اخذ الأسكندرية مبدأ للطول فهي طول طنجة نحو ١٨ درجة فجعلة ٥٣ درجة و ٣٠ دقيقة بدلاً من ٣٥ درجة و ٤١ دقيقة ومنها أن جعل بطليموس في تقاويمه طول المحور الكبير للبحر المتوسط الممتد من طنجة إلى طرابلس الشام تسعة عشرة درجة زيادة على الحقيقة أي ما يعادل أربعينات فرسخ تقريراً مع أن غلط تقاويم العرب فيه أقل من درجة واحدة.

وكتب العرب التي انتهت إلينا في علم الجغرافيا مهمة للغاية وكان بعضها أساساً لدراسة هذا العلم في أوروبا قروناً كثيرة.

ويذكر من الجغرافيين النصر البصري الذي ألف كتابه سنة ٧٤٠م والإصطخري في كتابه *الأقاليم أواسط القرن التاسع من الميلاد* والمسعودي والمقدسي ٩٨٥م.

وأشهر جغرافيي العرب هو الإدريسي ومن كتب الإدريسي التي ترجمت إلى اللاتينية تعلمـت أوروبا علم الجغرافيا في القرون الوسطى. ولد الإدريسي في الأندلس ثم ساقت الإدريسي مغامرات كثيرة إلى بلاط ملك صقلية «روجر» بعد أن استولى النورمان عليها بزمن قصير. ولما كانت سنة ١١٥٤م ألف الإدريسي كتابه الجغرافي العظيم مشتملاً على ما قيده المتقدمون في علم الجغرافيا وعلى ما رواه عن السياح من المعارف الكثيرة وعلى عدة خرائط فاقتصرت أوروبا على نسخة منها مدة ثلاثة قرون.

وخرية الإدريسي التي نشرت صورتها والتي اشتملت على منابع النيل والبحيرات الاستوائية الكبيرة أي على هذه الأماكن التي لم يكتشفها الأوروبيون إلا في العصر الحاضر أكثر خرائطه طرافة فهي تثبت أن معارف العرب في جغرافية إفريقيا أعظم مما ظن زماناً طويلاً.

وأذكر من جغرافيي العرب القزويني وياقوت الحموي اللذين عاشا في القرن الثالث عشر من الميلاد وإن كتاب هذا الأخير معجم حغرافي حافل بوثائق عن جميع البلدان التي تتالف منها دولة الخلافة. وعرف صاحب حماه أبو الفداء (١٣٧١ - ١٣٣١م) بأنه من علماء الجغرافيا أيضاً. ويحتاج إحصاء أهم جغرافيي العرب وما ألفوا من الكتب إلى بيان طويل فقد ذكر أبو الفداء وحده أسماء ستين عالماً جغرافياً من الذين ظهرروا قبله<sup>(١)</sup>.

ويذكر ما يكمن في نفوس بعض الغربيين من حقد موروث وكراهة للعرب والمسلمين ما جعلهم ينكرون فضل العرب في الجغرافيا وغيرها وإنما يهدون في ذلك إلى جعل المسلمين يشعرون بعدم الأصالة العلمية في تاريخهم ويبغون من ذلك إلى التأكيد على تبعية الشرق الإسلامي في كل شأن للغرب فيقول:

وتكتفي الخلاصة السابقة لإثبات شأنهم مع ذلك ولو لا إصرار الأوروبيين الخاص على مبتسراتهم الموروثة التي لا تزال باقية حيال الإسلام لتعذر إيضاح السبب في إنكار علماء أفضل في الجغرافيا كمسيو «فيفيان دوسان مارتن» لذلك الشأن ومع ذلك يكفي ما أتي به العرب من عمل كبير لإثبات قيمتهم<sup>(٢)</sup>.

ويوضح ثمرات علماء المسلمين مما لم يصله العلماء من أقوام آخرين لشاهد على فضلهم «فالعرب هم الذين انتهوا إلى معارف فلكية مضبوطة من الناحية العلمية عدت أول أساس للخرايط فصححوا أغاليط اليونان العظيمة في الموضع، والعرب من ناحية الريادة هم الذين

(١) لوبيون ص ٤٦٩ - ٤٧١.

(٢) ص ٤٧١.

نشروا رحلات عن بقاع العالم التي كان يشك الأوروبيون في وجودها فضلاً عن عدم وصولهم إليها والعرب من ناحية الأدب الجغرافي هم الذين نشروا كتاباً قام مقام الكتب التي ألفت قبلها فاقتصرت أمم الغرب على استنساخها قرونًا كثيرة»<sup>(١)</sup>.

### ج- استخدام البوصلة في الملاحة:

لو استقصينا علوم المسلمين واطلعنا على كل المخطوطات العربية لوجدنا للمسلمين فضلاً عظيماً في مجالات علمية متعددة ورغم أن البوصلة على ما يذكر من اختراع الصينيين لكن الثابت أن العرب أول من استخدم تلك البوصلة في الملاحة يقول «لوبون»<sup>(٢)</sup>: «البوصلة من اختراع الصينيين ولكنه لم يقم دليل على استخدامهم لها في الملاحة وكان الصينيون من ضعاف الملاحين ولم يتبعدوا في أسفارهم البحرية عن الشواطئ فكانت البوصلة قليلة النفع لهم.

وغير ذلك كان شأن العرب الذين هم من أعظم الملاحين والذين كانت صلاتهم ببلاد الصين الواسعة كثيرة أيام شك الأوروبيون في وجودها فكان من الراجح أن يكونوا أول من استخدم البوصلة في الملاحة ولكن هذا لا يخرج عن حدّ الافتراض الذي لا يجوز الإصرار عليه لعدم قيامه على دليل.

وإنما الذي لا ريب فيه هو أن الأوروبيين أخذوا هذا الاختراع المهم عن العرب الذين كانوا وحدهم ذوي صلات بالصين والذين كانوا وحدهم قادرين على إطلاع الغرب عليه، لهذا السبب ومع ذلك فقد مر بعض الزمن على الأوروبيين قبل إدراك فائدته لم يستخدموه قبل القرن الثالث عشر من الميلاد مع أن الإدريسي الذي تكلم عنه في أواسط القرن الثاني عشر من الميلاد ذكره على أنه كثير الشيوع بين بني قومه :

(١) ص ٤٧١

(٢) لوبون ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ .

## المبحث السابع

### علم الفلك عند المسلمين

وقد تنبه كثير من علماء الغرب المستشرقين إلى ما كان عليه المسلمون في علم الفلك وما عملوه من مراصد وما أثبتوه من تعين مدة السنة وقياس انحراف سمت الشمس وقياس خط نصف النهار ووضع التقاويم لأمكنة الكواكب السيارة وتعيينهم بالضبط مبادرة الاعتدالين.

وقد صدر ذلك أحدهم في قوله (علم الفلك عند العرب).

علم الفلك هو أول ما اعتنى به في بغداد ولم يدرس العرب وحدهم مسائله بل سار على طريقهم وارثوهم أيضاً ولا سيما حفييد «تيمورلنك» أولوغ بك الشهير بزوجه والذي يمكن عده المثل الأخير لمدرسة بغداد زمن ازدهارها سبعة قرون (١٤٥٠-٧٥٠) وكانت بغداد مركزاً مهماً لمباحث علم الفلك ولكنها لم تكن مركز هذه المباحث الوحيد فالمراصد التي كانت قائمة في البلاد الممتدة من آسيا الوسطى إلى المحيط الأطلنطي كثيرة ومنها ما كان في دمشق وسمرقند والقاهرة وفاس وطليطلة وقرطبة . إلخ . وقد ذكر عدد من الفلكيين الذين اشتهروا في العالم الإسلامي والذين أبدى خلفاء المسلمين تشجيعهم وإكرامهم منهم الباتاني الذي عاش في القرن التاسع وتوفي سنة ٩٢٩ م ووضع لالاند الشهير الباتاني في صف الفلكيين العشرين الذين علّوا أشهر علماء الفلك في العالم وكذلك «أمامجور وابنه» اللذان قاما برصد بين سنة ٩٣٣ م وسنة ٨٨٣ م أرياجا وأبناء موسى بن شاكر الثلاثة . الذين عاشوا في القرن التاسع من الميلاد الذين وضعوا تقاويم لأمكنة النجوم السيارة وقادوا عرض بغداد في سنة ٩٥٩ وقيدوه ٣٣ درجة و٢٠ دقيقة أي برقم يصح بعشر ثوان تقريباً.

وأبو الوفاء المتوفي ببغداد سنة ٩٩٨ م الذي عرف الاختلاف القمري الثالث الذي عثر عليه في كتابه العربي المهم وقد عزي هذا الاكتشاف بعد ستمائة سنة إلى (تيخو براهه)<sup>(١)</sup> وقد استدل به مسيو «سيديو» على وصول مدرسة بغداد في أواخر القرن العاشر إلى أقصى ما يمكن علم الفلك أن يصل إليه بغير نظارة ومرقب وكان مجهزاً بالآلات متقدمة فقد شاهد انحراف سمت الشمس بربع دائرة يبلغ نصف قطرها إحدى وعشرين قدماً أي يبلغ من الاتساع ما يعد كبيراً في المراصد الحديثة<sup>(٢)</sup>.

ومن ابتداء العرب المسلمين بعلم الفلك وقيام دولة الخلافة في إغناائهم بما يحتاجونه ورغم الهجمة التترية المعروفة فقد استطاع المسلمون بعلمهم وأخلاقهم أن يغيروا أحوال الغزاة وأن يجعلوهم ينهجون نهجاً علمياً بناء لإنتمام السيرة العلمية التي بدأوها (ولم يكن المغول أقل اعتماداً على العلماء من السلاجقين فقد استدعى هولاكو خان في سنة ١٢٥٩ م أفضل علماء العرب إلى بلاطه وأقام في بلاطه مرصدأً كبيراً نموذجياً ولم يلبث كوبلاي خان الذي هو أخ لهولاكو أن نقل إلى بلاد الصين التي افتتحها كتب علماء بغداد والقاهرة في علم الفلك، واليوم نعلم أن فلكيي الصين ولا سيما كوشوكنغ (١٢٨٠ م) استتبعوا معارفهم الفلكية الأساسية من تلك الكتب ولذا نقول أن العرب هم الذين نشروا علم الفلك في العالم كله بالحقيقة<sup>(٣)</sup> وبعد ذكر ما قدمه العلماء العرب في الأندلس وإفريقيا وغيرها وذكر آلة الاسطرلاب ووصفه واستعماله قال:

(١) إن خطوة البعض من المستشرقين الحاذدين على الإسلام أن ينسبوا كثيراً من الحقائق العلمية والاكتشافات الهمامة إلى غير المسلمين أو أن يترجموا الكتاب العربي إلى اليونانية ثم يترجموه إلى اللغة الإنجليزية أو غيرها وينسبوه مؤلف يونياني وأما ادعاء بعض الفرضيات العلمية أو الحقائق لأنفسهم فقد أشار السيد فؤاد سزكين إلى هذه الواقع في ألمانيا في كتابه التراث الإسلامي.

(٢) لوبيون ص ٤٥٦ - ٤٥٨.

(٣) لوبيون ص ٤٥٨ - ٤٥٩.

وتلخص اكتشافات العرب الفلكية بما يأتي: إدخال المماس إلى الحساب الفلكي منذ القرن العاشر من الميلاد ووضع أزياج لحركات الكواكب وتعيين دقيق لأنحراف سمت الشمس وتقديره التدريجي وتقدير مبادرة الاعتدالين بالضبط وتحديد صحيح لمدة السنة وتحقيق لشذوذ أعظم عرض للقمر وكشف للاختلاف القمري الثالث المعروف بالاختلاف في الوقت الحاضر والذي (قيل تيخو براهاة) اهتدى إليه في سنة ١٦٠١ م لأول مرة<sup>(١)</sup>.

---

(١) لوبيون ص ٤٦٣-٤٦٤.

# الفصل العاشر

## العلوم التطبيقية والصناعات والاكتشافات

### المبحث الأول

#### الاكتشافات

لم يكن علماء المسلمين ليقفوا عند ما وصلوا إليه من حقائق علمية في المجال النظري فحسب بل قد علموا مبادئ دينهم أن الشمرة إنما تكون في التطبيق سواء في مجال العبادات أو المعاملات أو العقائد أو غيرها ولهذا نجدهم يحاولون الاستفادة من مكتشفاتهم في مجال الدفاع عن العقيدة الإسلامية والذود عن حياض الأمة والحفاظ على البلاد من الأعداء كما أنهم استفادوا منها في صناعات كثيرة مفيدة، استفاد منها من جاء بعدهم في تطوير تلك الصناعات وتحسينها ولهذا يقول لوبيون (المعارف الصناعية لم يحمل العرب أمر التطبيقات الصناعية مع قيامهم بمباحthem النظرية وكان لصناعات العرب تفوق عظيم بفضل معارفهم العلمية ونعلم ما أدت إليه صناعتهم من النتائج وإن جهلنا أكثر طرقها فتعرف مثلًا أنهم كانوا يعلمون استغلال مناجم الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب وأنهم كانوا ماهرين في الدباغة وفي فن تسقيبة الفولاذ كما تشهد بذلك نصال طليطلة وأنه كان لنسائهم وأسلحتهم وجلودهم وورقهم شهرة عالمية وأنه لم يسبقهم أحد في كثير من فروع الصناعة إلى عصرهم<sup>(١)</sup> ولهذا نجد بعض المستشرقين لم يقبلوا الأمر بالنسبة لمعارف المسلمين عن جد وتعالى وتكبر، من ذلك - بارود الحرب والأسلحة الناريه - استعملت أمم آسيا أنواع المركبات المحرقة في حروبهها منذ القرون القديمة ولكن أوروبا لم تعرف هذه المركبات إلا في القرن السابع من الميلاد ويظن أن الذي نقلها من آسيا هو مهندس معماري

(١) لوبيون ص ٤٧٧.

اسمه «كالينيك» أخذها عن العرب واستفاد البيزنطيون استفادة عظيمة من هذه المركبات في دحر العرب حينما وضعوا نطاقاً أمام القسطنطينية وأمر القيصر قسطنطين بورفير وجينيت بعدها من أسرار الدولة ولم تثبت أن كشفت وأسفرت مباحث رينو فافيه عن القطع بأن هذه المركبات التي وصفت في كثير من المخطوطات القديمة مؤلفة من الكبريت وبعض المواد الملتهبة كبعض الراتنجات والأدھان<sup>(١)</sup> مما يدل أنهم أخذوه عن العرب.

---

(١) لوبون ص ٤٧٧

## المبحث الثاني

### العلوم التطبيقية

والنار اليونانية لم تكن سوى نار محقة ولكنها لم تكن في تكوينها صالحة لدفع القذائف المحقة وكذا لم تكن ذات قابليات عظيمة محقة كما كانت عليه النار التي استعملها المسلمون في حروفهم المتعددة ضد أعداء الإسلام ولهذا يقول لوبيون (ولسرعان ما عرف العرب تركيب النار اليونانية وبلغت هذه النار من الانتشار عندهم ما صارت معه «عامل الهجوم المهم» كما قال ذلك المؤلفان (وتفنن العرب في استخدامها والقذف بها بشتى الطرق وليس بمجهول خبر الرعب الذي ألقته في قلوب الصليبيين فورد ذكره في أحاديثهم ومن ذلك أن أعلن «جوانفيل» أنها أفعع شيء رأه في حياته وأنها ضرب من الثنائيات الكبيرة الطائرة في الهواء ولما أصبح جوانفيل في جوار الملك سان لويس «ركع ورفع يديه إلى السماء وقال باكيًا: أي ربنا يسوع احفظنا واحفظ قومنا» فالنار اليونانية وإن كان يقذف بها لم تنفع لرمي القذائف وهي وإن كانت من المحترفات لم تكن لها خواص البارود في الانفجار<sup>(١)</sup>.

وسنظل نتابع إنكار الحقائق ونسبة العلم إلى غير أهله في أكثر مباحثنا لأن الذين في قلوبهم مرض لا تطيب نفوسهم إلّا في الإنكار والتزوير ونسبة الحقائق إلى غير أهلهها - وهنا روجر ينسبون اختراع البارود إليه ي يكون:

وعزي اختراع البارود إلى روجر ي يكون زمناً طويلاً مع أن روجر ي يكون لم يفعل غير ما فعله ألبرت الكبير من اقتباس المركبات القديمة ولا سيما ما وصفه منها مرکوس غراوكوس في مخطوط كتب سنة ١٢٣٠ م بعنوان (كتاب النار لإحراق الأعداء) والحق أن كثيراً من هذه المركبات يشابه تركيب البارود ولكنه كان يستعمل من الأسمهم النارية فقط وهو مقتبس من

(١) لوبيون ص ٤٧٨.

العرب لا ريب كجميع المركبات الكيميائية في القرون الوسطى والعرب هؤلاء قد عرفوا الأسلحة النارية قبل النصارى بزمن طويل كما يأتي بيانه<sup>(١)</sup>.

وهكذا تظهر الحقائق على لسان غير المسلمين من إثباتات حقيقة الأمر وبيان فضل العرب في ذلك حين تتبعوا المصادر وتبيّنوا الحقائق (فأثبتت مباحث مسيو رينو ومسيو فافيه وقد سبقهما إليها الغزيري واندريه وفياردوا أن العرب هم الذين اخترعوا بارود المدافع السهل الانفجار الدافع للقذائف وبيان ذلك: أن ذلك المؤلفين يريان في بدء الأمر كما رأى غيرهما أن أمر الاختراع يعود إلى الصينيين وأنهما رجعاً في مذكرة ثانية نشرتها سنة ١٨٥٠ م وذلك بعدما اطلعاً على ما جاء في بعض المخطوطات التي عثر عليها حديثاً عن رأيهما معلين أن العرب هم أصحاب هذا الاختراع العظيم الذي قلب نظام الحرب رأساً على عقب وما قال ذلك المؤلفان: «أن الصينيين هم الذين اكتشفوا ملح البارود واستعملوه في النار الصناعية وأن العرب هم الذين استخرجوا قوة البارود الدافعة أي أن العرب هم الذين اخترعوا الأسلحة النارية»<sup>(٢)</sup>.

ويقول المؤرخ الفرنسي لاريل في كتابه مدينة الإسلام بإسبانيا فقد اعترف بمزايا المسلمين في الصناعة والزراعة والبناء وخصائص الهندسة العربية وقرر أن المسلمين هم أول من استعمل المدافع النارية في أوروبا وأنهم فاقوا الغربيين في جميع الفنون<sup>(٣)</sup> وجرى المؤرخون على الرأي القائل أن المعركة الأولى التي استعملت فيها المدفع هي معركة كريسي التي حدثت سنة ١٣٤٦ م والحقيقة ما أثبتته مؤرخو العرب في مؤلفاتهم من النصوص الكثيرة التي تدل على أن استعمال المدفع وقع قبل تلك السنة بزمن طويل ومن ينظر إلى المختارات

(١) لوبيون ص ٤٧٨.

(٢) لوبيون ص ٤٧٨-٤٧٩.

(٣) الإسلام في غزوة جديدة لل الفكر الإنساني، أنور الجندي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة - الكتاب (١٩) ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م وسُرِّمَ له - الجندي - نقاً عن خلاصة تاريخ الأندلس للأمير شكيب أرسلان ص ٣٦٥.

المقططفة من المخطوطات التي ترجمها «كوند» يجد على الخصوص أن الامير يعقوب حاصر زعيم ثوار مدينة المهدية بإفريقيا في سنة ١٢٠٥ وأنه (ضرب أسوارها بمختلف الآلات والقنابل أي ضربها بالآلات لم يرها الناس قبل ذلك فكانت كل واحدة منها ترمي قذائف كبيرة من الحجارة وقنابل من الحديد فتسقط في وسط المدينة).

ونرى ذلك صريحاً في تاريخ ابن خلدون عن البربر حيث ذكر استعمال المدافع في الحصار بقوله: «ولما فتح السلطان أبو يوسف بلاد المغرب وجّه عزمه إلى افتتاح سجلماسة (١٢٧٣هـ / ١٢٧٣م) من أيديبني عبد الواد المتغلبين عليها وإدالله دعوته فيها من دعوتهم فنهض إليها في العساكر والخشود في رجب سنة اثنين وسبعين فنازلها وقد حشد إليها أهل المغرب أجمع من زناته والعرب والبربر وكافة الجنود والعساكر، ونصب عليها آلات الحصار من النجانيق والعرادات وهنadam النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانة أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة تردّ الأفعال إلى قدرة بارئها فأقام عليها حولاً يغاديها القتال ويرأوها إلى أن سقطت ذات يوم على حين غفلة طائفة من سورها بإلحاح الحجارة من المنجنيق عليها فبادروا إلى اقتحام البلد فدخلوه عنوة من تلك الفرجة». وتثبت مخطوطات ذلك الزمن أن الأسلحة النارية شاعت بين العرب بسرعة وأنهم استخدموها للدفاع عن مدينة الجزيرة التي هاجمها الأذفونشي الحادي عشر (أن مغازية المدينة كانوا يقذفون كثيراً من الصواعق على الجيش فirimون عليه عدة قنابل كبيرة من الحديد كالتفاح الكبير وذلك إلى مسافة بعيدة من المدينة فيمر بعضها فوق الجيش ويسقط بعضها عليه) وحضر كونت دربي وكانت سالسييري الإنجليزيان ذلك الحصار وشاهدا نتائج استخدام البارود ونقلوا ذلك الاختراع إلى بلادهم من فورهم واستخدمه الإنجليز في معركة (كريسي) بعد ذلك بأربع سنوات. ونجد في المخطوطات العربية بياناً لتركيب ما كان العرب يستخدمونه من البارود والأسلحة النارية وإليك النص الطريف الذي ورد في مخطوط كتب في أواخر القرن الثالث عشر من الميلاد فترجمه «رينو»:

(وصف للذخيرة التي تدك في المدافع مع بيان نسبتها - تؤخذ عشرة دراهم من ملح البارود ودرهماً من الفحم ودرهماً ونصف من الكبريت وتسحق حتى تصبح كالغبار منها ثلث المدفع فقط خوفاً من انفزاره ويصنع الخرّاط من أجل ذلك مدفعاً من خشب تناسب جسامته فوهرته وتدرك الذخيرة فيه بشدة ويضاف إليها إما ميدق وإما نيل ثم تشعل ويكون قياس المدفع مناسباً لثقبه فإذا كان عميقاً أكثر من اتساع الفوهة بدا ناقصاً<sup>(١)</sup>.

---

(١) لوبيون ص ٤٧٩ - ٤٨١.

## المبحث الثالث

### صناعة الورق

لقد كان المسلمون بحسن تفكيرهم ودقة فهمهم وذكائهم المتوفّق يبحثون دائمًا عن أفضل الوسائل في الحصول على الحقيقة العلمية وأيسر الطرق في تسجيلها والحفظ عليها حيث وجدوا الحاجة الماسة إلى سجلات يدونون فيها ما يرغبونه ويحتاجون إليه وحيث أن الرق يصعب الحصول عليه وهو غالٍ ولا يفي بالغرض في خضم الحضارة المتتجددة فقد استطاعوا أن يخترعوا الورق وكان لاختراعهم هذا الفضل الكبير، فلقد (كان الأوروبيون في القرون الوسطى يكتبون على الرقوق لزمن طويل وكان غلاء أسعارها مانعاً من توافر المخطوطات فيها ونشأ عن ندرتها أن تعود الرهبان حك كتب كبار المؤلفين من اليونان والرومان ليستبدلوا بها مواطنهم الدينية ولو لا العرب لضاع أكثر هذه الكتب الرائعة القديمة التي زعم أنها حفظت في أروقة الأديار باعتناء. وكان اكتشاف مادة تقوم مقام الرق وتشابه بردي قدماء المصريين يعدّ من أعظم العوامل في نشر المعارف وثبت المخطوطة التي عليها الغزيري في مكتبة الأسكنريال في سنة ١٠٠٩ م على ورق مصنوع من القطن والتي هي أقدم من جميع المخطوطات الموجودة في مكتبات أوروبا أول من أحلّ الورق محلّ الرق.

وليس من الصعب أن يصل الباحث في الوقت الحاضر إلى تاريخ اختراع الورق فمن الثابت أن الصينيين كانوا يعملون منذ القدم صناعة الورق من شرائط الحرير وأن هذه الصناعة أدخلت إلى مدينة سمرقند في أوائل التاريخ الهجري فلما فتحها العرب وجدوا فيها مصنعاً للورق الحريري ولكن اختراعاً مهماً كهذا لم يكن ليتفق به في أوروبا التي لم تعرف الحرير تقريباً إلا باستبدال مادة أخرى بالحرير وهذا ما أتاه العرب حين أقاموا القطن مقامه ولم يلبث العرب أن بلغوا في إتقان صناعة الورق من القطن شاؤاً لم يسبق كما دل عليه البحث في مخطوطات العرب القديمة<sup>(١)</sup>.

(١) لوبيون ص ٤٨٢ ، وانظر العالم العربي، نجلاء عز الدين ص ٧٣ .

ولئن كان بعض الباحثين يريدون أن يثبتوا لليونان أو لأوروبا فضل كثير في القضايا العلمية والصناعات الحديثة فقد أثبت المصنفو من الغرب فضل المسلمين في ذلك فذهب لوبيون مثبتاً (أن العرب اخترعوا من الأسمال الورق الصعبه الكثيرة التراكيب ويستند في هذا الرأي إلى أن العرب استخدموها هذا النوع من الورق في زمن أقدم من الزمن الذي استخدمته فيه الأمم النصرانية بمدة طويلة فأقدم ورق موجود في أوروبا من هذا النوع هو ورق الكتاب الذي أرسله جوانفيلي إلى الملك سان لويس قبيل وفاته في سنة ١٢٧٠ م أي بعد حملته الصليبية المصرية الأولى مع أن لدينا ورقة عربية صنع من الأسمال قبل هذا التاريخ بنحو قرن كالورق المحفوظ بين مخطوطات برشلونة والمكتوبة عليه معاهددة السلم بين ملك أرغونة الأذفونشي الثاني وملك قشتالة الأذفونشي الرابع في سنة ١١٨٧ م والمصنوع في مصنع شاطبة العربي الشهير الذي امتدحه العالم الجغرافي الإدرسي في النصف الأول من القرن الثاني عشر من الميلاد.

ونشأ عن كثرة المكتبات العامة والخاصة في الأندلس أيام سلطان العرب بما لم تعرفه أوروبا في ذلك الزمن أن اضطر العرب إلى زيادة مصانع الورق فانتهوا إلى صنعه بإتقان عظيم من القنب والكتان الوافرين في الحقول في ذلك الحين<sup>(١)</sup>.

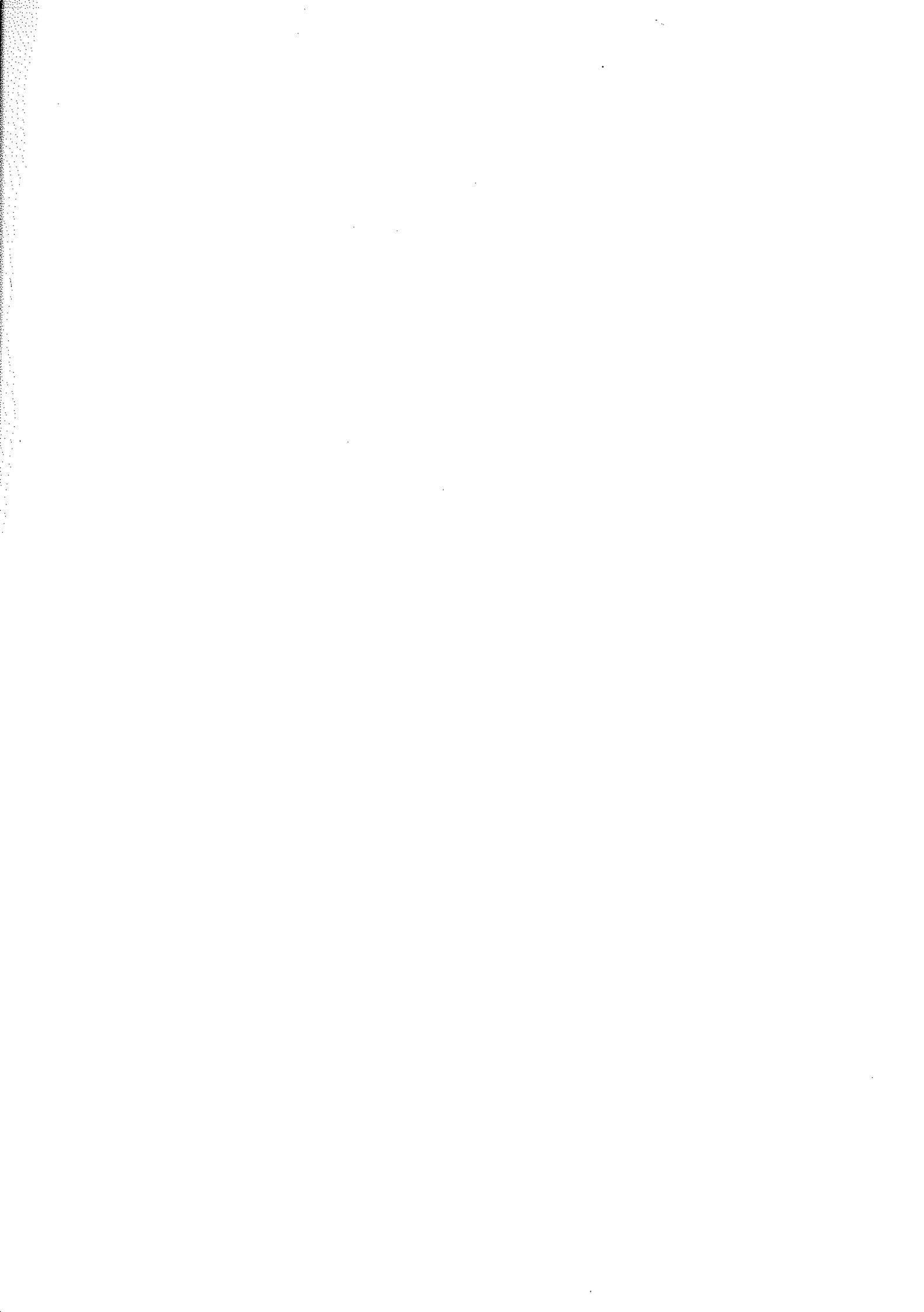
(١) لوبيون ص ٤٨٣.

## المبحث الرابع

### الصناعات المتعددة

وكان لل المسلمين من علم بالصناعات المتعددة غير ما ذكرناه مما يدل على شمول علمهم بها وإتقانهم لها وتفوقهم فيها وتأثير أوروبا بها وأخذهم للصناعات منهم ولهذا فإن المهارة التي أعطت متوجات دمشق والقاهرة و بغداد شهرتها ورواجها كانت جزءاً من الحضارة التي أتى بها العرب إلى إسبانيا فأسسوا عدداً من الصناعات وأخرجوا متوجات ذات قيمة فنية عظيمة منها المنسوجات والخزف وأشغال المعادن والأواني الزجاجية وتجليل الكتب وأشغال الجلد وحفر الخشب والمياء واستخدام الحرير المنسوج في إسبانيا لصنع ملابس الملوك وحلل الأساقفة. أما صناعة الخزف الشهيرة ومقرها الرئيسي بلنسية فقد كانت لها سوق واسعة، ومن إسبانيا دخلت هذه الصناعة إلى فرنسا وتوجد نماذج لها هي تقليد عنها شمالاً حتى هولندا. واشتهرت طليطلة بصناعة السيوف التي كانت تصاهي سيوف دمشق وقرطبة بالجلد الشهير بالقرطيبي وازدهرت أيضاً الفنون الصغرى، ومن نتاجها ازدانت قصور أوروبا وكنائسها.<sup>(١)</sup>.

(١)



# فهرس مراجع ومصادر البحث

أولاً: المراجع:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- صحيح الإمام البخاري.
- ٣- صحيح الإمام مسلم.
- ٤- فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.
- ٥- سنن أبي داود.
- ٦- سنن الترمذى.
- ٧- سنن ابن ماجة.
- ٨- سنن النسائي.
- ٩- سنن الإمام أحمد.
- ١٠- موطأ الإمام مالك.
- ١١- الكشاف للزمخشري.
- ١٢- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

## ثانياً: مصادر البحث

- ١- آراء المصلحين الاجتماعيين المصريين.
- ٢- الأرض المقدسة/ ابراهيم العلي - منشورات فلسطين المسلمة.
- ٣- الاستشراق الفرنسي المعاصر للأدب / الدكتور ميشال آلار.
- ٤- الاستشراق والدراسات الإسلامية/ الدكتور عبد القهار العاني.
- ٥- الاستشراق أهدافه وآثاره/ الدكتور عبد القهار العاني.
- ٦- الإسلام في غزوة جديدة/ أنور الجندي.
- ٧- الإسلام والمستشرقون/ عالم المعرفة - جدة ١٩٨٥ .
- ٨- الإسلام والرأسمالية/ مكسيم رودنسون - ترجمة نزيه حكيم.
- ٩- الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام/ عبد الله التل - المكتب الإسلامي بيروت .
- ١٠- التبشير/ أحمد خليل .
- ١١- التبشير والاستعمار في البلاد العربية / عمر فروخ والخالدي - المكتبة العصرية - بيروت .
- ١٢- التشريع الجنائي في الإسلام/ عبد القادر عودة.
- ١٣- تاريخ مدينة القدس/ معين أحمد محمود - دار الأندلس.
- ١٤- التفسير والمفسرون/ الدكتور محمد حسين الذبيبي .
- ١٥- تاريخ التشريع الإسلامي/ كولسون ١٦ .
- ١٦- جوانب إسلامية/ ماكدنولاد.

- ١٧ - الحضارة الإسلامية/ عبد الجليل شلبي .
- ١٨ - حاضر العالم الإسلامي/ نور ثروب .
- ١٩ - حضارة الإسلام/ غوستاف لوبيون .
- ٢٠ - الدراسات العربية والإسلامية في بعض البلاد الأوروبية - جامعة بيروت العربية .
- ٢١ - الدعوة إلى الإسلام/ أرنولد سير توماس / ترجمة حسن ابراهيم حسن ورفاقه - مكتبة النهضة المصرية ١٩٧١ .
- ٢٢ - رسالة نحو النور/ الدكتور مصطفى السباعي
- ٢٣ - السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي/ مصطفى السباعي .
- ٢٤ - صور استشرافية/ الدكتور عبد الجليل شلبي .
- ٢٥ - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية/ ابن قيم الجوزية .
- ٢٦ - الطريق إلى القدس / د. محسن محمد صالح / منشورات فلسطين المسلمة .
- ٢٧ - علوم الحديث / الدكتور عبد الكريم زيدان والدكتور عبد القهار العاني .
- ٢٨ - العقيدة والشريعة في الإسلام/ كولد تسيهر ترجمة يوسف موسى وزميله طبعة مصر ١٩٤٨ .
- ٢٩ - فجر الإسلام / أحمد أمين بيك .
- ٣٠ - الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي / د. محمد البهبي .
- ٣١ - في الأدب الجاهلي / د. طه حسين .
- ٣٢ - لمحات من الثقافة الإسلامية / عمر عودة الخطيب .
- ٣٣ - لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم / شكيب أرسلان - طبعة القاهرة ١٣٤٩ .

- ٤٣- مناهج المستشرقين / الدكتور مصطفى الشكعة.
- ٤٤- المستشرقون والإسلام / د. عرفان عبد الحميد.
- ٤٥- مناهج المستشرقين / محمد بن عبود.
- ٤٦- مكايد يهودية / عبد الرحمن حسن جبنكة - ط ٣ / دمشق- دار القلم.
- ٤٧- المستشرقون / نجيب العقيقي - ط. دار المعارف القاهرة.
- ٤٨- مذاهب التفسير الإسلامي / كولد تسيهر - ترجمة عبد الحليم النجار ورفاقه.
- ٤٩- المستشرقون بين الإنصاف والعصبية / محمد علوى المالكى.
- ٥٠- مناهج المستشرقين / د. مصطفى الأعظمى.
- ٥١- مناهج المستشرقين / د. محمد السويسى.
- ٥٢- مقالات رينان عن العلوم عند العرب وأفكاره.
- ٥٣- مجموعة الشرق الأوسط في مرحلة الانتقال - لندن ١٩٥٨ هانز تونش.
- ٥٤- مصر في أفريقيا والإقليم. جمعية التبشير الإنجيلية التاريخية ١٩٢٣.
- ٥٥- موسوعة المستشرقين / د. عبد الرحمن بدوي.
- ٥٦- الوحي الحمدي / محمد رشيد رضا.
- ٥٧- وعد كيسنجر والأهداف الأمريكية في الخليج / د. سفر الحوالى - مؤسسة الكتاب الإسلامي - دالاس/ أمريكا.

### الصحف والمجلات

- ١- مجلة العالم الإسلامي The Muslim World.

# فهرس الموضوعات

٥ .....	المقدمة
● الفصل الأول:	
٧ .....	المبحث الأول: التمهيد .....
١٣ .....	المبحث الثاني: الصراع بين الإسلام وأعدائه .....
١٦ .....	المبحث الثالث: الغرب والشرق الإسلامي - العصر الذهبي في الإسلام والعصور المظلمة في أوروبا .....
● الفصل الثاني: القرآن الكريم طبعاته وترجماته .....	
٢١ .....	المبحث الأول: القرآن الكريم طبعاته وترجماته .....
٢٤ .....	المبحث الثاني: ترجمات القرآن الكريم إلى اللغات الأوروبية .....
٢٦ .....	المبحث الثالث: فهارس القرآن .....
● الفصل الثالث: تاريخ الاستشراق وأثاره وأهدافه وعلاقته بالتبشير والاستعمار .....	
٢٩ .....	المبحث الأول: أهداف التبشير .....
٣٤ .....	المبحث الثاني: بعض ما قاله المستشرقون عن الإسلام .....
٤٦ .....	المبحث الثالث: خطة الاستشراق والتبشير في إثارة الفتنة بين الأديان والفرق .....
ا-الفتنة بين الموارنة والدروز .....	
٤٧ .....	ب-الفتنة بين المسلمين والنصارى .....
٤٨ .....	ج-إثارة الطائفية .....

الاستشراق واستغلال الشعوب والمؤسسات العلمية .....	٥١
<b>● الفصل الرابع: مناهج المستشرقين في القرآن الكريم .....</b>	
المبحث الأول: دراسة تحليقية في أصنافهم والأخذ عليهم .....	٥٧
المبحث الثاني: غوستاف لوبيون والقرآن الكريم .....	٦٠
أ- خلاصة القرآن وأسلوبه .....	٦٢
ب- الله في القرآن الكريم .....	٦٣
ج- القرآن وخلق السموات والأرض يوم الحساب .....	٦٤
د- مسامحة الرسول - ﷺ - لليهود والنصارى .....	٦٦
ه- القضاء والقدر في القرآن الكريم .....	٦٧
و- الرد على غوستاف لوبيون في مسألة نزول القرآن مفرقاً .....	٦٩
ز- التوحيد في القرآن الكريم .....	٧٢
ح- القرآن والسيف .....	٧٤
المبحث الثالث: غولد تسيهير ومنهجه في الدراسات القرآنية .....	٨٠
المبحث الرابع: نولدكه والقرآن الكريم .....	٨٥
المبحث الخامس: ريجي بلاشير .....	٨٧
المبحث السادس: فوييلز .....	٩٠
المبحث السابع: هوبرت جريموني .....	٩١
المبحث الثامن: كليمون هوار .....	٩٢
المبحث التاسع: توسدال وشبهاته في القرآن .....	٩٣

٩٥.....	المبحث العاشر: دور أندريه .....
٩٦.....	المبحث الحادي عشر: آربيري .....
٩٧.....	المبحث الثاني عشر: آرلينوس .....
٩٨.....	المبحث الثالث عشر: يوحنا الأشقيبي .....
٩٩.....	المبحث الرابع عشر: بالمر .....
١٠٢ .....	المبحث الخامس عشر: أوتوبرنزل .....
١٠٣.....	المبحث السادس عشر: بطرس المحترم الفرنسي .....
١٠٥.....	المبحث السابع عشر: المستشرقون في روسيا والدراسات القرآنية .....
١٠٧.....	● الفصل الخامس: المستشرقون والاقتصاد الإسلامي .....
١٠٧.....	المبحث الأول: النظارات الاستشرافية المتعددة .....
١٠٩ .....	المبحث الثاني: المستشرق مكسيم رومنسون .....
١٠٩.....	أ- القرآن وعلم الاقتصاد .....
١١١.....	ب- الإسلام يحث على العمل والتجارة وينهى عن الغش والخداع .....
١١٤.....	ج- العقيدة القرآنية والاستدلال العقلي .....
١٢١.....	● الفصل السادس: مناهج المستشرقين في السنة النبوية والتاريخ الإسلامي .....
١٢١.....	المبحث الأول: دراسة تحليلية في منهج المستشرقين في السنة النبوية .....
١٢٣ .....	المبحث الثاني: المستشرقون والسيرة النبوية .....
١٢٤.....	المبحث الثالث: كولسون وآراؤه في السنة النبوية .....
١٢٩....	المبحث الرابع: دراسة تحليلية في منهج المستشرقين في التاريخ الإسلامي .....

المبحث الخامس : آرنولد تويني .....	١٣٢
المبحث السادس : جب .....	١٣٥
المبحث السابع : المستشرقون الروس والدراسات الإسلامية .....	١٣٧
● الفصل السابع : المستشرقون والدراسات الفقهية .	١٣٩
المبحث الأول : دراسة تحقيقية في منهج المستشرقين في الدراسات الفقهية .....	١٤٢
المبحث الثاني : شاخت وآراؤه في القرآن والسنة النبوية .....	١٤٦
● الفصل الثامن: الاستشراق وقضية فلسطين.	١٥٥
المبحث الأول : دراسة تمهيدية عن بواطن قيام دولة اليهود في فلسطين .....	١٥٥
المبحث الثاني : الدوافع الاستعمارية العالمية لإقامة دولة يهودية في فلسطين ..	١٥٨
المبحث الثالث : الفرنسيون وقضية فلسطين .....	١٦٢
المبحث الرابع : البريطانيون وقضية فلسطين .....	١٦٦
أ- فلنت - الفيلسوف السياسي .....	١٦٧
ب- الدكتور توماس كلارك .....	١٦٧
ج- آرنولد تويني .....	١٦٨
د- هيررت مابديوتام .....	١٦٨
المبحث الخامس : الأميركيون وقضية فلسطين .....	١٦٩
المبحث السادس : ايطاليا وقضية فلسطين .....	١٧٢
● الفصل التاسع : المستشرقون والعلوم عند المسلمين .....	١٧٣
المبحث الأول : دراسة تمهيدية عن العلوم عند المسلمين .....	١٧٣

أ- دراسة تمهيدية عن العلوم عند المسلمين .....	١٧٣
ب- قدرة العرب وعلقائهم العلمية وهمتهم العظيمة .....	١٧٥
<b>المبحث الثاني: المستشفى والمصحات الطبية .....</b>	<b>١٧٧</b>
أ- النصائح الطبية والوقاية الصحية .....	١٧٧
ب- الجو الصحي وأثره في الأمراض .....	١٧٧
<b>المبحث الثالث: الفيزياء عند المسلمين .....</b>	<b>١٧٩</b>
<b>المبحث الرابع: الكيمياء عند المسلمين .....</b>	<b>١٨٢</b>
<b>المبحث الخامس: علم الزراعة عند المسلمين .....</b>	<b>١٨٥</b>
<b>المبحث السادس: العلوم الجغرافية عند المسلمين .....</b>	<b>١٨٦</b>
أ- دراسة تحقيقية في السياحة والرحلة وتدوين المشاهد .....	١٨٦
ب- التقدم الذي حققه العرب في الجغرافية .....	١٨٨
ج- استخدام البوصلة في الملاحة .....	١٩١
<b>المبحث السابع: علم الفلك عند المسلمين .....</b>	<b>١٩٢</b>
<b>● الفصل العاشر: العلوم التطبيقية والصناعات والاكتشافات .....</b>	<b>١٩٥</b>
<b>المبحث الأول: الاكتشافات .....</b>	<b>١٩٥</b>
<b>المبحث الثاني: العلوم التطبيقية .....</b>	<b>١٩٧</b>
<b>المبحث الثالث: صناعة الورق .....</b>	<b>٢٠١</b>
<b>المبحث الرابع: الصناعات المتعددة .....</b>	<b>٢٠٣</b>
<b>فهرس مراجع ومصادر البحث .....</b>	<b>٢٠٥</b>
<b>فهرس المحتويات .....</b>	<b>٢٠٩</b>